سُبُل التائبات

للبنات والأمهات

الدكتورة

حنان أبو الحسن

دار الوفاء

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض ت: ٤٢٥٣٧٢٧٠
١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سبل التائبات بحث مقدم للبنات والأمهات فى ثلاثة أبواب ، تسبح فيه القارئة فى بحار التوبة التى سبح فيها الرسل والأنبياء .

تتعرفين من خلالها على سنة آدم ونوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم السلام فى التوبة ، ومنهجهم فى التوبة ،وقبل أن تبحرى فى بحار التوبة تتوقفين لتلقى نظرة من بعيد على قصة كل نبى ،لكى تستطيعى أن تبحرى بسلام وتعرفى كم من الأمواج ستقابلينها فى كل بحر،وارتفاع هذه الأمواج والمجهود المطلوب لتخطيها بأمان .

استعدى لمواجهة خمس موجات عالية فى بحر آدم عليه السلام وهى : موجة الإحساس بالذنب والعلم به ، ووراءها مباشرة موجة الاعتراف بالذنب وما إن تنتهى منها وتسبحى فى التفكير فترة قصيرة إلى أن تجيء موجة أخرى تأتى من بعيد لتستعدى لها ولتتخذى كل ما تستطيعين من قوة وصبر وحكمة،وهى موجة اتخاذ الشيطان عدواً ، تليها موجة بيضاء ناصعة مضيئة وهى هداية الله ، ووراءها موجة تحتاج إلى ثبات وقوة وهى العزم وعدم النسيان . وبعدها تصلين إلى شاطئ التوبة بعد عناء شديد ومشوار طويل أعانك عليه الرغبة الأكيدة للوصول إلى شاطئ التوبة بسلام والحصول على مغفرة الله عز وجل. ثم تسيرين سيراً خفيفًا وتأخذين نفسا عميقًا وتستعدين لنزول بحر نوح عليه السلام ربما تذكرتى السفينة ونجاة ركابها المؤمنين فتمنيت أن تجدى سفينة فى هذا البحر لتخفف عنك عناء الإبحار ، ولكن للجنة أصحابها وسعداؤها وقد حفت بالمكاره فلتتحمل معا .

قلت: ربما تنفعنى الوساطة للوصول للشاطئ بسرعة ولكن هذه موجة فى بداية الطريق عليها لا وساطة فى الدين ، فتخطيها بنفسك وتوكلى على الله ، وبعدها موجة للتوجه لله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة ، وربما نزلت البحر قبل أن تعرفى طبيعته وطبيعة من يدخله ومن سقط قبل أن يصل للشاطئ فتأتى عليك موجة الاستعاذة بالله من الجهل لتعوضى ما فاتك من تقصير فى العلم والمعرفة ، لقد اقتربت من الوصول فجاءت عليك موجة شديدة لتعلمك أن الإحساس بالخسارة والندم على المعصية لابد أن تتذوقيه قبل أن تمشى على شاطئ التوبة بسلام .

وعندما تمشين على الأرض بقدمين ثابتتين وتنسين التعب والمشقة فى الإبحار ستطمعين فى الغوص فى بحر إبراهيم عليه السلام - أبى الأنبياء - انظرى من بعيد وستجدين أربع موجات قادمة من بعيد فتقفزى بجرأة شديدة وتسرعى الإبحار فتجدى أولها الطمع فى المغفرة فكم طمعتى فى الدنيا وما فيها وما وجدتى غير الغرور والخسران .

الآن اختلف الطمع إنه طمع مضىء واسع لا يزول ، إنه ليس بيتا إنه قصر تجرى من تحته الأنهار ، ولكن موجة عظيمة وراءها تأتى لتعظم ما ارتكبت من أخطاء ، فستقتنعين بها وتجتازينها بسلام فى فترة وجيزة وتأخذين نفسك وتهدئين فتجىء الموجة الثالثة تحرضك على الاجتماع مع أهلك للتوبة ، ثم وقبل أن تصلى للشاطئ فإن موجة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة تأتى كبيرة جدًا ؛ فالأعمال الصالحة لا تحصى ولا تعد منها الظاهر ومنها الباطن منها البسيط ومنها الكبير ، ومنها الصعب ومنها اليسير ، والله المستعان فلتأت ما تستطيعين قبل ، وقبل . . . ، وقبل . . .

الحمد لله وصلت للشاطئ فسوف تحاولين وتجتهدين أن تكون البحار الثلاثة التى خضتينها فى قلبك وعقلك ونفسك وأن تظهر على عملك وقولك وفكرك . وإلا ما فائدة الخوض فى البحار وتعب الأفكار !

وبعد الاقتناع والإحساس بعدم القدرة عن الامتناع ستعطين القرار وتخوضين بحارًا جديدة، فاستعدى لتنزلى بحر يونس عليه السلام ، وفيه ثلاث موجات : الأولى قريبة جدًا وأوشكت على الوصول منك ؛ وهى الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب ، كأنها تعرف أنك سريعة الغضب لنفسك ، وأنك لم تتدربى على الغضب لله كما كان يفعل محمد ﷺ ، الذى لم يغضب لنفسه قط ، ثم تأتى بعدها موجة عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب .

حقيقة حاولتى التدرب على خوض هذه الموجة قبل النزول فى هذا البحر ولكن ربما تتخطينها بسلام يكون عونا على التدرب على الفضيلة ، وأنت تحمدين الله وتشكرينه وتدعينه ستجدين الموجة التى تختص بالدعاء لله لتقبل التوبة وبهذا يزداد إيمانك بالله وتتوجهين بالدعاء سرا وعلنا وبعدها تصلين إلى الشاطئ بسلام .

ويأتى دورك للخوض فى بحر يونس عليه السلام فتنظرى من بعيد فتجدى موجات الإحساس والاعتراف بظلم النفس ، وسرعة التوبة والإنابة إلى الله ، والإحساس

بالمسؤولية تجاة الآخرين ، وأن هناك حدوداً لعلم الناس بالله تعالى ، فتقررى بعد ذلك القفز بسرعة حتى لا يضيع الوقت ويظلم الليل فلا تستطيعى النزول .

وقبل أن تجف الملابس وقبل الراحة من عناء الإبحار تقررين أن هذه البحار لابد وأن تستكمليها جميعًا فاطلبى الله أن يعطيك العمر والصحة والقدرة على استكمال رحلة التوبة إليه ، فستجدين بحرا فيه موجة واحدة يبدو أن موجات الهوى قد تجمعت فى موجة واحدة قوية ولكنها تنقسم إلى تسع موجات متجمعة متماسكة وهى :عدم العدل ، وعدم الاستقامة ، وتزيين العمل والطبع على القلوب ، وعدم ذكر الله ، والظلم ، والضلال ، والاستكبار ، والجهل إنها أصعب كثيرا من الموجات الكثيرة والأقل قوة فتجمع الصغير يصبح كبيراً يصعب مواجهته . والذى يصبرك عليه هو أنه لم يتبق من البحور سوى بحر واحدٍ وهو بحر سليمان عليه السلام وفيه ثلاث موجات ربما أصبحت أقل خطورة وربما أمكن تخطيهن بسهولة وهن: الحذر من حب الدنيا ، وطلب الدنيا والآخرة ،وذكر الله غفران للذنوب .

الحمد لله وصلت إلى الشاطئ الأخير فهل لك من راحة وزاد للتخفيف من عناء السفر !

ربما سمعت عن أنظمة الحمية التى يتبعها أصحاب الوزن الزائد أو اللاتى يرغبن فى الصحة والجمال ، ونظام حميتنا يتطلب تخفيف الذنب والأخطاء عن الإنسان بقدر المستطاع ، وكما يتطلب نظام الحمية الغذائية زيادة فى المجهود لحرق المزيد من الدهون فإن نظامنا يتطلب مزيدا من المجهود النفسى والبدنى والعقلى والروحى للوصول إلى توبة خالصة نصوح لله تعالى . وهو لا يسمح بنظام « اليويو » لإنقاص الوزن وهو الزيادة والنقصان والزيادة والنقصان مرات عديدة ، ولكننا نتغير بالعزم والإصرار على عدم الرجوع لارتكاب الذنوب ، ولكى نتبع هذا النظام لابد أن ندرس الباب الثانى الذى يصنف لنا الذنوب ثلاثة تصنيفات ويفند أكثر من ثمانين ذنبا ، والباب الثالث الذى يتخصص فى التوبة تتعرفين من خلاله على التوبة لماذا هى وثمرتها ووقتها ، ثم مراحلها وشروطها ، ولا يتركك الكتاب قبل أن يضع لك برنامجًا مفصلاً للتوبة من سنة رسولنا وخاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ وعلى الله قصد السبيل .

أهمية البحث :

تتضح أهمية البحث من خلال ثلاثة محاور :

المحور الأول : يتعلق بالموضوع .

المحور الثانى : يتعلق بالفئة الموجه إليها البحث .

المحور الثالث : يتعلق بالظروف الحياتية المعاصرة .

تبدو أهمية البحث فيما يتعلق بالموضوع وهو التوبة من الذنوب والخطايا فى اتساع وعمق التناول من خلال دراسة سنن الأنبياء فى توبتهم إلى الله تعالى وربطها بواقع البنات والأمهات ومشكلات أكثر إلحاحا فى ظروف حياتية مختلفة . وهى محاولة للتعمق فى أمور الدين وفى فهم ما وراء الآيات القرآنية والاستفادة منها فى حياتنا وتصحيح مسارها .

وفيما يتعلق بالفئة الموجهة إليها البحث وهى البنات فى مرحلة المراهقة والأمهات ، فإن مرحلة المراهقة مرحلة انتقالية وطويلة وتتميز بالنمو العقلى المعرفى الذى يسمح بالفهم والتدبر وإمكانية الاستفادة من المنهج المستخدم فى البحث . كما تتميز بالنمو الانفعالى وتغيره بشدة عن مرحلة الطفولة حيث تزداد استخدامًا لمفردات الحب والحبيب والصديقة والصديق وهى علاقات ربما يستخدمها البنات بشكل خاطئ وخاصة من يفتقرن منهن للعلم والدين والثقافة ، وتبرز اهتمامات للمراهقات لم تكن واضحة من قبل وخاصة فى الزينة وأصناف الترفية وقضاء الوقت واستخدامات التكنولوجيا مثل الهاتف المحمول والحاسبات الآلية ويحاول البحث تقريب سنن الأنبياء لهذا الواقع وهذه الخصائص التى تتميز بها المراهقات عن غيرهن .

أما الأمهات فإن البحث يهتم بإعطائهن العديد من المواقف والمشكلات والحلول المتواضعة التى يمكن أن تساعدهن فى تصحيح مسارهن سواء مع أنفسهن أو مع بناتهن وخاصة أن الأمهات أصبحن يواجهن مشكلات نابعة من قصور علمهن فى الدين والدنيا ، وتأثر بناتهن بفئات أخرى مثل الصديقات والإنترنت والتليفزيون والمدرسة والتعليم ومناهج التعليم والمدرسين وغيرهم .

وهو ما أدى إلى توسيع مشكلاتهن مع بناتهن وصعوبة حلها وربما عدم محاولة حلها على الإطلاق لتعسرها ولشيوعها مما يجعل الأمهات يفضلن عدم الخوض فى

أساليب الحل .

أما ما يتعلق بأهمية البحث النابعة من المشكلات الحياتية المعاصرة فإن جميع مناحى الحياة قد تغيرت بسرعة وبشدة عما كانت تعيش فيه الأمهات فيما سبق فقد تغيرت العلاقات الاجتماعية فضاقت فى محيط الأسرة والأقارب واتسعت فى محيط العالم الخارجى من خلال الإنترنت . وأصبحت أكثر سطحية وأكثر سعة وأقل ارتباطًا وأسرع تفككًا . وقلت إمكانية البنات على الإنتاج والاعتماد على النفس ، وفى الإطار السياسى زادت التوترات السياسية النابعة من السيطرة على السلطة وتدهور الأحوال الاقتصادية التابعة لذلك ، وانتشار المفاهيم المغلوطة التى تقلب الموازين رأسا على عقب فالجهاد إرهاب ، والعفة تخلف ، والزنا حرية وحقوق والحجاب تخلف ومستفز ، وفى التعليم انتشر الغش وعدم إخلاص المعلمين وتهافتهم على تجميع الأموال من الطلاب بطرق مختلفة وحرمان الطالب من حقه فى الفهم والتعليم الصحيح داخل إطار المدارس أو المعاهد والكليات والتقليص من مناهج الدين وتغيير كثير من المفاهيم أو إخفائها لتحقيق أهداف غير سوية ، وفى الجانب الإعلامى والثقافى ازداد استخدام وسائل الإعلام لنشر الرذائل والعرى الفاحشة وتعمد تقليص دور الدين والمتدينين فى نشر الفضائل من خلال وسائل الإعلام .

ولا يخفى على أحد أن التليفزيون أصبح من أكثر المؤثرات على تربية النشء والأطفال وعلى علاقة الأفراد داخل الأسرة وعلاقة الشباب ببعضهم خارجها .

ومن هنا فإن هذا البحث يقدم أكثر من ثمانين ذنبا يمكن أن تقع فيه البنات أو الأمهات والتى أثرت فيهن كل الظروف السابقة الذكر، ويقدم حلولاً أو سبلا لتجنبها وتعلم كيفية التوبة منها وعدم الوقوع فيها وذلك بالاعتماد الأساسى على القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ ـ خاتم الرسل والأنبياء .

أهداف البحث :

- إلقاء الضوء على سنن بعض الأنبياء فى التوبة ومنهجهم وطريقة توبتهم بما يسمح بالاقتداء بهم .
- ربط مناهج الأنبياء فى التوبة بمواقف حياتية يستفيد منها البنات والأمهات فى طريق التوبة .

- التعرف على تصنيفات الذنوب بما يسمح بسرد العديد من الذنوب داخل هذه التصنيفات .

- إعطاء العديد من التطبيقات عى الذنوب من حياة البنات أو الأمهات وأساليب معالجتها .

- الوقوف على التوبة من حيث فائدتها وثمرتها ووقتها ومراحلها وشروطها بما يسمح بتوسعة مدارك البنات والأمهات حولها كفريضة واجبة عليهن .

- تعميم برنامج يومى لتجديد توبة البنات والأمهات اتباعا لسنة الرسول محمد ﷺ .

الباب الأول

سنن الأنبياء فى التوبة

الفصل الأول : سنة آدم عليه السلام فى التوبة .

الفصل الثانى : سنة نوح عليه السلام فى التوبة .

الفصل الثالث : سنة إبراهيم عليه السلام فى التوبة .

الفصل الرابع : سنة يونس عليه السلام فى التوبة .

الفصل الخامس : سنة موسى عليه السلام فى التوبة .

الفصل السادس : سنة داود عليه السلام فى التوبة .

الفصل السابع : سنة سليمان عليه السلام فى التوبة .

الفصل الأول

سنة آدم عليه السلام فى التوبة

فى البداية نلقى نظرة على قصة آدم عليه السلام ، ثم نبحث من خلال آيات الله على سنة آدم عليه السلام فى التوبة ونستخرج منها ما ينفع الأخوات ـ الصغار والكبار ـ فى حياتهن ونقرب الآيات لمواقف حياتية ملموسة ، ونتعلم من سنة آدم عليه السلام خمسة مناهج على طريق التوبة وهى : الإحساس بالذنب والعلم به ، والاعتراف بالذنب ،عدم اتباع الهوى،اتخاذ الشيطان عدواً ، الثبات وعدم النسيان .

نظرة على قصة آدم عليه السلام

قال ﷺ : « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض،فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن وبين ذلك** » رواه أحمد عن أبى موسى الأشعرى (١) .

وقال الله للملائكة: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة : ٣٠] وقال لهم: ﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢)** ﴾ [ص]، وقال ﷺ : « **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها** » (٢) .

وعلم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له ، فسجدوا جميعا إلا إبليس ـ استكبارا منه وكفراً بنعمة الله وقدرته ـ وجعل الله لآدم زوجة وأسكنها معه فى الجنة فتمتعا بها ، وأمرهما الله ألا يقربا شجرة فيها ، إلا أن الشيطان وسوس لهما وأقسم لهما أن يكونا من الخالدين إذا أكلا من هذه الشجرة ، وكانت نيته أن يظهر ما أخفى عنهما من عورة . وقد حذرهما ربهما من الشجرة ومن الشيطان ومما سيلاقياه من شقاء وتعب إذا لم يطيعا ربهما . ونسى آدم أمر ربه فغوى بغواية الشيطان .

---

(١) أحمد (٤ / ٤٠٠) ، وأبو داود فى السنة (٤٦٩٣) ، والترمذى فى التفسير (٢٩٥٥) ، وقال : « حسن صحيح » ، وصححه الشيخ الألبانى .

(٢) مسلم فى الجمعة (٨٥٤ / ١٧) ، وأبو داود فى الصلاة (١٠٤٦) ،والترمذى فى أبواب الصلاة (٤٩٠).

فلما أطاعا الشيطان وأكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما وأخذا يغطيان عوراتيهما بورق الشجر ، فأحسا بالذنب وعلما أنهما قد عصيا ربهما ونسيا أوامره ، واعترفا بالذنب وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا ، وطلبا المغفرة والرحمة من الله عز وجل .

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وخرجا من الجنة إلا أن الشيطان طلب من ربه أن ينظره إلى يوم البعث والحساب وتوعد لبنى آدم بالغواية إلا الصالحين فليس له عليهم سلطان ووعد الله ـ عز وجل ـ آدم وزوجه وذريتهما بأنه سيأتيهم بالهدى وأنه من اتبع هذا الهدى لا يضل ولا يشقى .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة آدم فى التوبة :

قال تعالى فى سورة طه : ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾ للإحساس بالذنب .

وفى سورة الأعراف : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ للاعتراف بالذنب .

وفى سورة الأعراف [٢٤] : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

وفى سورة الأعراف : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) ﴾ لاتخاذ الشيطان عدواً .

وفى سورة البقرة : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ لاتباع هدى الله .

وقال تعالى فى سورة طه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ لعدم النسيان .

منهج التوبة

الإحساس بالذنب والعلم به :

لقد أحس آدم عليه السلام وزوجه بالذنب بعدما بدت لهما سوآتهما فأحسا أنهما عصيا ربهما .

فكما جعل الله لنا الألم إنذاراً لوجود مرضٍ فيلجأ الإنسان إلى الطبيب لوصف الدواء ، فإن بعض المصائب والهموم والأحزان ، وحالة الإنسان من فقر أو غنى ونجاح أو فشل ربما تكون إنذاراً لمعصية فهنا واجب علينا الإحساس بالذنب ، واللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار ، وكلما كان سريعا كلما كان الشفاء بإذن الله مرجوا . وأخبرنا الرسول محمد ﷺ أن كل أمر المؤمن خير له وتعجب لذلك فإذا أصابه سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له [(١)] ولنأخذ أمثلة مما يقع فيه البنات مع أنفسهن ومع الله ومع الناس من معصية .

مع النفس : « كثيرة الظن بالناس ، متوترة سريعة الاستثارة لا أثق بنفسى أكره فعل الخيرات » .

مع الله : « أؤدى الصلاة كعمل روتينى بلا خشوع ، لايستجاب لى دعاء ولا أحصل على درجات عالية رغم مجهودى ودعائى ، لا أعطف أو أتصدق على اليتيم أو الضعيف » .

مع الناس : « يحجم كثير من البنات عن مصادقتى ، أمى كثيرة اللوم لى ، أبى لا يثق فى وفيما أقوله له ، لا يتقدم إلى عرسان للزواج لا أستطيع التوافق مع صديقاتى وأخواتى » .

إذا أحست الأخت بما يحيط بها من مشكلات ، وما تحسه من آلام فلا تلومن إلا نفسها فلتبدأ بها ، ولا تجعل الأطراف الأخرى أو من يحيط بها مصدرا لهذه المشكلات، ولكن تجعلهم سبيلا للخروج منها بتغيير سلوكياتها وأخلاقها معهم وسوف ترى ماذا فعل

---

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤) بلفظ : « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له » .

الدفع بما هو أحسن مع الناس وسوف تجد آيات الله تتحقق أمامها كضوء الشمس الساطع. ولا تنتظر إلى أن يجتمع حول قلبها الذنوب فيرون عليها ولا تستطيع الخروج.

ما هو الطريق للإحساس بالذنب والعلم به ؟ [الحواس - العقل - الآخرون] :

يمكن أن تحس المذنبة بالخطأ إما من خلال حواسها كأن ترى نفسها فى وضع خاطئ، أو تسمع ما تقوله من ألفاظ لا تليق ، أو أن تشم الرائحة العطرة الشديدة تفوح منها فى أماكن وجود الرجال ثم يكون هذا الإحساس جزءا من الإدراك العقلى لها وتبدأ فى التمييز وحساب النفس ، ولكن هذا الأمر لا بد وأن يكون قائما على علم وإلا مر مر الكرام .

ويأتى الإحساس بالذنب من خلال العلم به بعد القراءة أو الاستماع أو المشاهدة لمواقف مماثلة لسلوك تقوم به الأخت فإذا بها ترى ما تفعله فى الآخرين ، أو تسمع لخبرات مماثلة أو تقرأ آيات من القرآن فينشرح صدرها لآياته وينعم الله عليها بالفهم ، والإدراك لمعانية فتدرك - حينئذ - كم كانت مخطئة ومذنبة فى حق نفسها أو غيرها أو حق رب العباد وهذان الطريقان جاءا من إحساس لمنبه خارجى خاص بالمذنبة ، أو جاء من إحساس داخلى وإدراك عقلى بعد القراءة والفهم والتمعن فى الآيات .

أما إذا جاء التنبيه من شخص آخر موجه للأخت المذنبة فهو قد يكون فى شكل نصائح تعطى بشكل مباشر أو غير مباشر وقد يكون فى شكل إرشادى أو تعليمى يتم تدريسه كمادة دينية أو درس دينى فتخرج منه الأخت بمؤشرات لتعديل سلوكها أو الإحساس بالذنب ، وقد يكون فى شكل تعليقات من الصديقات فى المدرسة أو الجامعة أو الجيران أو فى النوادى أو غيرها .

وهذه التعليقات قد تكون مباشرة للأخت أو غير مباشرة أثناء الحديث عن أخطاء الغير وما أكثر هذه الأنواع من الأحاديث بين النساء خاصة ، وقد تكون فى شكل لوم أو عتاب مباشر مثلما تفعل الأمهات مع بناتهن أو المعلمات مع تلميذاتهن، أو بعض الأخوات المخلصات .

وقد تكون فى شكل انتقادات لاذعة توجه مباشرة للأخت من الزملاء أو الأخوة أو الأقارب وخاصة من لا تكون هدفها إرضاء الله أو الأخذ بيد أختها للفوز بالجنة أو النجاة من النار ، وإنما هدفها الإحباط أو إظهار قصور الغير أو الغيرة أو الحقد والحسد .

فى رحلة العلم بالذنب :

يتعين على الأخت المسلمة أن تعلم وتتعلم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يأمرها به الله تعالى لتأتمر به ، وما ينهاها عنه الشرع لتنتهى عنه ، وتدعو الله وتخلص فى الدعاء أن يعلمها من القرآن ما تجهله وأن يرزقها تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، وأن يذكرها منه ما نسيت فهو من الله الذى أنزل القرآن على رسوله ﷺ ليكون نورا وهداية للعالمين إلى يوم الدين . وهو الذى يسره للذكر ، وهو الذى أنزله بلسان عربى مبين ، فإذا داومت على حفظ آية كل يوم منذ بلوغها فستختم حفظة إن شاء الله تعالى فى العقد الثالث من عمرها أو قبل ذلك بقليل أو بعد ذلك بقليل .

فهيا يا أخت الإسلام لتدخلى زمرة الحافظين للقرآن فيكون لك نورا فى الدنيا وعلوا فى الآخرة .

وأنت فى رحلة الحفظ لنور الله وهدايته للبشر عليك بدوسهين ، أو كراستين . واحدة لونها أخضر أو أبيض والأخرى لونها أحمر أو أسود ، الكراسة البيضاء تكتبين فيها آيات الأمر والحث على عمل معين . والكراسة الحمراء أو السوداء تكتبين فيها آيات النهى أو التحذير والإنذار أو العذاب . وذلك بالتشكيل للحروف الأخيرة من الكلمات على الأقل ، وأقصد من لون الكراسة التفكير بمضمون الآيات .

وأنت فى هذه الأوقات ستتذكرين ما قمت به من أعمال يرضى الله عنها ، وأعمال ينهى الله عنها وعند ذلك عليك أن تضعى علامات عليها ،لتقيسى عليها أعمالك وتكون هداية لك عند محاسبة النفس كل يوم وإذا قابلك كلمات لم تفهمى معناها فلا تتركينها هكذا ولكن احرصى على معرفة معناها من كتب التفسير ، أو من معجم الألفاظ القرآنية ودونى هذه المعانى فى هامش الكراسة بعد الإشارة إليها عند الآية .

احرصى على كتابة اسم السورة ورقم الآية عند نهاية الآية . وإذا وجدت آية أنت فى حاجة إليها لتزيدك فى الطاعة ، أو تعينك على الإقلاع عن المعصية فعليك أن تعيدى كتابتها بخط كبير وتعليقها فى مكان على حائط يكون فى محط نظر أهل البيت هذا إذا كنت تستطيعين القيام بالعمل بمفردك وبهمة دون فتور . أما إذا كنت تحبين العمل الجماعى فياحبذا فى العمل الإسلامى فهو خير معين فلتختارى أقرب الصديقات علما ودينا وخلقا وهمة ، ولتعرضى عليها المشروع ، فإذا وافقت فالعمل فى الحال وليس غدا ولتخلصا لله ولتتضرعا لله وتطلبا منه العون والسداد ولتخلصا النية له ولتستقيما وعلى

بركة الله . ولكن هل يمكن أن يكتمل العمل بدون اتباع سنة الرسول ﷺ ؟!

ولتتذكرى أمر الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] فأنت هنا عليك أن تنظمى أوقاتك للنيل من روضة الرسول ﷺ ، وليكون لك بزة واقية من الغرق فى بحر المعصية .

فإذا كنت ستجعلين كل يوم آية فاجعلي فى الأسبوع يوما أو يومين لتنهلى من فيض السنة المطهرة ، ولتتبعى نفس الطريق السابق فى آيات الله ، فيكون لك كراستان واحدة لما أمرنا به الرسول ﷺ وأخرى لما نهانا عنه الرسول ﷺ وهكذا يكون عندك أربع كراسات بأربعة ألوان : الأبيض والأخضر للأوامر والأحمر والأسود للنواهى . ولتتبعى الطريقة السابقة فى حساب النفس عما ائتمرت به وعما انتهيت عنه ، فإذا وجدت حديثا موافقا لسلوك فلتركزى عليه ، وإذا وجدتِ حديثا معارضا لسلوك قمت به فلتكتبيه بخط كبير وتعليقه فى مكان ظاهر للجميع إلى أن تنتهى عن هذا السلوك بعون الله وتوفيقه .

فما أجمل أن تزرعى هذه الشجرة فى البيت وما أجمل أن تزرعينها فى المدرسة أو الكلية بأن تكتبيها على غلاف الكتاب أو الكراسة وتكريريها مع زميلاتك فأنت هنا لا تحصدى ثمرة واحدة ولكن تكسبى محصولا وفيرا ينفعك فى دنياك وآخرتك ويرفعك فى الآخرة كلما قام به عبد أو أمة مثلك فلك الأجر ولك أجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله . فهذا الفرق بين ما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت وبين ما تصدقت فأبقيت .

وانتبهى أيتها الأخت المسلمة فقد يكون الأمر بدون أداة أمر أو فعل أمر ، وقد يكون النهى بدون أداة النهى ، فلتفهمى من الآية أو الحديث أن افعل أو لا تفعل فيكن لك إشارة للأمر أو النهى .

فإليك هذه الآية وهذا الحديث لتوضيح ذلك . قال تعالى فى سورة الروم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ فهى آية تحث المسلمة على التزود من علم الدنيا وعلم الدين حتى لا تكون من الغافلين . وقال الرسول ﷺ : « **إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان ؛ أى تقول : اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا** » (١) .

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٤٠٧) ، وحسنه الشيخ الألبانى .

فهو حديث ليس فيه أمر مباشر للإنسان ولكن جاء الأمر من الإنسان لنفسه أو لأعضائه ،وكأن الأعضاء تحاسب بعضها فى الدنيا قبل أن تشهد على بعضها فى الآخرة.

وفى مرحلة العلم بالذنب والتى تخوضينها بنفسك لتحصلى على أعلى شهادة وأسمى علم بوصولك لأعلى الدرجات وأفضل المنازل عند الله رب العالمين ستجدين عثرات ومشكلات وأمراضًا ربما خفيفة أو ثقيلة فاجعليها منبها لك للتوبة. واعلمى أن الله قد جعل ذلك للمؤمن لكى ينقيه من الذنوب ويصحح له الطريق ويخفف عنه خطاياه .

يقول ﷺ : « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه** » (١) متفق عليه، ويقول ﷺ : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة** » رواه الترمذى (٢) .

ولنفرح بالحديث الذى يبشر المؤمنين بلقاء الله بدون خطايا يقول ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة** » رواه الترمذى (٣) .

وفى مرحلة العلم بالذنب عليك بإفساح صدرك لنصائح الآخرين إذا كانت أعجبتك وإن لم تكن ، فهى مؤشر آخر فى الرحلة فإذا كان فيك ما يقولون فلتبدأى العمل ، وإذا لم يكن فيك فلتبحثى عن السبب ، فحتما لك علاقة به من قريب أو بعيد ، ولكن لا تتركى ذلك كله وتتجاهليه وإلا خسرت كثيرا وأطفأت نورا فى شارع مظلم .

فما تحسبينه هينا قد يكون عند الله عظيمًا ، فأنت هنا محتاجة إلى ثمرة الصبر لتأكلى منها لتكون غذاءً للنفس والبدن وعونا لك على الكبر والنفور ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** (١٥٣) ﴾ . وفى سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا** ﴾ [٢٠٠] .

وعليك أن تتحلى بأدب تقبل النصيحة ومنة الشكر لله أن رزقك بمن ينصحك . يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ** (١٥٢) ﴾ [البقرة]

---

(١) البخارى فى المرضى (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧٣/ ٥٢) .

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٦) ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » ، وابن ماجه فى الفتن (٤٠٣١) ، وحسنه الشيخ الألبانى .

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٩) ، وقال : « حسن صحيح » .

فتذكرى أن الناصح رزق لك من الله وعون لك على الطاعة ، فإن كان فيك ما يقول فعليك بالأخذ بالنصيحة وإذا لم يكن فهى تذكرة ، وإن الذكرى تنفع المؤمنين ثم تجزلى للناصح بالدعاء بأن تدعى الله له بالجزاء الوافر بالخير « جزاك الله خيرا » . وأن يكون هذا الدعاء خالصا للهِ وليس فيه ما ينغص نفسك أو يضايقها .

وتذكرى أن الشيطان هنا إليك أقرب فالنفس لا تحب الناصحين ، سيقول لك هل فرغ الناصح من نفسه لينصح الآخرين ؟! ويقول لك : ألست بأفضل منها كثيرا ؟! من تكون هذه التى تنصحنى ؟! ألم تسبب لى إحراجا فى وسط المجموعة ؟! ألم تكن نصيحتها العلنية فضيحة لى ؟ . . . . ؟ . . . . ؟ . . . . ؟ .

فأغلقى جميع هذه الأبواب فى وجه الشيطان واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم، واجعلى أول ما تفكرين فيه هو الله وليس نفسك فإنها أمارة بالسوء .

وللغير معك شارع آخر فى رحلة العلم بالذنب ، فإذا كانت الأخت قد تقدمت إليك بالنصحة بدافع منها فهذا جانب أما الجانب الآخر فهو على الرغم من أنه يأتى من الغير إلا أن باعثه أنت ، فأنت التى تحثينها على إعطاءك النصيحة والعون ، ولاحظى أنه إذا كانت فى الحالة الأولى وهى التى تتقدم فيها الأخت بالنصيحة لك قد تكون صديقة أو غير ذلك وقد تكونى تعرفينها أولا وقد تكونى قابلتيها أو لا .

ولكن فى الحالة الثانية وهى التى تطلبين أنت منها النصيحة ، فغالبًا ما تكون هذه الأخت صديقة أو أختًا لك فى الله ، أو أختًا مسلمة أحببت أن تتقربى إليها ومنها . ولذلك فإن النصيحة هنا ستجد طريقا سهلاً ميسرًا للقلب مهدها لها الدافع الذاتى فى الإصلاح للنفس والفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة . فما أقوى هذا الدافع وما أحسن هذه الهمة فهلمى بها وتوكلى على الله فطريقها سهل،ونتيجتها مضمونة وشفاؤها عاجل، وربحها وفير إن شاء الله فعلى بركة الله تقدمى واختارى صفوة الأخوات وأخلصى النية فى الإصلاح لله تعالى فستجدين أن الله هو الذى يختار لك ويوفقك فى الاختيار فهل عرفتيها الآن ؟ أسرعى بالاتصال بها قبل أن تنشغلى وتنشغل مع غيرك ولا يكون لك معها نصيب .

وأنت فى رحلتك لست وحدك مذنبة فكل من يمشى عليها مذنب ، ولكن خيرهم من أدرك وعَلِم فاستغفر ربه وأناب إليه ليحظى بجنة ربه ونعم أجر العاملين .

فعليك هنا ألا تكتمى العلم بل تبلغيه لتأخذى بيد أخواتك لكى يسبحوا معك فى

بحر التوبة والمغفرة الواسع وتذكّرى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ [البقرة] .

وتذكرى ـ أيضا ـ أنك لا تبلغى هذا العلم لتتباهى به أو لتمارى به الناس ،أو ليقبل الناس عليك،ولكن لله تعالى فقد قال الرسول ﷺ: « **من ابتغى العلم ليباهى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء ،أو تقبل أفئدة الناس إليه أدخله الله النار** » أخرجه الترمذى (١) .

واطلبى من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يكون صدقة مقبولة لديه،وألا يخالطه عمل سيئ من مَنٍّ أو أذى. فتذكرى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة : ٢٦٤] . وقول الرسول ﷺ : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه ، والمدمن خمر، والمنان** » رواه النسائى (٢) .

ألا ترين كثيرا من الناصحين يمنون على الناس أنهم كانوا سببًا لهدايتهم أو التزامهم أو تغير حياتهم ؟! فلنقِ أنفسنا وأهلينا نارا وقودها الناس والحجارة .

وفى رحلة العلم بالذنب عليك يا أختاه أن تنهلى من روضة الأنبياء والتى ستجدين فيها كيف أذنب آدم أبو البشر ، وكيف تاب،وكيف أذنب نوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ،وكيف توجهوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله والدعاء إليه وكيف تاب الله عليهم .

وهذه الطرق سواء ما تعلق منها بك أو بمن حولك عمن يوقظونك أو ينقذونك من الذنب أو ما تقومين أنت بإنقاذهم تساعدك على الإجابة على سؤال كيف تعرفين الذنب؟ أو ما هى الذنوب ؟ أو طريقك للإحساس بالذنب والعلم به .

الاعتراف بالذنب والإحساس بالخسران المبين :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف] قالها آدم وحواء بعد إحساسهما بالمعصية . فهل أحسستِ بالذنب ، وكانت لديك القدرة على الاعتراف به ؟

إذا أحسست بالذنب فهذه نعمة من ربك ،فقد تكونين أنت التى أحسست بها وقد يكون غيرك هو الدافع لذلك ، وربما تكون هذه المرحلة مهمة ولكن المرحلة الأصعب

(١) الترمذى فى العلم (٢٦٥٤) وقال : « لا نعرفه إلا من هذا الوجه » ، وحسنه الشيخ الألبانى .
(٢) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢) ، وأحمد (٤/٣٩٩) ، وصححه الشيخ الألبانى .

هى الاعتراف بذنبك .

اعلمى أنك الآن ستدخلين معركة للعدوان الثلاثى :النفس والشيطان والناس .

فالنفس أمارة بالسوء والشيطان وعد ربه بغواية الإنسان وجعلها صراطه المستقيم ، والناس وما فيهم من حب الذات ورغبة فى الانتقام والثأر والكبر والظلم ومن فيهم من الغاوين أتباع وجنود الشياطين وغيرها من الصفات التى لا عاصم لنا منها إلا الله اللطيف الخبير : « اللهم الطف بنا إنك أنت اللطيف الخبير وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » .

فهناك دفاعات نفسيه وحوارات ذاتية للإقناع بأن النفس لم ترتكب هذا الذنب فتبدأ الأخت بإقناع نفسها بأنها على حق وتأخذ فى إعطاء مبررات لما قامت به ، وترمى الحمل على غيرها كأن النفس ليس لها علاقة بالموضوع أو المشكلة فترى المشكلة كأنها تمثيلية تعرض على الشاشة الصغيرة وهى أمامها متفرجة سلبية ليس لها القدرة على التأثير ولكن تتأثر فقط .

وقد يكون هناك حواراً ذاتيًا لانتصار النفس وليس الانتصار عليها ، فينهزم الإنسان أمام رغباته وآماله وأحلامه . وأمام ما فى النفس من فجور ونسيان، وقد تكونى واحدة من هؤلاء إما أن تستطيعى أن تعترفى لمن أخطأت فى حقه من الناس ، وإما أن تعترفى لله لمن أخطأت فى حقه من الناس ، وإما أن تعترفى لنفسك فقط .

فإذا كنت الأولى فأنت إما أن تكونى مجاهرة بالمعصية فقط إذا لم تكن نيتك التوبة النصوح ،وهنا ستجدين ارتفاعًا فى صفة الكبر التى ما لازمت المسلم إلا وأدخلته النار وحرمته من الجنة فلا يدخل الجنة من كان فى قلبة مثقال ذرة من كبر،أما إذا اعترفت للناس أنك المخطئة فى حقهم بنية الإصلاح والتوبة فأبشرى فأنت على الطريق المنشود .

ولهذا الاعتراف جوانب يجب مراعاتها منها :

- الدعاء لله بالتوفيق والإصلاح .
- الصلاة ركعتين لقضاء الحاجة ، تطلبين من الله فيهما التوفيق .
- قراءة ما تيسر لك من القرآن وياحبذا لو كان قلب القرآن .(يس) حتى يطمئن قلبك فالقلب هنا منزلة كبيرة .
- السرعة وعدم التسويف أو التأجيل حتى لا تلهيك الدنيا وما فيها من مشاغل عن

العمل .

- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كثيراً فهو لك فى هذا الوقت قريب جداً والتأكيد على قراءة المعوذتين .

- شحذ النفس لمواجهة دفعاتها ونزغاتها ، وذلك من خلال الذكر والحوار الذاتى البناء ومحاسبة النفس .

تجهيز أى هدية مادية تناسب من ستتوجهين إليه بطلب العفو فهى مفتاح القلوب .

وهى مفيدة لك أيضًا لاعتبارها رادعة لك عن الخطأ واعتبارها وسيلة للعقاب المادى.

- الاستبشار بقبول المعذرة والتفاؤل بالصلح . فإن الوجه والابتسامة يصلح كثيرا مما أفسده اللسان .

- حسن اختيار الأسلوب والألفاظ المناسبة لمن وقع عليه الظلم ، والدعاء له .

- الدعاء لمن وقع عليه الظلم ، فهو خير معين لتصفية النفوس .

- الإكثار من العمل الصالح لمن وقع عليه الظلم حتى تشعرى أنه رضى وارتاح قلبه وأصبح يدعو لك بظهر الغيب .

- شكر الله وحمده كثيراً على هذه النعمة التى حباك الله بها .

أما إذا لم تستطيعى الاعتراف للناس بخطأك معهم وآثرت الاعتراف لله فإن هذا الاعتراف ناقص ، ولكنه يغيب فى أحيان كثيرة كأن يكون الشخص الذى ظلمتيه لا تستطيعى الوصول إليه إما لوفاته أو لسفره أو لبعد المسافة بينكما أو لعدم معرفة مكانه . فلك أن تكثرى فى الدعاء والاستغفار والتضرع إلى الله وكثرة الأعمال الصالحة والدعاء للشخص نفسه وربما رد المظالم لأهلها إذا استطعت الوصول إليهم .

ويفيد الاعتراف لله فى حالة عدم التأهل النفسى للمذنب وعدم قدرته على المواجهة وأن يخشى أن يثمر هذا الاعتراف بذنوب أخرى ومعاصٍ لا قبل له بها . فكثير من الأخوات عندما يواجهن الناس تأخذهن العزة بالإثم فتحول نفسها من معتذرة وطالبة للعفو إلى متعدية وجانية على المظلوم فتزداد إثما على إثمها وظلما على ظلمها .

ففى هذه الحالة وإذا كنتِ من هؤلاء فالأفيد أن تتوجهى أولاً بالدعاء إلى الله وطلب العون منه للانتصار على النفس وكبرها وفجورها فهو خالقها وأعلم بها وهو أرحم الراحمين وعليك بالصلاة ركعتين لقضاء الحاجة وأن تخلصى وتحسنى النية فى هذا

العمل لله حتى تستطيعى مواجهة الصدمات وما سوف يقع عليك من لوم أو أذى أو هجران أو حرمان أو عقاب وإذا وجدتى أن فجور النفس انتصر عليك فأعيدى الدعاء والتضرع واللجوء والاستغفار لله تعالى والصلاة حتى تطمئنى تمامًا إلى هدوء النفس وتقبلها الاعتراف بدون ظلم للنفس أو ظلم للآخرين .

كما يفيد الاعتراف لله فى حالة سوء خلق المظلوم وعدم تحكمه فى نفسه وعدم قدرته على التسامح أو من يتصيدون للإنسان الأخطاء ولا يلتمسون الأعذار ، أو يكون صاحب سلطان ظالم، أو ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، أو غيرها من الصفات التى تكون حجر عثرة أمام تسامح الناس مع بعضهم وتقبل الأعذار والرحمة بينهم . ففى هذه الحالة يصعب على المخطئ الإعلان والاعتراف بالخطأ فهناك خطأ أكبر سيقع على جميع الأطراف ولكن يظل اللجوء إلى الله وحده لا يلغى حقوق الناس إلا بعد ردها فلتتجه الأخت باللجوء إلى الله مرحلة أولية وتمضى بخطى حثيثة فى طريق إكمال التوبة مع الإخلاص لله وهنا سيكون عليها الاهتمام بهذه الجوانب :

- الدعاء لنفسها ولمن ظلمته أيضًا .

- الطلب من الله الواحد القهار أن يصلح حال من ظلمته . وأن يقبل معذرتها بصدر رحب .

- أن تتقرب إليه ببطء بالعمل الصالح لتأهيلها نفسيًا .

- أن تستعين ببعض المخلصين التى تثق فيهم الأخت ربما يساعدونها على التقرب ، وربما يخففوا من حدة الموقف . ولكن إذا لم تحسن اختيار المخلصين فإن الموقف سيزداد سوءًا فلتدقق جيدًا ولتستشر أيضا قبل الاختيار .

- أن تحاولى معرفة بعض الصفات لمن وقع عليه الظلم والتى يمكن أن تكون مدخلاً لقلبه لتقبل الأعذار وهذه الصفات قد تكون حب الثناء والمدح ، حب الهدايا ، حب أماكن الترفيه والتسلية ، حب أولاده أو أصدقائه ، فهناك مداخل كثيرة للبشر ، والتوفيق من الله عليه توكلنا وإليه ننيب .

- أن يتم عرض العذر والاعتراف بالخطأ بشكل غير مباشر وربما على مراحل إذا كان الأمر يستدعى ذلك .كأن تكون المشكلة معقدة أو طال عليها الزمن وتراكمت عليها مشكلات أخرى .

ويفيد الاعتراف لله فى هذه الحالة إذا وضعت الأخت فى اعتبارها أن الوقت يساعد على نسيان الهموم والمشكلات ، وأن الإنسان غالبًا ما يحاول نسيان المواقف الصعبة فى حياته وهى من الدفاعات النفسية التى يلجأ الإنسان إليها للحفاظ على توازنه وراحته النفسية والعصبية، ففى هذا الوقت التى تلجأ فيه الأخت لله وتحاول إصلاح نفسها سيكون الطرف الآخر بدأت تهدأ عنده نوازع الغضب والكراهية وبدأت مشاكل أخرى تطغى على الماضى وآلامه .

ولكن حذارى من هذه النقطة فهى من مداخل الشيطان التى تعوق التوبة والاستغفار ، وعليك أن تتخذيها مرحلة للعون على التوبة وليست لنسيانها ، فأنت تطلبين التوبة من أجل الدنيا ولكن من أجل يوم الحساب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فما يمكن أن ينساه من ظلمتيه فى الدنيا لا يمكن أن ينساه فى الآخرة ففى هذا اليوم يقول البشر: نفسى نفسى .

فإما أن ينقصك من حسناتك لترد إليه ، وإما أن يعطيك من سيئاته لتطرح عليك فتطرحى فى النار ـ والعياذ بالله : « اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار » .

وهناك طريق أخرى للاعتراف بالذنب ، وما أكثر من يستخدمونها فهو أرخص وأسهل على النفس ولكن طريقها طويل وغير مضمون وهو أقرب لعدم الاعتراف منه للاعتراف . ومن هنا كانت خطورته ،ومعناه أن يحاسب الإنسان نفسه على ما ارتكب من الإثم فى حق نفسه وحق الله وحق الناس . فإذا وقف الحوار النفسى عند هذه الحالة ، وأكتفى فإن الشجرة زرعت فى أرض صلبة لا تنمو ولا تثمر فأصبحت هشيمًا وجاءتها الريح فقذفتها فى مكان سحيق . فلا يكفى العلم بالذنب والإحساس به والاعتراف الذاتى ولكنها بدايات ومراحل لا غنى عنها فى التوبة ولا تغنى عنها .

ولكن يكون الاعتراف الذاتى مرحلة وليس نهاية يجب ملاحظة :

ـ أن يكون هذا الاعتراف قائمًا على العلم الحقيقى الواعى بالذنب وطبيعته .

ـ أن تكونى حكما عادلاً على نفسك فلا تظلميها ولا تظلمك .

ـ أن تحكمى عقلك وتجعليه قائدا للموقف قائمًا على الأصول الدينية .

ـ أن تختارى الوقت المناسب للمحاكمة حتى يتم الاعتراف الكامل من النفس .

ـ أن تحيطى بالنفس من جميع الجوانب لتجبريها على الاعتراف ولا تلتمسى لها الأعذار ولا تتبعى هواها .

ـ أن يقل اتصالك ومعاشرتك ومصاحبة الظالمين فهم يُزينون العمل السيئ ويحسبون

أنهم يحسنون صنعًا .

ـ أن تحاولى التقرب للصالحين وتكثرى من الجلوس معهم والاتصال بهم ومعرفة سيرتهم وسلوكياتهم إما منهم أو من المقربين إليهم . فهم عون لك على الإصلاح الذاتى والاقتداء بهم .

ـ أن يتبع الاعتراف الذاتي شعور نفسى بالندم والخسران والحزن الشديد وهو مؤشر واضح لنجاحك فى مرحلة الاعتراف فهى تعنى الخروج من مرحلة إلى ما يليها وحدوث التطور النفسى والإصلاح الذاتى المرحلى .

ويجب توضيح أن الاعتراف الذاتى مرحلة لا غنى عنها فى أى نوع من أنواع الاعتراف بالذنب سواء كان بين الإنسان وربه أو بين الإنسان وغيره من البشر أو بين الإنسان ونفسه .

ـ ولكن قد يكون هو نفسه نوعًا من أنواع الاعتراف بالذنب وآخر مراحله وهو ما نحذر منه وما قصدناه فى شرحه فى البداية .

اتخاذ الشيطان عدوا (١) :

يقول تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [٢٤] ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] .

كان الشيطان عدوا لآدم منذ خلقه الله فدفعه إلى معصية الله واستغل طبيعة آدم الذى خلق من الطين وعرف أن من طبيعته النسيان فوسوس له ليخرجه مما فيه من النعيم والجنة وتحديًا لله الواحد القهار وكأنه يريد أن يقول : فهذا آدم الذى خلقته وفضلته على الملائكة وأمرتهم بالسجود له ها هو يعصى أوامرك هو وزوجه حواء وقال الشيطان : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحجر] فهذا تحدٍ واضح ومباشر لخالق الكون .

ويأمرنا الله تعالى أن نتخذ الشيطان عدوا، وجعله واضحا ومبينا لكل البشر : ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص] فهذه الصفات أخبرنا بها الله لنتهيأ له نفسيا وعقليا وجسديا ونعرف مداخله جيدًا لنغلق جميع الأبواب فى وجهه وننجوا من وسوسته وشره .

---

(١) تم الاستعانة فى هذا الجزء بكتاب البيان فى مداخل الشيطان (عبد الحميد البلالى) ، مؤسسة الرسالة، د.ت .

وعندما تضع الأخت المسلمة الشيطان فى وضعه الحقيقى فسوف تجد أنها تستعد لمواجهة الشيطان كما يستعد الجيش لمواجهة العدو: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال: ٦٠] ويكون هذا الإعداد من خلال التحصن بالعلم النافع وقوة الإيمان فهو وسواس خناس يقترب من الإنسان عند بعده عن الله ويخنس عند ذكر الله والتحص بآياته .

كما يكون الإعداد بالتحصن النفسى وكبت نزغات النفس العدوانية والانفعالية التى تمثل أرضا خصبة للشيطان وأعوانه من بنى الإنسان . ويتم تطهيرها بشكل دائم ومستمر من كل الشوائب والأمراض مثل الحقد والكره والحسد والقطيعة وغيرها وإذا زادت هذه الأمراض فمعنى ذلك أن تصاب الأخت المسلمة بمرض فقدان المناعة وهو ما يشبه مرض الجسد الذى يسمى أيضًا بفقدان المناعة (أو الإيدز) وتصبح الأخت كالجسد العارى المريض الذى تتسارع عليه الأمراض وهى منهزمة لا تستطيع المقاومة أو الانتصار . وتقف أعضاؤها عن آداء وظائفها : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

فإذا قلت لمن فتحت المناقشة: هذا حلال أو هذا حرام فستقول لك: أنت على الحق، فقد ران على قلبها بالآثام ولا تستطيع أن ترى نورا أو هدى قبل أن تشفى مما فى صدرها.

وفى هذه الحالة ليس لديها أعظم من دواء القرآن: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] فالإكثار من قراءته وسماعه ودراسته وحفظه وإدراك معانيه هو الطريق للشفاء بإذن الله.

مداخل الشيطان

ولها بعد ذلك التركيز على معرفة مداخل الشيطان للإنسان ومنها :

الأمر بالسوء :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (١٦٩) ﴾ .

وهو هنا مشترك مع الإنسان فى الأمر بالسوء: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فعلى المسلمة إذا فعلت السوء أن تتذكر الله سريعا وتلجأ إليه بالاستغفار والتضرع إليه يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا

اللَّهَ ﴾ [١٣٥] .

نسيان ذكر الله :

يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾

[المجادلة : ١٩]

فعلى الأخت المسلم ألا تلهيها الدنيا بما فيها من متاع عن ذكر الله، يقول الله تعالى فى سورة المنافقون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾ .

الغواية :

وهى الضلال والإغواء والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد قال تعالى فى سورة الحجر: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ [الحجر] .

فلا نجاة من غواية الشيطان للإنسان إلا بالإخلاص لله الواحد القهار .

والإخلاص يتضمن صفاء النفس بما فيها من شوائب وأمراض ، والإخلاص فى طاعة الله أن تترك الرياء ، وأن تخلص له فى القول والفعل . يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] .

نزغ الشيطان :

يوسوس الشيطان للإنسان ويزين له ما يريد منه أن يفعله يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) ﴾ [الناس] وهنا الدواء وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم . يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾ . وأن تتحرى الأخت قول كل ما هو طيب وحسن يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾ .

انتبهى أيتها الأخت المسلمة ـ وخاصة الصغيرات اللاتى يتميزن بالمرح وخفة الدم والفكاهة ـ فقد يكون ذلك مدخلاً من مداخل الشيطان ، فبعض البنات يعتبرن الفحش من القول هزلاً وأنه إزالة للفوارق بينهن ،وبعض الأمهات والجدات يعتبرن الفحش قول

الصغير الذى يتميز بالتعبيرات غير اللائقة شيئًا فكاهيا فينشأ الطفل على التفوه بهذه التعبيرات ولا يجد منها مفراً عند الكبر ، فليس كل الوقت سيقبل الناس الفكاهة بالسيئ من القول ، وليس كل الناس من يقبل هذه الطريقة فى الحديث . ومن ثم فالنتيجة أكيدة ونجاح الشيطان فى النزغ مضمون فلا تفوتى عليك فرصة الإحساس والإدراك الجيد لنزغات الشيطان فلتستعيذى بالله منه ، ولتغلقى عليه كل الأبواب .

الوعد بالفقر :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ [٢٦٨] .

تذكرى هذه الآية عندما تطلب منك أختك استعارة بعض كتبك أو بعض أشياءك ، فتجدى نفسك تنكرى وجود مثل هذه الأشياء خوفا عليها من الضياع أو الفساد وربما لا تخافى عليها من الضياع فقط ولكن تحدثك نفسك باستكثار هذا الخير عليها وتخافين أن تتفوق عليك به . وإذا تركت نفسك لهذا الحديث الشيطانى الداخلى فستجدين خوفًا على أشياءك من الضياع وخوفا على نفسك من الفقر وهنا تدركى أن الشيطان وراء هذا المرض . فلتنتبهى ولتستعينى بالله عليه وتستغفرى ولا تقطعى الخير عن أختك أو صديقتك أو من طلب منك المساعدة والتى قد تكون (مال ـ ملابس ـ أدوات كتب . . . إلخ) فلتنفقى ولا تخشى من ذى العرش إقلالا .

التخويف :

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

فكيف تخاف الأخت المسلمة ممن يخاف من الشيطان ويتبع خطواته ؟! فلتنتبه إلى كل ظالم ومتعد وفخور ومتكبر وكل من اتبع الشيطان وأصبح من أوليائه فلا تخشى إلا الله ، وتذكرى أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فأتباع الشيطان يخطون خطاه ويأتمرون لأوامره وينتهون لنواهيه فعندما يأمرهم بقطع صلة الرحم يقطعونها وعندما ينهاهم عن العمل الصالح خشية الفقر أو استهزاء بالناس ، أو ضياع الوقت فإنهم ينتهون عنه . ولذلك فكبر حجم هؤلاء الناس وارتفاع منزلتهم فى الدنيا وغناهم وقوتهم لا يجب أن يخوف المؤمنة أو تعظمه فى نفسها .

وإليك أمثلة تقرب لك ذلك :

ـ من تخاف لبس الحجاب لأنها تخاف من ناظرة المدرسة أو مديرة العمل أن تطردها

وتحرمها من الدراسة أو العمل .

ـ من تخاف من مدير العمل فلا تصلى فى وقت الصلاة حتى لا يؤذيها بالخصم من مرتبها أو الطرد .

ـ من رأت مدرسها يرتكب معصية ولكن خافت أن تشتكى خوفا من التأثير على درجاتها .

ـ من امتنعت عن النهى عن المنكر لزوجها أو أخيها أو معلمها الذى يشرب السجائر خوفًا من أذاه .

ـ من امتنعت عن الأمر بالمعروف لمعلمتها أو رئيستها فى العمل بأن تدعوها للبس الحجاب .

فهذه أمثلة لمن يخافون ممن يخاف من الشيطان . فلتدرك الأخت المسلمة أن ذلك معيار، لإيمانها بالله تعالى .

الأمانى والوعود :

قال تعالى فى سورة النساء : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠)﴾ .

فما أكثر ما وعد الشيطان البنات بالزينة ومناهم ووعدهم بكثرة إقبال الشباب عليهن وفرصة الإقبال على الزواج منهن ، وما أكثر ما وعدهن الشيطان بالغش فى الامتحانات ليحرزن درجات عالية ، وما أكثر ما وعدهن بالعمل بما يغضب الله تعالى لكسب فرصة عمل فى مكان مرموق فلتنتبه البنات والأخوات إلى الوعود الزائفة المضللة التى تهوى بصاحبها ومتبعها فى أرذل الأرذلين ، أو أسفل السافلين فى الدنيا وفى الدين .

الاستهواء :

قال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ .

هل أجريت هذا الحوار مع نفسك أو مع أخواتك أو صديقاتك : ﴿ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٧١] .

فكم من الفتيات بعد أن تختار طريق الإيمان والطاعة لله ـ سبحانه وتعالى ـ تجد إقبال الدنيا عليها وإقبال بعض صديقات السوء فإذا بها تجد نفسها فى صراع وحيرة إلى

أين تذهب ؟ إلى الأخوات فى الله أم إلى صديقات السوء ـ هى لا تراهم هكذا إلا إذا هداها الله ـ فإذا وجدت نفسها مع صديقات الدنيا والهوى والمتاع الزائل فقد استهوتها الشياطين .

ولكن فلتدرك أن الإخلاص لله هو طريق الهداية والفلاح ولتتذكر أننا أُمرنا لنسلم لرب العالمين ، فالأمر ليس ماذا أحب وأهوى وماذا أريد ولكن الأمر لله وحده وهدى الله هو الهدى : « اللهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت » .

الإيحاء بالمجادلة :

قال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ كثيرا ما تلجأ بعض البنات اللاتى لم يلتزمن بما أمرهن الله من الطاعة لله ورسوله وحسن عبادته وتحسين أخلاقهن فيلجأن إلى الأخوات اللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام والطاعة ليجادلوهن فى أمور الدين بغير علم ، ولتعلم الأخت أن هذا من عمل الشيطان، ولتنتبه له جيداً . ولا تخوض معهن فى الجدال الذى لا يأتى من وراءه الخير ، وإنما غرضه الأساسى الحقد والحسد وإذلال المؤمنات . وقد يقوم بهذا الجدال مدرس فى الفصل يجرى حواراً من هذا النوع مع المحجبات أو يقوم به أحد أقارب الأخت وذلك أمام قريباتها وزميلاتها وأصدقائها ويكون غرضه الإحراج وإظهار ضعف الأخت المسلمة الملتزمة ، والاستهزاء بها .

تحريم ما أحل الله :

قال تعالى : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأنعام]

أمرنا الله بأكل الطيبات من الرزق وحرم علينا الخبائث وهذا يعرفه الكثيرات بحكم الفطرة . ولكن إذا ظهرت مدارس للتغذية والرجيم تمنع أكل لحوم الحيوانات ومنتجاتها من ألبان وجبن وقشطة وسمن وزبادى وغيرها من المنتجات الحيوانية بحجة ضبط الجسم وإعطاءه نوعا من الهدوء النفسى والروحى فإن هذا النظام أو الرجيم ليس إسلاميًا على الإطلاق ـ فقد حرم الله أنواعًا من الأطعمة الطيبة على اليهود عقابا لهم ، ولكن حرم على المسلمين الخبائث أما الطيبات من الرزق فقد حددها لنا الشرع وحدد لحوم الحيوانات الطيبة وحدد الخبيثة ،وكان للمسلمين نظام فى الطعام اتبعه المصطفى ـ سيدنا محمد ﷺ

فجعل الطعام ثلاثة أثلاث : ثلث للمعدة ،والثلث الثانى للماء ،والثالث للهواء [(١)] فليس للشبع مكان فى سنة الرسول ﷺ ، وكان للرجيم الإسلامى المحمدى طريقًا سلكه المسلمون فلا يأكلوا إلا إذا جاعوا وإذا أكلوا فلا يشبعوا فهذا سلوك ،نظام يتحكم فى الكم والكيف بعدما عزل الأنواع الخبيثة المحرمة .

فلا لرجيم الحرمان الذى لا يأتى من ورائه خير فلا يجد متبعه إلا شرهاً بعد حرمان فيقبل على الطعام ويزيد وزنه أضعافا مضاعفة ، ولا لرجيم التحريم الذى يحرم أكل الطيبات بدعوى صحة الجسم ، ونعم لنظام الرسول ﷺ وسنته فى الطعام .

وهذه أصوله :

- كلوا واشربوا ولا تسرفوا .
- صوموا تصحوا .
- ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .
- لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع .

وهناك حديث لرسول الله ﷺ يذكر حينما يراد الاقتصاد فى الطاعة ولكن له جوانب عديدة ودروس مفيدة خاصة لمن يسرفون على أنفسهم ويحكمون على أنفسهم بأحكام ليست من الإسلام فى شىء ، فالمسلم مطالب بالالتزام بسنة الرسول ﷺ واتباع سبيلها . فعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أُخبرُوا كأنهم تقالُّوها (عدوها قليلة) وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟. قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدًا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى** » [(٢)].

ولمثل هذا الحديث أن يصحح مسيرة واعتقاد بعض الأخوات اللاتى يتخذن لأنفسهن طرقًا جديدة فى العبادة لم يسنها لنا الرسول ﷺ وهن يحسبن أنهن يحسنَّ صنعا .

---

(١) ابن ماجه فى الأطعمة (٣٣٤٩) ، وصححه الشيخ الألبانى .

(٢) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم فى النكاح (١٤٠١/ ٥٠) .

النجوى (إسرار الحديث) :

قال الله تعالى فى سورة المجادلة : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [المجادلة : ٩] . ويقول الرسول ﷺ : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه** » (١) .

والنجوى كحديث سرى بين اثنين أو أكثر فى حد ذاته ليس حراما إذا كان كما أمرنا الله بالبر والتقوى » ونهانا الله أن يكون هذا الحديث لإثم أو عدوان أو معصية الرسول ﷺ وتنبهنا الآيات فى سورة المجادلة إلى أن النجوى من الشيطان وهو ما يعتبر إشارة لكل أخت أن تقلع عن هذه العادة أو السلوك الذى لا يأتى من ورائه عادة الخير . فقلما يكون داعيا للبر والتقوى . فإذا أسرت الحديث اثنتان وكان معهما ثالثة فإن الظن سيغلب عليها أنهما يتحدثان فى غير صالحها ، فإن كان لا بد للحديث فلتحسن الأخت اختيار الوقت والمكان وألا يثمر العمل عن بغض بين الأخوات وزيادة لسوء الظن بينهن.

ألم يلفت انتباهك ما يحدثه الحديث بين أختين أو صديقتين فى ثالثتهما من حزن أو غضب أو حديث داخلى تظن فيه الثالثة ظن السوء فى الاثنتين ؟ فكثيرا ما يحدث الشجار بين الأخوات داخل المنازل ، والمدارس ، والنوادى ويتبعه الخصومة والحقد والحسد .

ومن المفيد ألا تطبق الأخوات النجوى على كل المواقف فلتدققى فى الآيات والحديث . فالنجوى نوعان : نوع محمود، ونوع مكروه؛ فالنوع المحمود: هو ما يكون نتيجته جميع أنواع الخير وهو البر وتقوى الله وهناك مواقف لا تكون النجوى مفيدة فقط ولكنه ضرورى ومطلوب الجلوس فى الأماكن العامة مثل عيادة طبيب ، ومحطة أتوبيس وهذه مواقف توضح ذلك :

- وسائل المواصلات العامة ، فمثل هذه الأماكن لا يصح الجهر بالحديث فيها ليسمعه من على اليمين واليسار حتى إذا كان المتحدث والسامع من جنس واحد . فالحديث لا يخص إلا متحدثيه .

- ارتفاع الصوت فى الحديث بين الاثنين فى الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وفصول الدراسة . فمثل هذا السلوك كثيرا ما يؤدى إلى عدم تركيز الحاضرين وحدوث

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠) ، ومسلم فى السلام (٣٧/٢١٨٤) .

الضوضاء اللافتة للانتباه والمؤدية إلى عدم الانتظام وعدم الاحترام للمتحدث [مدرس - محاضر . .] وللسامعين .

- فى أماكن العلاج أو المستشفيات حيث المرضى الذين يعانون من الآلام أو يمكثون للراحة ، فإسرار الحديث هنا مفيد لعدم الإزعاج . وهو واجب وضرورى .

- أثناء نوم الأب والأم أو الأخوة ، فإسرار الحديث واجب ومفيد للحفاظ على الهدوء والسكينة فى البيت . ولكنه يجب أن يراعى نفسية من يستمع للحديث وهو الطرف الثالث وأن يلفت انتباهه لذلك أما ما حذرت به سنة الرسول ﷺ فهو: « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان من أجل أن ذلك يحزنه** »[1] .

اتباع هدى الله :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ نزل آدم عليه السلام مغفورا له،ولكنه معه أسباب الخطأ وهى نفسه وطبعه وقلبه وهواه والشيطان وقد ورثها منه بنوه فكل بنى آدم خطاء ، ولكن الله تعالى لم يتركه هكذا . وإنما أنزل آياته على رسله وأنبيائه بالهدى للناس أجمعين ووعدهم أن من يتبع هداهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدنيا والآخرة. فأصبح الخطاء مستغفرا وكان الله توابا رحيما .

وكما أمر الله الناس باتباع ما أنزله من الهدى واتباع الرسل والأنبياء ، أمرنا الله بالاقتداء بالصالحين الذين هداهم الله يقول الله تعالى فى سورة الأنعام :﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩٠] واشترط بمن يريد أن يهتدى أن يشرح له صدره للإسلام ، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ﴾ [الأنعام :١٢٥] أمر الله تعالى باتباع هداه وعدم انتظار هداية من جولنا لكى نهتدى ، يقول الله تعالى فى سورة المائدة :﴿ **عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة : ١٠٥] وفى سورة يونس : ﴿ **قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ** ﴾

[يونس : ١٠٨]

أختاه هذه آيات بينات يأمرنا فيها الله - تعالى - باتباع دينه وهو عنده الإسلام :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] والعمل بأركانه وهى :شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠) ، ومسلم فى السلام (٣٧/٢١٨٤) .

وأن محمداً رسول الله ، إقام الصلاة ، إيتاء الزكاة ، صوم رمضان ، حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . والإيمان بالله : وهو يتضمن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدى للمتقين، يقول تعالى : ﴿ الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة] .

وقد حددت هذه الآيات من هم الذين على هدى من ربهم ولهذه الهداية أصول منها : أنها من عند الله ، وأنها خاصة بكل مؤمن ،وأنها مرتبطة بالقلب والجوارح ، وأنها لا تقبل التسويف ،وأنها لا ترتبط بهداية الغير ، وأنها قائمة على أصول دينية لا بد من تحقيقها .

فلتتذكر كل أخت على طريق الإسلام والإيمان :

- ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ [الإسراء : ٩٧] .
- ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ﴾ [الزمر : ٣٧] .
- ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .
- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥] .
- ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [يونس : ١٠٨] .
- ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] .
- ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

فإذا كانت الهداية من الله تعالى فيجب أن تتوجهى إليه بالدعاء ليهديك إياها ولتطمئنى عند الإحساس بالهداية أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لا يضروك بشىء وأن من علامات الهداية حسن الإسلام والدخول فيه بالقلب والعقل والجوارح ، ولأننا لا نستطيع هداية أنفسنا فإننا لا نستطيع هداية الغير وإنما علينا الدعاء لهم بالهداية والصلاح وأن المستفيد الأول والأخير من الهداية هو صاحبها وأن تسيرى فى طريق الهداية دون النظر للوراء فاطرحى كل العقبات وراء ظهرك

وإلى الأمام فأنت فى طريق الهداية وليس لك محطة تقفين فيها إلا الجنة إن شاء الله ، فعليك بالدعاء وتقوية الإيمان : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] .

العزم وعدم النسيان :

قال تعالى فى سورة طه : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾ [طه] .

والعزم : هو الثبات والصبر والجد فيما يريده الإنسان .

وقد قيل على ابن آدم : إنسان لأنه نسى ، والنسيان دليل على نقص فى وظائف العقل ، فلا يستطيع الإنسان أن يتذكر كل ما يحيط به من أحداث أو كل ما اكتسبه من خبرات وعلوم فجزء من هذه الأحداث والخبرات يتم نسيانها جزئيا أو كليا وكلما تقدم بالإنسان العمر زادت صفة النسيان عنده حتى لا يعلم بعد علم شيئا وعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ :« **إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » (١).

فليس كل من نسى ميعاداً معك يكون منافقا ، وليس كل من نسى إكمال عمل أُمر به مقصراً ياليتنا جميعا نلتمس لبعضنا الأعذار فلها من ثمرات البر الكثير منها الصفح الجميل فنعفو عن زلاَّت البعض ، ولا نتصيد الأخطاء لبعضنا فهى ممحقة للحب والألفة بيننا . فإذا اتبعنا سنة الرسول ﷺ فى التماس الأعذار والتى تتعدى الخمسين عذراً فسوف لا نجد غير أنفسنا المقصرين فلا نلومن إلا أنفسنا .

وعندما تضع الأم ذلك النسيان فى الاعتبار فعسى ألا تكلف أبناءها مالا يطيقون ثم تحاسبهم عليه ، وعندما تضع الأخوات ذلك النسيان فى الاعتبار سيدوم الود والألفة والمحبة بينهن ، ولا يجعلن الشيطان يدخل بينهن ويسعد بالفرقة والخصام .

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . أما إذا كان النسيان متعمداً من النفس فإن الجزاء سيكون من جنس العمل . يقول الله تعالى فى سورة طه : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه]

فالإصرار على المعصية وتناسى آيات الله وأوامره ونواهيه لا يدخل ضمن من وضعه الله عن المسلمين من النسيان ، فهذا نسيان تعمد ، نسيان بإدراك عقلى ، نسيان مقصود لجهل الإنسان بعواقبه .

---

(١) ابن ماجه فى الطلاق (٢٠٤٥) ، وصححه الشيخ الألبانى .

ألا تعلم كثير من الفتيات والبنات أن الصلاة فرض والصوم فرض والزكاة فرض ، والحجاب فرض ، وبر الوالدين والإحسان إليهما بعد عبادة الله مباشرة ، وأن الظلم حرام والكذب حرام . . . إلخ ، ولكن تتناسى الكثيرات منهن وتلهيهن نعيم الدنيا ، أو مشاغلها ، أو مشاكلها عن طاعة الله ورسوله.

ألا تعلم كثير من المنافقات أنها تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتمنع الخير عن الناس؟! بلى إنها مدركة ولكن نسيت الله . يقول الله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [التوبة] .

ألم تسمع كثير من البنات أمر الله لهن بالحجاب فى سورة النور ألم تقرأ القرآن ، ألم تسمع نصيحة أخت فى الله ، ألم تسمع وترى برنامجًا فى التليفاز يعرفها فرضية الحجاب ؟ ألم تر كيف أطاعت كثير من الأخوات ربها وأبين أن يكن من العاصيات ؟ فمن أظلم من هؤلاء البنات والفتيات ، يقول الله تعالى فى سورة الكهف : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف : ٥٧] .

ألم تعلم البنات اللاتى يأخذن من الغش فى الامتحانات وسيلة للنجاح أن من غشنا ليس منا ؟

ألم تبكِ كثير من الفتيات اللاتى وقعن فى الخطيئة أو المعصية وكان قولها : إنها لا تدرى كيف فعلت ذلك ؟ نسين أنفسهن . يقول الله تعالى فى سورة الحشر : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر] .

أختاه لا تلهكِ أمور الدنيا ومتاعها ،فالعمر يفنى بلا إنذار فلتتخذى سبيل الله طريقًا لك فى الدنيا،ولتسعدى بهذا الطريق إنه نور لك فى دنياك وأخراك إنه الطريق المستقيم. فلا ترضى بغيره بديلاً ولتسرعى الخطى لعلك تبلغى العلا ولتجعلى موت الشباب والأصحاء والأقوياء لك آية فلا تنتظرى للغد لعله يكون يوم الحساب .

ولنلقى نظرة على من سمعت وأطاعت والتزمت وأخذت حظا من الثقافة فى دينها، وأنعم الله عليها بإلقاء الدروس أو العظات أو المحاضرات لغيرها ، فإن لها مع النسيان نصيبًا يجب أن تتنبه له ولتذكر قول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة] .

فالبنات اللاتى أنعم الله عليهن بنعم لم ينعم بها الله على غيرهن أولى بشكر هذه النعمة والعمل بها ، فالبعض يأخذن من آيات الله ليفتحن أبوابا من النقد اللاذع والهجوم وسوء الكلام على غيرهن لاعتقادهن أن هذا الأسلوب ربما يكون رادعًا لهن عن المعصية، وإذا بهن يصبحن مصدرا للنفور وإحجام الناس عنهن وتأخذ البنات فى تصيد الأخطاء للواعظات حتى يرين أنهن أكثر خطأ منهن أو أكثر معصية فيخسرن أنفسهن ويخسرن غيرهن ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ .

وقد تزيد بعض الأخوات فى النصائح وتتميز فى دعوتها وتصل إلى درجة الإقناع، ولكن لا تتقن الإخلاص مع الله ونفسها ويكثر بينها وبين من حولها من الأقارب من شجار أو مخاصمة ويكفيها ما تجده من تجمع بعض الأخوات حولها لسماع ما تلقيه عليهن من الحكمة فلتتذكر حديث الرسول ﷺ أنه قال : « **إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار ، فيقولون : بما دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل** » .رواه ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن عقبة .

وقد تجدين بعض الأمهات ينصحن أولادهن بالبر لآبائهم وأمهاتهم ، ولكن ينظر الأولاد فيجدون أمهم لا تبر أمها ولا أقاربها ، فكيف تكون النتيجة ؟!

وكم من أمهات ينصحن أولادهن بعدم الكذب ، وتأتيه فيرى الأبناء أن أمهم تكذب على زوجها ، أو تأمرهم بالكذب عليه فى الوقت الذى تأمرهم فيه بأن يكونوا صادقين فى القول !!

وكم من الأخوات طلبت ممن هم أصغر منها أن يحترموها ويقدروها ، ولم تنظر إلى نفسها هل عطفت هى عليهم وزرعت فى قلوبهم الحب لكى يبادلوها إياه ويعطوها قدرا مرضيا من الاحترام . فلا يصح أن أطلب من غيرى أن يعطينى الخير له ولم أعطِ لهم رائحته .

أما إذا كان النسيان من الشيطان ، فللقرآن معه آيات بينات علينا الانتباه إليها يقول الله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

فعلى الأخوات أن ينتبهن أن إحساسهن بأن الشيطان وراء الخطأ والنسيان فعليهن الاستجابة السريعة لأوامر الله عز وجل . وأن يقلعن عن المعصية فى وقتها ولا ينتظرن

إلى أن تكتمل حتى تبدأ الإقلاع والاستغفار طالما جاءها ولو نور خافت . فإذا تركت الأخت نفسها فى طاعة الشيطان واعتبرت أن الأمر بسيط فإذا به يستحوذ ويسيطر على المذنب حتى يرى الباطل حقا ويرى الحق باطلا . ثم ينضم إلى الشيطان ويصبح من حزبه ، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (١٩) ﴾ [المجادلة] . فلتحاربه بذكر الله فى السر والعلن ، فى الليل والنهار ، فى الراحة والانشغال ولنتذكر أمر الله تعالى بالذكر في سورة الكهف : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ [الكهف : ٢٤] ولنتذكر أن مما ينسينا الذكر الشيطان فى سورة يوسف : ﴿ **فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** ﴾ [يوسف : ٤٢] .

اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان أن يضلنا أو ينسينا ذكرك أو شكرك أو حسن عبادتك . اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

الفصل الثانى

سنة نوح عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة سيدنا نوح عليه السلام

نوح عليه السلام من سلالة شيث بن آدم ـ أبى البشر ـ عليه السلام . بعثه الله تعالى إلى قومه بعد أن ضلوا ضلالا مبينا ، وتعجبوا لتنزول رسالة سماوية من رب العالمين على رجل منهم . وكذبوه وأصروا على موقفهم منه فكانوا كلما سمعوا كلام الله وتذكيرهم بآيات الله أعرضوا عنه .

ووجد الكافرون أن الذين أسلموا واتبعوا الرسول نوحًا عليه السلام هم من أراذل القوم وأضعفهم واعتبروهم جميعا كاذبين . لم يطلب منهم نوح عليه السلام تفضيلا عليهم ، أو مالاً أو أى متاع من الدنيا ولكنه جاء ليذكرهم بعبادة الله وحده لا شريك له . فهو رجل منهم ليس بغنى ولا يعلم الغيب ولا هو بملك . ولكنهم أصروا أن يروا العذاب الذى يعدهم فى اليوم الذى لا ينفع الإيمان فيه إلا لمن آمن من قبل .

استمر نوح فى دعوة قومه متلطفا معهم بأنه لم يأتِ ليفرض عليهم الدين أو يلزمهم به ولكن هذا أمرهم ، ولم يؤمن به إلا قليل رغم مدة دعوته الطويلة فقد استمر يدعوهم عليه السلام تسعمائة وخمسين عامًا وأصروا على العذاب وطلبوه ليتحققوا من صدق نبوة نوح عليه السلام .

ودعا نوح عليهم ألا يبقى من الكافرين على الأرض أحد حتى تتطهر الأرض منهم وتبدأ الحياة فى الأرض من جديد بجيل جديد مؤمن بالله الواحد . ودعا ربه أن ينصره عليهم ،فأمره الله أن يصنع سفينة فى الأرض التى لا يوجد فيها بحر أو شاطئ فتزايدت سخرية قومه منه وتزايد توعده لهم بالعذاب،وكان ذلك على رعاية من الله ووحيا منه، وأخبره الله ماذا سيفعل بالسفينة ومن الذى سيركبها ومتى سيركبونها ومن الذين يحرم عليهم ركوبها فإذا جاء موعد العذاب ، يبدأ فى تحميل السفينة من كل مخلوقات الله زوجين وكل من آمن أما أهل نوح فقد سمح الله تعالى للمؤمنين منهم فقط ولم يسمح لأقرب الأقربين إلى نوح الذين لم يؤمنوا بالله وهما زوجته وولده .

وعلم الله نوحًا ماذا سيقول إذا بدأت السفينة فى الاستواء على سطح الماء بأن

يحمد الله الذى نجاه من القوم الظالمين،وأن ينزله منزلا مباركًا ،وعلم نوح المؤمنين دعاءً عند ركوبها : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود] .

ورغم أن الله قد أخبر نوحًا بأن ركاب السفينة هم المؤمنون إلا أنه طلب من ابنه أن يركب معه بعد أن يؤمن وأن يترك الكافرين فكيف ذلك ؟ وأنه لا يؤمن فى هذا اليوم إلا من آمن ؟وصدقت الآيات وأصر ابن نوح على كفره واعتقد أنه قادر على إنقاذ نفسه قال له نوح : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود : ٤٣] ، وعندما تمت كلمة الله على القوم الكافرين ، رجعت أحوال الأرض كما كانت وهدأت السماء ، واستوت السفينة ، وكانت عاقبة الكافرين المعاندين المصرين على حال الجهل والعصيان وعدم اتباع الرسول أن أغرقوا فى الدنيا وذاقوا عذاب الحريق بعد الموت .

قال تعالى فى سورة نوح : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح] .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة نوح عليه السلام فى التوبة :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود] . فى : لا وساطة فى الدين .

قال تعالى فى سورة نوح : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح] للاستعانة بالدعاء والاستغفار .

قال تعالى فى سورة هود : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود] للاستعاذة من الجهل .

﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] للإحساس بالخسارة والندم .

منهج التوبة

لا وساطة فى الدين :

مسؤولية الفرد عن عمله :

قال تعالى فى سورة هود : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود] .

فهذا دعاء نبى إلى رب العالمين ، يدعو فيه لابنه بالنجاة فهل شفع له عند ربه ؟ أم أن العمل والإيمان بالله هو المعيار ؟ فهل القرابة أو الصداقة تشفع للكافر وللعاصى ولمن أخرجه الله من رحمته ؟! فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود : ٤٦] فالنسب لم يصبح له مكانة فى هذا اليوم العظيم.

فلا يغرنك أن والدك رجل دين أو رجلاً صالحًا أو أن أخاك كذلك أو أن الزوج من المؤمنين الصالحين المهتدين فكل يأتى يوم القيامة فردا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . فماذا أحضرت لهذا اليوم ؟ هل هو يوم لعيد الميلاد حيث يستعد له البعض من العام إلى العام بالشراء للأدوات والاحتياجات وبإعداد المال الذى سينفق عليه ، وبالتفكير فيمن سيحضر هذا الاحتفال ليرى ماذا فعلت فيه وله أما فى اليوم العصيب الذى يقول فيه المؤمن : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة] .

فهل ستفكرين فى هذا اليوم أم فى يوم عيد الميلاد فأين فخر الدنيا الزائلة والتى لا يخرج منها المدعوون له إلا بالحديث عنك وعليك من فخر يوم الدين الذى أعد له المؤمن وخط كتابه بيمينه وأشهد عليه الشاهدين فلتعملى لهذا اليوم ولتتجهزى له ولتستعدى فربما يكون قريبا .

الأخوة فى الله :

إذا كانت الأخوة فى النسب لا تستطيعى أن تختاريها حسب ما تريدين ، فإن الأخوة فى الله هو ما تقدرين عليه ، فتذكرى أن كل من آمن بسيدنا نوح عليه السلام أصبح فى مكان واحد آمنًا سالمًا ، وأن ما عداهم من أقارب وأصدقاء فى الدنيا فى مكان آخر فلم يجتمعوا فى الدنيا يوم حسابهم ولن يجتمعوا فى الآخرة يوم الحساب العظيم ـ يوم الدين .

فلتبحثى عمن تحبينها فى الله ولا يكون بينك وبينها إلا الله فلا مصلحة ولا حاجة من حوائج الدنيا ولا شيئًا ذا منفعة دنيوية تبحثين عنه عندها . ستنالين حب الله فى الدنيا وظله فى الآخرة يوم لا ظل إلا ظله . أما الأخريات اللاتى فضلن صداقات الدنيا فسينلن منها ثمارا مرة فى الدنيا وفى الآخرة لا تكون لهن شفعاء ولا صديقات يقول الله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) ﴾ [الشعراء] .

ولكن ربما تتساءلين هل من شرط الحب فى الله ألا يكون هناك مصلحة بين الأخوات على الإطلاق ؟ فربما تذهبين ومعك مصلحة لها أو قضاء حاجة من حوائج الدنيا لك أو لها وهو ما يزيد الحب والخير بين الأخوات فخير الأصحاب خيرهم لصاحبه، ومن هدى الرسول ﷺ الهدية فهى تؤلف بين القلوب وتحبب النفوس لبعضها (١) .

فإذا كانت مثل هذه الأمور الدنيوية وسيلة لحب الله فهى لله وإن كانت العلاقة مرتبطة بها فهى للدنيا فالمؤشر واضح فقد تجدين نفسك منشرحة عند لقاء إحدى الأخوات وتسرعى فى تلبية ندائها وطاعتها فى الخير ، ولكن فجأة تجدين نفسك قد تغيرت وتغيرت الأحوال رويدا رويدا فلماذا إذن ؟ الإجابة هو أن الحب لم يكن لله بل كان للدنيا فعندما انقطعت أسبابها انقطعت الصلة .

وقد تكون العلاقة بين الأخوات لإشباع حاجات فى النفس أو اتباع الهوى على الرغم من إمكانية أن تكون هذه العلاقة فى الظاهر دينية وتعبدية لله . فقد تحرص بعض الأخوات على حضور مجالس للعلم والعبادة إلا أن نفسها تحدثها وتدفعها للحضور من أجل التظاهر على الأخوات بالعلم أو بالملبس أو بالإمكانيات المادية التى ربما تفوق غيرها من الحاضرات أو تذهب لتفضح أختًا من الأخوات أمام غيرها وتعتبرها فرصة للمنازعات وإعلان الخصومة .

فإذا كانت فى نفسها حاجة من هذه الأشياء فلا يكون العمل أو الأخوة فى الله ، فالشكل لا يغنى عن الجوهر ، ليكن المؤشر هنا انتهاء السبب التى تدعو إليه النفس فإذا انتهى السبب وانتهت عن الحضور فهو للنفس وليس لله وإذا انتهى السبب وواظبت على الحضور وتابت إلى الله مما ارتكبت من ذنوب وأخلصت العمل لله فهو لله إن شاء الله.

وهناك جوانب أخرى تتصل بمن تقبلين عليها وتصاحبينها فى الله يمكن التذكرة

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (١٧٤) ،والتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (١٣٥٣) وقال : « إسناده حسن » ، وحسن إسناده الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (١٦٠١) .

ببعضها ـ والله يوفقك ـ فى أكثرها إن شاء الله :

ـ ألا تتبع أهواءها . يقول الله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف] .

ـ أن تحب لقاء الله وتحب الجنة وتحب كل عمل يقربها إليها .

ففى سورة النجم: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم] .

ـ أن تكون أوابة إلى الله كثيرة الاستغفار والتوبة ففى سورة لقمان : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

ـ أن تأمركِ بالمعروف وتنهاكِ عن المنكر .

وهناك جوانب تتصل بك تجاه من تحبين فى الله وهى كثيرة نذكر منها :

ـ أن تكونى رحيمة بها فلا تكلفيها ما لا تطيق .

ـ أن تلتمسى لها الأعذار ولا تتصيدى لها الأخطاء .

ـ أن تسرعى فى قضاء حوائجها .

ـ أن تكونى رقيقة معها ، قال ﷺ : « **ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصناها وأصلبها وأرقها ، أصناها من الذنوب ، وأصلبها فى الدين ، وأرقها على الإخوان** » أخرجه الطبرانى وإسناده جيد .

ـ أن تحفظى أمانتها وأسرارها .

ـ أن تسكتى عن أى من عيوبها .

ـ أن تدعى لها بظهر الغيب فى حياتها وفى مماتها .

ـ الثبات على الحب ومداومته وعدم تغير الحال بتغير الأحوال .

الشفاعة :

وهى ثلاثة ، اثنتان فى الدنيا فى أمور الدين أو الدنيا ، وواحدة فى الآخرة هى طلب العون والغوث ، والتوسط بالقول فى وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية .

يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾

[النساء : ٨٥]

وفى سورة البقرة يقول الله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ﴾ [البقرة : ٢٥٥] فى أمور الدين كما فعل نوح مع ابنه ، أو فى الدنيا فالشفاعة قد تكون فى الدنيا كأن يشفع مسلم لآخر ويعاونه فى الخير. فيكون له نصيب من هذا الخير. وقد تكون فى الآخرة حيث يشفع سيدنا محمد ﷺ لأمته ، ويشفع الصالحون والشهداء لغيرهم بإذن الله .

كما رفض الله تعالى شفاعة نبيه نوح عليه السلام فى ابنه والإسلام لا يرضى بالشفاعة فى حدود الله فيعلمنا الرسول ﷺ عدم الشفاعة فى الحدود فعن عائشة رضي الله عنها ، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : « **أتشفع فى حد من حدود الله ؟** » ثم قام فخطب ثم قال : « **إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمه بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها** » متفق عليه [(١)] .

أما فى أمور الدنيا للصلح بين اثنين ، أو لقبول شخص فى مهنة أو وظيفة ، أو فى شراء بضاعة أو فى القيام بخدمة أو غيرها من الأمثلة فهى من الأعمال المحببة والتى يشجع عليها الدين إذا قامت على الحق ولم يبغ من ورائها ضرر لأى طرف أو جماعة ، ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء : ٨٥] . ويجب أن تنتبه الأخت المسلمة إلى الوساطة المنتشرة الآن فى التوظيف فى مهن معينة والتى تؤدى إلى استيلاء جماعة ذى سلطة معينة على مهن بعينها دون غيرهم كما يحدث فى كثير من الوظائف الحكومية ـ وخاصة فى المجال السياسى والإعلامى والاقتصادى ـ فتصبح هذه الوظائف حكراً على جماعة دون أخرى بسبب الوساطة فإن هذا هو الظلم بعينه لجميع الأطراف .

فالظلم لمن أخذ منصبًا ليس أهلا له فلا يؤدى حقه فيظلم نفسه والظلم لمن له الحق فى تقلد هذا المنصب ولم يعطِ الفرصة لهذا العمل الذى كان يمكن أن ينفع غيره به كثيراً.

والظلم على المجتمع الذى يتحمل عواقب الضعفاء وغير المؤهلين للأعمال أو الوظائف وتكون النتيجة على الجميع والتى يتحمل وزرها ووزر من عمل بها مبتدعوها والقائمون عليها وبها .

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٨٧) ، ومسلم فى الحدود (١٦٨٨/٨) .

وربما تتساءلين كيف يمكن أن تشفعى شفاعة حسنة ويكون لك نصيب منها ؟

فهل فكرت فى هذه المواقف ؟

ـ عندما تأخذين صديقة لك وتعرفينها على أخوات ملتزمات وتشكرين فى أخلاقها وتحببينهن فيها .

ـ عندما تذهبين مع أحدى الأخوات لتصلحى بينها وبين غيرها ممن وقعت فى خصومة معهم (الوالدان ـ الزملاء ـ الجيران ـ الصديقات) .

ـ عندما تتوجهين لصاحب عمل وتتوسطين عنده لأختك المسلمة لكى يقبلها فى العمل عنده .

ـ عندما تمدحين بعض أعمال أخواتك بالحق بنية المصلحة لهن . كأن يقبل عليهن الناس لشراء بضاعة أو لعرض القيام بعمل ما .

فهذه مواقف دربى نفسك عليها لكى يكون لك نصيب فى الخير مع من شفعتِ لهن . والله الموفق وهو من وراء القصد وهو يهدى إلى سواء السبيل .

وإليك يا أختاه ثلاث آيات تنطلقين منهن لعمل الخير وهى :

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ ﴾ [الزلزلة] .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الجاثية : ١٥] .

تحدثت عن نوعين من الشفاعة ، وهما : الشفاعة فى أمور الدين سواء عند الله أو عند البشر ، والشفاعة فى أمور الدنيا ، أما الشفاعة يوم الدين فقد حلت وجازت لأمة محمد ﷺ .

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ،و ابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة** » رواه البخارى (١) .

فى اليوم الذى يقول فيه آدم أبو البشر: نفسى نفسى ، ويقول فيه نوح عليه السلام : نفسى نفسى،ويقول فيه إبراهيم الخليل:نفسى نفسى،ويقول فيه موسى: نفسى نفسى ،

---

(١) البخارى فى الأذان (٦١٤) .

ويقول فيه عيسى : نفسى نفسى ، يقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ : اشفع تشفع . ولهذا فهو ليس سيدنا فقط ولكن سيد الناس أجمعين .

فهيا بنا لنعيش فى هذا اليوم العصيب مع كلمات الرسول ﷺ عن أبى هريرة ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى دعوة فَرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه فنهس منها نهسةً (أخذ بأطراف أسنانه) وقال: «أنا سيدُ الناس يوم القيامة ، هل تدرون مما ذاك ؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ، ويُسمعهم الداعى وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناسُ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناسُ : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدمُ فيأتونه فيقولون يا آدمُ : أنت أبوُ البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فقال: إن ربى غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نُوح فيأتون نوحًا فيقولون : يا نُوحُ ، أنت أول الرسل إلى الأرض ،وقد سماك الله عبدًا شكورا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبلهُ مثلهُ ولم يغضب بعدهُ مثله . وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى إبراهيم : فيقولون : يا إبراهيم أنت نبى الله وخليلهُ من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ ، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك: ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ ، وإنى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى : اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلَّمت الناس فى المهد ، اشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثلهُ ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى :اذهبوا إلى محمد ﷺ » .

وفى رواية : « **فيأتونه فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ، ثم يفتح الله علىّ من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحهُ علَى أحد قبلى ثم يقالُ : يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأرفع رأسى فأقول :أمتى يا ربِّ،أمتى ياربِّ،أمتى يا ربِّ ،فيقال يا محمد:أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين** (جانبى الباب) **من مصاريع الجنة كما بين مكة وهَجَرَ أو كما بين مكة وبُصْرى** » . متفق عليه (1) .

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على نعمة الإسلام وأن جعلنا من أمه محمد ﷺ فأكرمنا بها فى الدنيا وجعلنا خير أمة إن شاء الله وأكرمنا بها فى الآخرة . اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك محمد ﷺ ، اللهم اجعلنا ممن يدخلون الجنة بغير حساب رحمة منك ومغفرة يا غفور يا رحيم .

الدعاء والاستغفار :

قال تعالى فى سورة نوح : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا** (٢٨) ﴾ [نوح] .

توجه نوح عليه السلام بالدعاء إلى الله والاستغفار له ولوالديه ولكل من دخل بيته ولكل من تبعه وآمن بدعوته ولكن كان الجزء الثانى من الدعاء على من لم يتبعه وطلب من ربه أن يزيدهم خسرانًا ، وهو ما جعله يرجو رحمة ربه ومغفرته يوم القيامة بدعوته على قومه الذين لم يتبعوه ولم يؤمنوا به وأصروا واستكبروا استكبارا . وعندما أنعم الله على البشرية بخاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين والذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق علمنا كيف تعامل مع قومه الذين عادوه وظلموه فقد دعا لهم : « **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** » (2) . دعا الرسول محمد ﷺ كثيرًا بالهداية والغفران لكثير من المعاندين المستكبرين ، وقد استجاب الله لدعائة فأقبلوا جميعًا مسلمين . فكان ما أن يسلم معاند إلا وأتبعه قومه ففاز وفاز من تبعه .

ويأمرنا الله تبارك وتعالى بالدعاء ،قال تعالى فى سورة غافر : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي**

---

(1) البخارى فى الأنبياء (٣٣٤٠) ، ومسلم فى الإيمان (١٩٤/٣٢٧) .

(2) إتحاف السادة المتقين (٨/٢٥٨) ، والدر المنثور للسيوطى (٢/٢٩٨) .

أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . وقال فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] . إذن فهناك أمر بالدعاء ووعد بالاستجابة ، واعتبر الرسول ﷺ الدعاء هو العبادة ،وعندما أتى رسول الله ﷺ رجل يسأله كيف يسأل ربه قال له ﷺ : « **قل : اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، وعافنى ، وارزقنى ، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك** » (١) .

وعندما سأله أبو بكر الصديق عن دعاء يقوله فى صلاته قال : « **قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما** كثيرا . **ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم** » متفق عليه (٢) .

إذن فالدعاء لله من صفات المسلم العابد ويجب أن تتحلى به المسلمة وأن تتعلم الصدق فى الدعاء وتحفظ من هدى الرسول ﷺ فى الدعاء . وقد يكون الدعاء للنفس وللوالدين أو للمؤمنين والمؤمنات أو دعوة العبد المسلم لأخيه بظهر الغيب فهى مستجابة.

وللإسلام فى الدعاء أصول نذكر منها :

- أن ندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة .
- ألا ندعوا على أنفسنا ؛ ولا ندعوا على أولادنا ، ولا ندعوا على أموالنا .
- أن ندعوا لمن يصنعون لنا معروفًا .
- أن ندعوا لمن ظلمناهم بقول أو فعل أو ظن سوء .
- أن ندعوا للوالدين كثيراً .
- ألا ندعوا بإثم أو قطيعة رحم .
- ألا نستعجل إجابة الدعاء .

عن أبى هريرة قال : يقول الرسول ﷺ : « **يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول : قد دعوت ربى فلم يستجب لى** » متفق عليه (٣) .

- اختيار الأوقات المرجو الاستجابة فيها للدعاء مثل السجود ،بين الأذان والإقامة ،

---

(١) أحمد (٣/ ٤٧٢) .

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٢٦) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٥/ ٤٨) .

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٤٠) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٥/ ٩٠) .

عند إفطار المسلم بعد الصوم، عند القيام بالأعمال الصالحة ، فى السحر ، يوم الجمعة ، العشر الأواخر من رمضان .

- وكونى على يقين يا أختاه بالإجابة إن شاء الله وهذه الإجابة قد تكون على شكلين كما قال رسول الله ﷺ : « **ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها . ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم** » (١) .

- العزم فى الدعاء :

عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال : « **لا يقولن أحدكم : اللهم اغفرلى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسأله فإنه لا مكره له** » (٢) .

فالله تعالى عند ظن عبده به ، فلندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة .

« اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

« اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » .

- استحضار النية لله تعالى والبدء فى العمل .

إذا فتح الله عليك بورد يوميا تقرأين فيه آيات الله وليكن جزءًا من القرآن أو أقل أو أكثر فعليك بكراسة لتجميع أزهار الدعاء فى كتاب الله فستجدين منها ألوانا ورائحة وأشكالاً وجمالاً لم تريه من قبل فى أى حديقة ، وربما قرأت كثيرًا ولكن لم تقطفِ من هذه الأزهار لتأخذى منها ما يعطر نفسك ولسانك ويغذى قلبك وحواسك ويقوى عقلك وجوارحك . فأسرعى بالعمل والله المستعان .

الاستعاذة بالله من الجهل :

قال تعالى فى سورة هود : ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)** ﴾ [هود] .

فالعلم عكس الجهل ، والمسلم مطالب - دائمًا - بالابتعاد عن الجهل والجاهلين ، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى درجة العلم الكامل بالأمور، إذن فصفة الجهل توجد فى

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٣) وقال : « حسن صحيح غريب من هذا الوجه » ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٩٦/١١) : « حديث صحيح » .

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٣٩) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٩/٢٦٧٩) .

بنى آدم بدرجات متفاوتة .

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب] .

ومثل هذه الصفة الإنسانية هى التى تدعوك إلى طلب العلم الدائم فمهما قرأت وعلمت فى شىء فإن علمك ناقص . فهو ناقص فى الزمان وناقص فى المكان وناقص فى الكم وناقص فى الكيف . فما تتعلميه اليوم ربما يتناقض ما تعلمه غيرك فى الماضى وينقض دون محالة عما سيتعلمه غيرك فى المستقبل .

ومن فوائد إدراك هذه الصفة الإنسانية [الجهل] :

- المداومة على العلم وفتح مجالات جديدة لم تدركيها بعد ،فكل علم ينفع غيره .

- عدم الاغترار بالعلم أو الدرجات العلمية فهى مرحلة .

- التماس الأعذار للآخرين فليس كل من أمامك عالم فيما يتحدث فيه . ومن ثم طلب المغفرة له ولغيره .

- كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله فما نعده علما قد يكون جهلا دون أن ندرى . لقصور فى الإدراك والوظائف المعرفية لدى الإنسان بشكل عام مثل : الانتباه للأمور ، والقدرة على التذكر ،والقدرة على الاسترجاع للمعلومات ، والقدرة على الفهم الجيد .

« اللهم إنا نستغفرك لما نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ، ونستغفرك لما أنت أعلم به منا . فأنت الأول وأنت الآخر وأنت الظاهر وأنت الباطن وأنت على كل شىء قدير» .

- العلم بأن مثل هذه الصفة [الجهل] هى التى تفتح على المسلم باب الغفران والرحمة من رب العالمين .

يقول الله تعالى فى سورة النحل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل] .

ويقول الله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام] .

ويقول فى سورة النساء : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء] .

هكذا أعطى الله للإنسان مفاتيح رحمته ومغفرته يفتحها بابًا تلو باب

الخطأ بالجهل	التوبة	عمل صالح	المغفرة والرحمة

ـ كثرة الاستعاذة بالله من الجهل :

قال تعالى فى سورة : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة] .

وكان الرسول ﷺ يتعوذ من الجهل ومن أن يجهل أو يجهل عليه : « **اللهم إنى أعوذ بك أن أجهل أو يجهل علىّ** » .

ـ عدم التسرع فى الحكم على الناس خوفا من إصابتهم بجهل، يقول الله تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات] .

هذا إذا كان الجهل فينا ، ولكن ماذا لو كان فى غيرنا ؟! يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

هل تدرين كم المنفعة التى ستحصلين عليها إذا امتثلتِ لأوامر الله ـ سبحانه وتعالى، وإذا اتبعتِ النور الذى أنزل على نبيه محمد ﷺ وإذا اهتديتِ بهداه وإذا اجتنبتِ ما نهى عنه ؟

إنها السعادة لك ولغيرك فى الدارين بإذن الله ، دار الفناء ودار البقاء ، دار الدنيا ودار الدين. فسارعى إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

ـ فخذى العفو عمن ظلمك ولا تتصيدى لهم الأخطاء فكل بنى آدم خطاء .

ـ وأمرى بالمعروف باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة وزادك الصبر .

ـ أعرضى عن الجاهلين فكأن جهل الغير يثير فى النفس جهلها ويدفعها إلى الجهل والخطأ ـ فأعرضى عنه أينما كان ـ وقاية وحفظا ـ لك من الوقوع فيه والإعراض ليس الخصومة ولكن عدم الخوض فى الباطل .

وربما تتساءلين كيف تأمرين بالمعروف وتعرضين عن الجاهلين ؟ إنها ميزان للنفس يجب أن تزينيه بالعقل والحكمة فلا نجادل السفهاء والجاهلين إلى أن نقع معهم فى الخطأ

فقليل من العلم مع كثير من الجهل ربما ينفع الجاهل فلا تثقلى عليه فيزداد جهلاً فربما يكفيه السلام كضوء خافت للإيمان ، يقول الله تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان] .

- إن الإسلام يعطى لك شهادة لا تستطيعى أن تدركيها إذا التحقت بالمدارس والجامعات والدراسات العليا .

إنها شهادة الأخت الفاضلة مكتوبة على ورق من ذهب أصفر عليها اسمك وصورتك بالذهب الأبيض ستكون معك أينما ذهبت وسيراها كل من عاملك وعرفك مختومة بالمسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

تعطى لك هذه الشهادة :

- إذا عفوتِ عمن ظلمك .

- وإذا أعطيتِ من حرمك .

- وإذا وصلتِ من قطعك .

فهذه ثلاث مواد ستدرسينها داخل مدرسة نوح عليه السلام ، وسيكتب قبل اسمك بدلاً من أ .د [الأستاذة الدكتوره] أ . ف [الأخت الفاضلة] بعد حصولك على هذه الدرجات الفاضلة الثلاث .

فماذا بعد هذا إلا الشكر لله على نعمه وفضله وتكريمه لك فى الدنيا والآخرة . فله الحمد فى الأولى وله الحمد فى الآخرة وله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وهذه أبيات شعر لكيفية معاملة السفهاء، يقول فيها الشاعر:

يخاطبنى السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الإحراق طيبا

الإحساس بالخسارة والندم :

قال تعالى فى سورة هود : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

أحس نوح عليه السلام بوضعه من الخسارة والهلاك إذا لم يغفر الله له ويرحمه، وهو إحساس نبى من أنبياء الله بعدما أعطاه الله النبوة وفضله بها فكيف تكون نهايته غير الغفران !

ولك أن تستشعرى ذلك من مواقف حياتية لبعض الناس ربما يفسر لك انفعالاتهم وحزنهم أو إحساسهم بالخسارة الكبيرة عند أقل الخطأ أو الذنوب . عندما يبكى الطالب المتفوق على عدم إحرازه الدرجات النهائية وإحساسه بالألم النفسى الكبير، وعندما يمرض التاجر الذى حقق أرباحا كثيرة لخسارته فى عملية تجارية بسيطة ، وعندما يحس الابن والابنة البارة بأهله عظيم الذنب عند الخطأ البسيط في حق والديها وذلك بعدما وصلت إلى درجة عالية من البر بهما وحبهما .

فهذه مواقف ثلاثة لتقريب مدى الإحساس المرهف للأنبياء فى تعاملهم فى أمور دينهم ودنياهم ، ولعلك تعرفين أن رسول الله محمداً ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وكان يصلى الليل حتى تشققت قدماه وكان جوابه بعد أن ذكر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أفلا يكون عبداً شكورا ؟! (١) .

فالإحساس بالخسارة والندم من الشروط الأساسية للتوبة ، وقد تحسين بالخسارة عندما تتمنين لو عاد بك الزمن لتصححى أخطاءك وتهذبى سلوكك ويستقيم سيرك ، فهذه فتاة كانت تعصى والدها وهى ضده على الدوام فجاء يوم موته فلم تستطع أن ترجعه لتبره وتطيعه فأكثرت من البكاء وتمنت لو كان حيا لترضى فيه ربها . فأكثرت من الدعاء له والاستغفار لها وله عسى الله أن يتقبل توبتها وأخذت تبره بعد موته ، وبعدما عرفت أن لها فرصة بر والديها بعد موتهما بالدعاء والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وتصل الرحم المتعلقة بهما ، وإكرام صديقهما . أخذت فى العمل فهذه علامات لبر الوالدين بعد موتهما فيها ما بين العبد وربه وما بين العبد والعباد .

لقد كثرت المفاهيم اليوم وكثرت ما تتضارب به من معان، وعندما بعد المسلمون عن دينهم وقرآن ربهم وهدايته أخذوا علمهم عن الجاهلين فى أمور دينهم ودنياهم ، وأعطوهم الثقة فى تحويل مفاهيمهم رأسا على عقب ولم يصبح لأعدائهم رأى فى دنياهم فقط وإنما دخلوا فى أمور دينهم ليحذفوا منها ما يشاؤون ويغيروا منها ما يستهوون ويضيفوا إليها ما يستعظمون ، فهل نحن المسلمين منتهون ؟! لقد قبل أعداء المسلمين أن يغيروا فى دينهم،وأن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض . فهل جاء الزمان على المسلمين بأن يقبلوا ذلك ؟!

يجب أن نفيق وإلا دخلنا فى دائرة المغضوب عليهم والضالين .

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧١) ، ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨١٩ / ٧٩) .

أختاه يجب أن نبحث فى كتاب الله وأن نفهمه وندرك مفاهيمه كما يحب الله ويرضى وكما أمرنا رسول الله ﷺ وكما سار على نهجة السلف الصالح .

ربما تكون هذه كلمات لتمهدى نفسك جيداً للتفكر فى مفهوم الخسارة فى زمن العولمة وزمن الاقتصاد الحر . فهل ما نحن بصدده خسارة فى المال أو العلم والثقافة والدرجات العالية والتنسيق حسب المجموع الذى يلحق من يريد ومن لا يريد فيما يريدون أعوانًا وأولياء أعداء الدين ، فلم تصبح عند الناس الخسارة فى عدم توظيف المتعلمين ولا فى كيف يستفيد المجتمع فيما أنفق على العلم والمعلمين ، إنها أشياء صورية لا تسمن ولا تغنى من جوع ،وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

فهل تعنى الخسارة عند الفتيات عدم مشاهدتهن حفلة المغنية (فلانة) أو المطرب (فلان) أو عدم الاحتفال بعيد الزنا (عيد الحب) فكّرى فى المفاهيم كيف قلبت الفضيلة (الحب) إلى رذيلة (زنا) وأعطتها اسمها ، ابحثى عن معنى المفاهيم فى دينك لكى تستقيم دنياك . كيف أقنع أعداء الدين الإسلامى المسلمين بأن وضع أموالهم فى شركات المسلمين والربح الحلال أصبح خسارة وأن وضعهم لأموالهم فى بلاد أعداء المسلمين هو الكسب وأن الربا هو الحل . كيف حاربت الشركات الإسلامية التى كانت تعطى أرباحا حلالا مباركة وضيقوا على أصحابها وصادروا أموالهم حتى أقنعوا الناس،وأفهموهم بأن الحلال خسارة ، وأن أصحاب الشركات الإسلامية لصوص ، فكرى فى المفاهيم . كيف حول أعداء دينك مفهوم الداعية الإسلامى المحترم إلى ممثل يبغى الشهرة والمال وكيف يُظهرون الفاسقين نجوما فى السماء ويصفقون لهم بأيدهم وأيدى المسلمين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار . فكرى فى المفاهيم كيف حول أعداء دينك الجهاد ضل المحتل إلى إرهاب وكيف يعملون على إقناع المسلمين بذلك وكيف يعقدون المؤتمرات والندّوات ولقاءات القمة للرؤساء وملوك المسلمين لكى يوافقوا على محاربة المجاهدين ضد المحتل الجبان . وهم فى ذلك يعلنون ويفتخرون بصداقة رؤساء المسلمين وملوكهم ومدى مساهمتهم فى قضيتهم المعادية للجهاد المشروع . والمساندة للاحتلال والظلم والقهر والعدوان والضرب بأطنان القنابل .

أختاه الأمثلة كثيرة فهذا عصر المفاهيم ، فأجدر بك أن تقرأى وتبحثى وتدركى ماذا يريد الله أن تعرفيه فتدركيه وماذا يريد الشيطان وأعوانه من الإنس أن تعرفيه .

فهيا بنا لنقرأ معًا ماذا كانت الخسارة فى القرآن الكريم :يقول الله تبارك وتعالى فى

سورة النساء : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء] .

والخسران المبين هو الخسارة فى كل شىء فى الدنيا والآخرة ، فى الظاهر والباطن فهذا عقاب من اختار الشيطان واطمئن له وأعانه هو وأعوانه ـ اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم . فيقول الله تعالى فى سورة الحج : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج] .

والخاسرون الحق هم من خسروا أنفسهم بالأساس وقبل كل شىء حتى ولو اجتمعت أموال الدنيا فى أيديهم ، ويأتى خسران النفس من الكفر بالله وعدم الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، والإيمان كل لا يتجزأ فلا إيمان لمن لا يؤمن باليوم الآخر أو لا يؤمن بالقدر خيره وشره ، أو يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض . وقد نبأنا الله تعالى بالأخسرين أعمالاً فى سورة الكهف : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف] .

إذن فمعيار الخسارة والمكسب يجب أن يستقيم لديك لكى تبدأى فى حساب مكاسبك وخسارتك كما يحب الله ويرضى وهذه بعض الأمثلة التى تفتح لك أبواب التفكير والتفكر فى آلاء الله :

ـ امرأة تشترى ثلاثة كيلو سمكًا كل نصف كيلو على حدة لكى تكسب زيادة فى الميزان فى النهاية .

هل كسبت أم كانت من المطففين ؟

ـ طالبة كسبت درجات فى الامتحان بالغش من زميلاتها هل كسبت أم خسرت نفسها بالغش والخداع ؟

ـ بنت كذبت على والديها وذهبت فى نزهة مع شباب هل كسبت النزهة أم خسرت نفسها وأغضبت ربها ؟

ـ بنت شاهدت فيلمًا إباحيا وبه مناظر خليعة هل استمتعت أم خسرت وقتها ونفسها؟

ـ طالبة فضلت التعامل مع الشباب دون الفتيات ـ زميلاتها ـ للحصول على العلم بدعوى أن الشباب يعطون ولا يبخلون وأن الفتيات أكثر حسدًا وحقدا على بعضهن هل

كسبت العلم أم خسرت أخواتها والطريق المستقيم ؟

- فتاة تخرج متبرجة بالزينة مظهرة مفاتنها لكل عين هل كسبت إعجاب الناس وخاصة الشباب أم خسرت رضا الله عليها ورضا والديها ؟

- فتاة امتنعت عن مساعدة والدتها فى شؤون المنزل بدعوى الحفاظ على نعومة يدها ورشاقتها وجمالها هل كسبت الجمال أم خسرت بر والدتها ورضا ربها عليها ؟

أختاه الأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى ، وعليك إعادة النظر فى موازينك وتقديرك للأمور وليكن رضا الله عليك والجنة هو دافعكِ فى فهمك وتقديرك للأمور وليكن حبك لله أكبر من حبك لجميع خَلْقِه ما تعلميه ومالا تعلمينه ،وقد سأل الرسول ﷺ الله أن يهبه حبه : « **اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك وكل عمل يقربنى إلى حبك** » (١) .

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٩٠) ، وقال : « حسن غريب » .

الفصل الثالث

سنة إبراهيم الخليل عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة إبراهيم الخليل عليه السلام

قال تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء]

فضل الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالرشد وهو نضوج العقل والتفكير، وبعثه رسولا، واتخذه خليلا ، وجعل فى ذريته النبوة فكان يحاور قومه بشتى الطرق لإقناعهم بالإيمان بالله الواحد وترك ما سواه . وحاول معهم ليستخدموا عقلهم وعلمهم للوصول إلى الإيمان بالله .

وقد كان لإبراهيم عليه السلام مدرسة فى الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان للمسلمين قدوة فى الدعوة لله لمن هم أكبر سنا ـ وخاصة الأب أو ولى الأمر ـ فقد دعا أباه لعبادة الله ، ولما استعص عليه استغفر له الله وأحسن له الرد والمعاملة وقابل الجهل بالسلام ولم يقبل أبو إبراهيم عليه السلام دعوته وهدده بالرجم وطلب منه أن يمتنع عن هذه الدعوة وأن يبتعد عنه ويهجره .

وآثر إبراهيم الخليل الابتعاد عن والده والكافرين وأن يعكف على عبادة الله والدعاء له .

وكان لإبراهيم عليه السلام مدرسة فى تعليم النفس الإيمان بالله وتقويمها من الشرك والآثام حتى ولو نشأ الفرد فى بيئة فاسدة غير مؤمنة ، وهى التعليم الذاتى وإعمال العقل والفكر والبحث عن الحقيقة مع إخلاص النية لله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يكون المسلم إمعة إذا أحسن القوم كان معهم وإن أساؤوا كان معهم .وإنما إذا أحسن القوم اتبعهم وإن أساؤوا ابتعد عنهم ونجا بنفسه من إثمهم وجهلهم ، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ [الأنعام] .

وآتاه الله تعالى الحجة والرأى الصائب والتى مازالت يحتاج إليها الدعاة لاستكمال الطريق، فهى مدرسة أخرى للحوار مع الغير يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الأنعام] .

وكثيرا ما يجرى مثل هذا الحوار عبر الزمان ـ كشكل من أشكال السلطة والسلطان الطاغية ـ التى تمارس على العباد الصالحين . وذلك عندما يقول صاحب أمن الطاغية للداعى : ألا تخاف تعذيبى لك ؟ فيرد عليه المؤمن : إنى أخاف عليك من عذاب الله لك ولا أخاف من بطشك إلا أن يشاء الله .

كما كان لإبراهيم عليه السلام حجة مع أصحاب الملك الذين يطغون فى الأرض ويعتقدون أن بيدهم حياة الناس فيقتلونهم وقتما شاؤوا ويعفون عنهم عندما يريدون . إلا أن إبراهيم الخليل ذكر لمثل هؤلاء آيات أخرى ربما يفهمها الطغاة الجاهلون وهى عدم قدرتهم على ما فوقهم من المخلوقات إن كان بين يديهم أناس ضعفاء، قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [البقرة] .

وهذه حجة على كل طاغية إلى يوم القيامة وعندما هداه الله تعالى إلى الحق لم يعتكف فى بيته لعبادته وترك قومه ، ولم يكن له صديق أو أخ يؤازره ، بل أب لا يرضى عنه وقوم لا يفقهون . ورغم ذلك لم ييأس من الحوار معهم لحثهم على إعمال عقولهم فآثروا اتباع الضالين الأولين . وآثر هو رب العالمين الذى خلقه وهداه وأطعمه وسقاه . وتوعد قومه أن يكيد لأصنامهم فجعلهم حُطاما إلا كبيرا لهم ـ أملاً ـ أن يرجعوا إليه فيسألوه ويحاورهم مرة أخرى فيفهموا ويعوا وتهون عليهم هذه التماثيل المصنوعة بأيديهم .

وفعلا بعدما كانوا يسمعونه ثم يتركونه ويرجعون إليها . بدؤوا فى إعطاء الإجابة بأنفسهم وبألسنتهم فعندما قال لهم إبراهيم : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] كان

ردهم عليه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ فهذا إعمال لعقولهم وتنشيط لها ورجوع إلى النفس ومحاورتها للوصول إلى الحق بدلا من العناد والجهل والإصرار عليه ولكن كان عقابهم له بالحكم عليه بالحرق ونصرة الجهل فجعلهم الله ـ عز وجل ـ القادر القدير هم الأخسرين وجاء لهم بآية فأمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم وأمر الدواب أن تطفئ عنه النار . ففى حديث عن السيدة عائشة قالت : إن الرسول ﷺ حدثنا : « أن **إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفئ عنه النار ، غير الوزغ كان ينفخ عليه ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله** » (١) والوزغ سام أبرص .

وقد ذكر الرسول ﷺ كيف كذب إبراهيم عليه السلام لإظهار دين الله فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دعى إلى آلهتهم فقال** : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات] وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، **وقوله لسارة إنها أختى** » (٢) فقد كان لقوم إبراهيم أعياد يحتفلون بها عند تماثيلهم ، فلم يقبل إبراهيم حضورها ولم يصرح لهم الأسباب ولكنه قال لهم: إنى سقيم فقد كان ينوى عملاً آخر وهو كسر أصنامهم لتكون حجة لهم وعليهم وليعترفوا بأنفسهم وقد كان، أما قوله لسارة ـ زوجته ـ أنها أخته فقد كان لملك من الملوك الجبابرة ، وقصد إبراهيم من وراء ذلك إحصانها منه ، وأمر زوجته ألا تكذب قوله فإنه ما على الأرض مؤمن غيره وغيرها فصلَّت لله ودعته بأن يحفظها من هذا الملك ، وقد كان ـ وبدلاً من الإيذاء ـ كان العطاء ، فرجعت سارة بخادمة لها وهى هاجر والتى كانت زوجة لإبراهيم بعد ذلك وأمًّا لإسماعيل عليه السلام .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة إبراهيم عليه السلام فى التوبة :

قال تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء] للطمع فى المغفرة وتعظيم الخطأ .

وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة] للاجتماع على التوبة والذكر وللتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة .

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩) .

(٢) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٧) .

منهج التوبة

الطمع فى المغفرة :

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء] طمع فى الشىء يعنى : اشتهاه وحرص على أخذه والطمع قد يكون للدنيا وما فيها من خيرات، وقد يكون للآخرة وما فيها من نعيم مقيم ، وقد يكون لحسن ثواب الدنيا والآخرة معا . وقد يكون الطمع فى دار العمل ، وقد يكون فى دار البقاء .

ومن طمع للدنيا خاف عليها وحرص عليها حرصا شديدا يسوقه إلى الشقاء فى الدنيا والآخرة . فهو ـ دائما ـ يريد أن ينهل منها ولا يشبع، يقول ﷺ : « **لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب** » متفق عليه (١) .

والطمع فى الدنيا يؤدى إلى الأرق وعدم الاطمئنان فهو ـ دائما ـ يبحث عن المزيد ودائمًا يخاف على ما جمع من حطام الدنيا .

والطمع للدنيا يؤدى إلى الذل والتذلل للناس ، وإلى الحسد والحقد والكراهية وهى أمور لا يجب أن تجتمع فى قلب المؤمن وهى من علامات مرض قلبه ونفسه .

والطمع للدنيا يخرج المؤمن من عبودية الله إلى عبودية الدنيا فهو أسير فى حب الدنيا وحطامها لا يرى الأمور إلا بمنظارها ولا يزنها إلا بميزانها .

أما الطمع فى الآخرة والمغفرة يوم الدين ورضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهى ما طمع فيها سيدنا إبراهيم الخليل .

ويقرن الله تعالى انفعال الخوف بالطمع ويأتى قبله فى الآيات، قال تعالى فى سورة الرعد : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الرعد : ١٢] ، وفى سورة السجدة : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] .

فالآية الأولى فى سورة الرعد توضح صنفين من الناس : الأول : يرى البرق فينتابه إحساس بالخوف والثانى يراه فينتابه إحساس بالطمع .

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٣٨، ٦٤٣٩) ، ومسلم فى الزكاة (١٠٤٨/١١٦) .

وكثير من الخوف يأتى من جهل الإنسان بطبيعة الأشياء وما يمكن أن يستفيد بها الإنسان فى حياته ، وكيفية التعامل معها والأضرار التى يمكن أن تنجم عنها . وكيفية تلاشيها .وقليل من الخوف ضرورى للمؤمنة لكى تعيد تصحيح مسارها فلا يأمن من مكر الله إلا القوم الظالمون » يقول الله تعالى فى سورة الحجر : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر] .

فعليك أن توازنى نفسك بين الخوف من عقاب الله فى الدنيا والآخرة وبين الطمع والرجاء فى رحمته. قال تعالى فى سورة السجدة : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف].

وإذا كان زيادة علم الإنسان بطبيعة الأشياء يؤدى إلى تقليل الخوف منها وزيادة قدرته عليها ؛ فإن زيادة العلم بالله ـ سبحانه وتعالى ـ يزيد من خشيته . يقول الله تعالى فى سورة فاطر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨] ويقول الرسول ﷺ : «**والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» رواه الشيخان من حديث عائشة. ويأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نخافه يقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران]

ولكن ما الأفضل لكِ أن تخافى الله أم ترجين رضاه وتطمعى فى عفوه ؟ وفى أى الأحوال يكون إحداهما أفضل من الآخر ؟

يقول الإمام الغزالى فى إحيائه: « أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصى . فأما التقى الذى ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ، وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده : « يا بنى خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ،وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك » ولذلك قال عمر رضي الله عنه :« لو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل » (١) .

ولذلك فعلينا يا أختاه الطمع فى مغفرة الله تعالى مع الخوف منه فلا خوف خالص

(١) إحياء علوم الدين ٤ / ٢٥٥ .

ولا رجاء خالص فكلاهما لا يصلح للمؤمن ولا تستقيم به حياته .

هذا إذا كان الطمع للدنيا أو للآخرة ، ولكن ماذا لو أراد المسلم أن يطمع فى الاثنين ؟ أو أن يكون له حسن ثواب الدنيا والآخرة هكذا كانت دعوة سيدنا إبراهيم الخليل ومدرسته وسنته .

يقول الله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

فهذا الطريق فى الدعاء الذى رسمه لنا أبو الأنبياء لنخطو خطاه يشهد أن تدعو الله لخير ما فى الدنيا وخير ما فى الآخرة النعيم المقيم .

وكان الرسول محمد ﷺ يدعو الله تعالى لما فيه صلاحه فى الدنيا وصلاحه فى الآخرة . عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ،وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر** » رواه مسلم(١) .

وكان أكثر دعاء الرسول ﷺ : « **اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » متفق عليه (٢) .

وإذا كان الإنسان يطمع ويرجو الله فى حياته الدنيا فى دار العمل ، فكيف يأتى فى دار الحساب ويطمع فى مغفرة الله أو فى جنته ؟ وهل لهذا الطمع جدوى ، ومن هؤلاء الطامعون فى الجنة ؟ ومتى يطمعون فيها ؟ ولكى نجيب على هذه التساؤلات للطمع يوم الحساب نقرأ معا بعض آيات من سورة الأعراف ، قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٠/ ٧١) .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٥٢٢) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٠/٢٦) .

أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف].

وفى الآيات الكريمات إخبار عن ثلاث فئات :فئة أصحاب الجنة يحاورون أصحاب النار، وفئة الأعراف الذين يقفون على الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة وهم يلقون السلام على أهل الجنة ويطمعون أن يدخلوها ، ويخافون أن يكونوا من أصحاب النار ، ثم يأمر الله تعالى أن يدخلوا الجنة ، ويأتى الحوار بين أصحاب النار وأصحاب الجنة فيطلبوا منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله . ولكن أصحاب الجنة يقولون لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف : ٥١] .

وبعد هذا التصنيف للطمع،هل صنفتِ نفسك داخل نوع منها؟ وما هو ذلك النوع؟ هل هذا النوع هو الذى يرضيك ؟ أم ستتخذين نوعا آخر ؟ ومتى ذلك ؟ وكيف ؟

إن إجاباتك على هذه الأسئلة كفيلة بوضعك فى تصنيف من هم أصحاب الجنة . أو فيمن هم أصحاب النار ، أو فيمن ينتظرون عفو ربهم ومغفرته يوم القيامة .

ستدركين كم وزن الدنيا عندك . وما مقدارها ، وماهى قيمتها الحقيقية فى نظرك . ستدركين مقدار حبك لله ولرضاه ،ومقدار خوفك من سخطه وعذابه ،سيكون عندك منظار حقيقى تستطيعين من خلاله رؤية الناس وتقديرهم للماديات فى الدنيا ،وستجدين إجابات شافية لصدرك عما يحدث من اعتداءات،وقتل، واغتصاب ،وخصام ،وتفرقة . وكراهية، وبغضاء بين الناس .

لقد استطاع الإنسان أن يبتكر نظارة تمكن مستخدمها من رؤية الأشياء فى الظلام . ألا يكون الأجدر للمؤمن أن يكون لديه أعظم من هذه النظارة الزجاجية؛ إنها قلب المؤمن الذى يستطيع أن يحس ويعقل مالا يستطيع غيره ذلك .

تعظيم الخطأ :

فما تحسبينه هينا هو عند الله عظيم ، قال تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ ، وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ، قوله : حين دُعى إلى آلهتهم ، فقال : إنى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة : إنها أختى » (١) .

فهذه الآية وهذا الحديث يضع أمامنا خطوطا عريضة تحت كلمة الخطأ الذى يستوجب التعظيم .

فإلى أى حدٍ نرى أخطاءنا وأخطاء الآخرين ؟ وإلى أى حدٍ نعترف بها ؟ وإلى أى حد نشعر بالألم لارتكابها ؟ وإلى أى حد نجتهد فى الامتناع عنها ؟ وإلى أى حدٍ ندعو الله أن يغفرها لنا ؟ وإلى أى حدٍ نأمل مغفرة الله لذنوبنا ؟

فالأمر يحتاج إلى درجة عالية من المراجعة والمحاسبة للنفس ، ليس كل يوم ولكن فى كل لحظة ، فمن يدرى بلحظة الموت ، وانتهاء العمل وبداية الحساب ؟ يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٣٠] ، ويقول الله تعالى فى سورة الحج : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج : ٣٠] ، والحرمة : هى كل ما يجب احترامه من حقوق الله وما منع من انتهاكه ، وهى تتطلب من الأخت المؤمنة أن تعرف هذه الحقوق ، وتؤمن بها ، وتعظمها فى قلبها ، وتجتهد فى احترامها وعدم الابتعاد عنها ، وتذكير نفسها دائمًا بها ، وكذلك تتعرف على ما نهى الله عنه ؛ لتجتنبه وتتركه بحيث لا تقع فيه ، وإذا وقعت فيه فتسرع بالاستغفار ، وتصحيح مسارها ، وتجديد إيمانها بالله تعالى .

وهنا تظهر فضيلة المحاسبة لدى الأخت المؤمنة ؛ فهى - دائما - تنظر فى أعمالها بعد الفراغ منها ، ثم تزنها بميزان الطاعة لله والعبودية له ، فترى ما إذا كانت خفت موازينها أم ثقلت ، وذلك قبل أن توزن عليها . وربما ضاق الوقت عليكِ وأخذتك مشاغل الحياة إلى أن ينتهى اليوم وأنت مستلقية على السرير ؛ لتنهى يوما شاقا مليئا بالمتاعب ، وربما ينتهى بك اليوم دون أن تحسى بأنك قد قصرت فى آداء عمل ، أو

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩) .

أحدثت ما يغضب الله فتنامى مرتاحة البال وراضية عن نفسك ، وربما يأتى المساء ولم تكملى أعمالك التى قررتيها فتنامى وأنت تحلمين كيف ومتى ستنجزينها ؟.

فهذه ظروف وأوضاع يمكن أن تقابلك ،فهى كثيرا ما يعيشها الناس ، فالأمر شائع ولكنه شائك وخطير ، فهذه الظروف هى التى صرفت كثيرا من الناس عن محاسبة أنفسهم وتقويمها ، فعاشوا فى تعب وشقاء وظلام وراءه ظلام ، إلى أن يأتى بهم يوم الساعة فيحلفون أنهم لم يلبثوا غير ساعة .

ولكن ما الذى ستضعينه على الميزان ؟ هل الصمت أم الكلام ؟ هل الإقبال أم الإدبار ؟ هل الطاعة أم المعصية ؟ هل نفسك أم عقلك أم جوارحك ؟ هل أعمالك مع نفسك أم مع غيرك ؟ وأين الوقت والعقل اللذان يوفران الإجابة ؟

فربما الوقت لا يكفى،والعقل لا يستطيع ، والنفس لا تهوى المحاسبة ، فما السبيل إذن؟

لقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله فى اليوم مائة مرة (١) ،وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وعن ابن عمر ﷺ ، أن النبى ﷺ ، قال : « **يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن من الاستغفار ،فإنى رأيتكن أكثر أهل النار** » قالت امرأة منهن : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال :« **تُكْثرن اللعن ، وتكفُرْنَ العشير (الزوج)** » رواه مسلم (٢) .

فهذان سبيلان للاستغفار والصدقة،وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ ،قال:« **إن الدين يسر ،ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه ،فسددوا ،وقاربوا، وأبشروا ،واستعينوا بالغدوة (أول النهار) ،وشيء من الدلجة (آخر النهار)** » رواه البخارى (٣) .

وليكن لنا فى الصحابة ﷺ قدوة أيضًا ،فقد كان عمر بن الخطاب يراجع نفسه فى كل كلمة ينطق بها ، ويسمح لغيره أن يراجعه ، ويصحح أخطاءه ولو كانت امرأة ، وكان يعترف بذلك ، فقد قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وكان وقافا عند كلام الله ـ عز وجل ـ وكانت السيدة عائشة كثيرا ما تسأل الرسول ﷺ ؛ لتصحح لنفسها ولغيرها من المسلمين والمسلمات ؛ فلا يكفى أن تقيم المسلمة نفسها ،ولكن عليها أن تستعين بمن

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٢/ ٤١) .

(٢) مسلم فى الإيمان (٧٩/ ١٣٢) .

(٣) البخارى فى الإيمان (٣٩) .

هم أفضل منها فى تغيرها ، ولا تجد بأسًا فى انتقادها ممن هم أقل منها سنا، أو مركزا ، أو علما .

فلنقل كما قال عمر : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى ، فالعقل وحده لا يستطيع أن يحصى كل ما قامت به الجوارح ،فالإنسان لا ينظر إلى نفسه بل ينظر إليه الآخرون ، وربما يفسر ذلك بعض أسباب انتقاد الناس لغيرهم قبل أنفسهم . ونفس المرء أمارة بالسوء ، فرحم الله من قال : حاربوا أهواءكم كما تحاربون أعداءكم ، فالنفس تميل إلى اتباع الهوى ، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله : « **اللهم آتِ نفسى تقواها ، وذكها أنت خير من ذكاها أنت وليها ومولاها** » (١) .

وهناك ميزان من موازين الرسول ﷺ،وهو ميزان الإثم وهو ما حاك فى صدركِ، وكرهت أن يطلع عليه الناس ، فإذا وجدت فى نفسك ذلك ؛فهذا معيار لمحاسبة النفس وتعديل اعوجاجها .

وهناك أيضًا الجار والصاحب ، وهما من موازين الرسول ﷺ ، عن أبى هريرة رضي الله عنه ،عن النبى ﷺ قال : «**الرجل على دين خليله (الصديق) ، فلينظر أحدكم من يخالل**» (٢).

الاجتماع على التوبة والذكر :

قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)** ﴾ [البقرة] .

هكذا كان الاجتماع على العمل الصالح ،والاجتماع على الدعاء ، والاجتماع على التوبة ، فهل لنا فى سيدنا إبراهيم الخليل أسوة حسنة ؛ وهل لنا فيمن تبعه من الأنبياء الصالحين وخاتم النبين ﷺ نور وهداية ، لنقتدى بهم ،ونسير على سيرهم وهداهم ؟

يقول الله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** ﴾ [الكهف : ٢٨] .

فالاجتماع مع الصالحين أمر من الله والصبر على ذلك ضرورى لمن أراد وجه الله،

---

(١) الطبرانى فى الكبير (١١/١٠٦) (١١١٩١) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٤١) : « وإسناده حسن » .
(٢) أبو داود فى الأدب (٤٨٣٣) ، والترمذى فى الزهد (٢٣٧٨) ،وقال : « حسن غريب » .

فالأخت الصالحة لها أن تجتمع مع أخواتها فى المنزل أو مع أسرتها، ولها أن تجتمع مع زميلاتها فى المدرسة أو الجامعة ، ولها أن تجتمع مع الأخوات الصالحات فى أماكن العمل ، ولها أن تجتمع مع الأخوات العابدات فى المساجد ،ولها أن تجتمع مع صديقاتها فى أماكن الترفيه عن النفس ، فالمسلمة لا بد لها أن تعيش مع نفسها وتعايش الآخرين؛ ليصححوا لها ،وتصحح لهم ، ويكونوا معًا عونا على الطاعة بإذن الله .

وربما يزداد حبك لذكر الله مع صديقاتك وأخواتك عندما تعلمين : « **أن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ـ عز وجل ـ تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم : ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك، فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون: لا والله ما رأوك ،فيقول :كيف لو رأونى؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال :يقولون : يسألونك الجنة، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون :لا والله يا رب ما رأوها قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ،وأشد لها طلبا ،وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال: يقولون : يتعوذون من النار ، قال : فيقول: وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها ؟ فيقول : كيف لو رأوها . قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم،إنما جاء لحاجة؟ قال:هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**» متفق عليه (١).

هل تحاسبين نفسك الآن من تجلسين معهم ؟ وفيما تتحدثون ؟ هل تذكرون الله وتستغفرونه ؟ أم تذكرون الناس وتغتابونهم ؟ .

كيف يكون حال الجلساء ؟ هل هن مطمئنات هادئات ؟ أم ترتفع أصواتهن ويكثر لغوهن ؟ كيف يكون ختام الجلسة ؟ هل توبة واستغفار ،أم وداع وشجار ؟

شتان بين الجلستين ،أسرعى واختارى ولا تحتارى؛ إنها جلسة يشهدها الملائكة لا يشقى فيها أى جليس ،بدايتها ذكر ،ونهايتها مغفرة من الله العزيز الحكيم . وذكرٌ لكم عند ربكم . إنها رياض الجنة فارتعى فيها ،فإن جبريل أخبر الرسول ﷺ بأن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » .

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٨) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩/ ٥) .

أختاه ربما تجلسين بمفردك فى المنزل ، ولا يتاح لك فرصة الاجتماع على التوبة والذكر ،ولكن انظرى حولك ستجدين من تجتمعين معهم وأنت لست منهم فى الجلسة، إنها جلسات العلم فى محطات الإذاعة والتليفزيون ،وفيها برامج تتيح لك أن تجلسى معهم، وأحيانا تتيح لك الاتصال بهم مباشرة ، فهذه الأشياء مما أنعم الله علينا بها فى هذا العصر ،فحاولى معرفة مواعيد هذه الجلسات وانتظريها ، وبلغى صديقاتك بها حتى تجتمعوا معا فى ذكر الله دون لقاء ، ثم ربما يكون بينكن حوار وجلسات بعد ذلك .

وهناك شكل آخر من جلسات العلم أنعم الله بها علينا ، يمكن أن تتم عبر الحديث من خلال الإنترنت فى البرامج التى تتيح الحوار بين أكثر من اثنين ؛ فليبدأ الحوار بالتسبيح،والتهليل ،والتحميد ،وذكر الله ،ولينتهى بطلب الجنة،وكل عمل يقرب إليها، والاستعاذة بالله من النار ، وكل عمل يقرب إليها ، ولتسمح الأخوات لمن يريد الانضمام إليهن بالدخول ، والمشاركة فى جلسات العلم حتى تتسع الحلقة ،ولتكن نية الاجتماع لله والافتراق عليه والدعاء لله بأن يتقبل هذا العمل ، وأن يكون خالصًا لوجه الله الكريم .

التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة [لماذا ، وما هى ، ومتى ؟] :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ .

تعلمنا الآيات التوجه إلى الله تعالى بالدعاء أثناء القيام بالأعمال الصالحة ، وأن نرجو تقبل الله لأعمالنا،فنرجو تقبله لصلاتنا وصيامنا وزكاتنا وصدقاتنا ولسائر أعمالنا ، وأن ندعو لأنفسنا ولأهلنا ولمن جاء بعدنا ، وأن يكون دعاؤنا ـ دائمًا ـ فيه التوبة والاستغفار فلنكثر من دعواتنا لله أثناء القيام بالأعمال الصالحة ربما تكون طلبا لمنافع دنيوية وربما ننسى تجديد التوبة إلى الله ، بينما تكثر التوبة عند القيام بإثم أو معصية .

لذلك فعلينا أن نكثر من الأعمال الصالحة بنية التوبة إلى الله، حتى ولو لم تسعفنا الذاكرة ،ولم تعترف نفوسنا ، ولم نواجه لومًا ، أو خصومة من أحد ، فلا بد من الاعتراف بأن كل بنى آدم خطاء، فهذه الصفة كافية لدواعى التوبة والاستغفار، فما لا أعتبره خطأ اليوم ربما أدركت مدى خطورته وخطأه غدا ، وما لم يعاتبنى الناس عليه اليوم، وربما يكون سبباً للخصومة غدا ، وما أحسبه هينا ربما يكون عند الله عظيمًا .

والأعمال الصالحة قد تكون من خلال أعمال القلوب : بذكر الله ، ودوام التفكر فيه وحب الله ،وحب كل عمل يقرب إليه ، وحب كل من يحبه،وأن يكون حبه أحب إلى القلب من الدنيا وما فيها ، وأن يشع هذا الحب على جميع خلقه ، ومن الأعمال الصالحة ؛ جميع الأقوال من خير ، ودعاء ،وذكر ،واستغفار ،ومن الأعمال الصالحة؛ العبادات من صيام ،وصلاة ،وصدقه ،وحج ،وجميع ما أمرنا به الله ورسوله مثل: بر الوالدين ،والصدق ، والجهاد فى سبيل الله ، وعلينا جميعًا أن نسارع فى الخيرات ، والأعمال الصالحة ،والتى يقابلها سرعة فى المغفرة بإذن الله. يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقد علمنا الرسول ﷺ هذه السرعة كعلاج للذنب : « **أتبع السيئة الحسنة تمحها** » (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنا ،ويمسى كافراً، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » رواه مسلم (٢) .

فهذا الحديث ربما يثير فيك سرعة القيام بالعمل الصالح ، فلا تدرى نفس ماذا ستكون الدنيا غدا ، فكل يوم هو فى شأن .

فبعض الناس يعتقدون أن أعمالهم اليوم تكفى غدا وبعد غدٍ ،وربما اغتروا بهذه الأعمال واعتبروها هى المنجية ، وأنهم فى أمان ومأمن من مصائب الدنيا وتقلباتها ، فيدفعهم هذا الإحساس إلى التراجع ، والاكتفاء بالقليل من العمل الصالح ؛ فتكون العاقبة الوقوع فى الإثم والانحراف عن الطريق المستقيم .

وقد فند الرسول ﷺ لنا سبعة أحوال ؛ يجب أن تكون دافعا لقيامنا بالمبادرة بالأعمال الصالحة ،فى حديث عن أبى هريرة ،أن رسول الله ﷺ قال :« **بادروا بالأعمال سبعا :هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ،أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مُفندا ، أو موتا مُجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ،أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**» رواه الترمذى وقال حديث حسن(٣).

فالغنى لا يدوم ، وربما يتحول الغنى اليوم إلى فقير غدا ، فلا يستطيع أن يعطى ،

---

(١) أحمد (٥/١٥٣) .

(٢) مسلم فى الإيمان (١١٨/١٨٦) .

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣٠) ، وقال : « حسن غريب » .

أو يتصدق، أو يقوم بالأعمال الصالحة ، وإذا دام الغنى فقد يطغى صاحبه ، فينسى الفقراء ويظلمهم ويظلم أصحاب الحاجة .

والصحة لا تدوم ،فيأتى المرض ليفسد على الإنسان حياته ، والشباب مرحلة ويأتى بعدها الهرم ؛ فيقل التفكير ، والتذكر ، والفهم وغيرها من عمليات العقل ، والحياة قصيرة ، والموت يأتى بدون إنذار . وهذه أحوال يعيشها كل إنسان ،ولكن الرسول ﷺ ذكر حالتين من الغيب ؛وهما الدجال الشر الغائب المنتظر ،والذى سيقع فى الإيمان به كثير من الناس ، ثم يوم القيامة والتى لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذن فهذا الحديث لا ينتفع به غير المتقين الذين يؤمنون بالغيب .

الفصل الرابع

سنة يونس عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة يونس عليه السلام

من أراد أن يدخل هذه المدرسة ، ويتعلم منها دروسًا فى التوبة من سيرة نبى من أنبياء الله ، عليه أن يعرف شيئًا عن صاحبها ؛ ليزداد تقديره لها ، ويتسع صدره لقبول، وتفهم المنهج والصبر عليه .

فهذا يونس بن متى ، الذى قال عنه سيدنا محمد ﷺ : « **لا ينبغى لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى** » رواه مسلم (١).

بعث الله تعالى نبيه يونس عليه السلام إلى أهل (نينوى) من أرض الموصل بالعراق ، فدعاهم إلى الله - عز وجل - فكذبوه وتمردوا عليه ،فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ، ولما تحققوا نزول العذاب بهم قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم مع نبيهم . وكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب .

قال تعالى فى سورة يونس : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) ﴾ [يونس] .

وفى هذه الأوقات كان لسيدنا يونس عليه السلام قصة وعبرة للمؤمنين ، يقصها علينا القرآن الكريم فى سورة الأنبياء :﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء] .

فالآيتان فيهما انفعال صاحب الحوت وهو سيدنا يونس الذى ترك قومه غضبان ، وظن أن الله لن يضيق عليه ، ولكنه عندما وقع فى الغم ، أدرك أنه كان من الظالمين ، فدعا الله بدعاء لم يدع به قبله إنس ولا جان :« **فأقبلت هذه الدعوات تحت العرش ، فقالت الملائكة يارب : صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال : أما تعرفون ذاك ؟**

---

(١) مسلم فى الفضائل (٢٣٧٧/١٦٧) .

قالوا : لا يارب، ومن هو ؟ قال : عبدى يونس . قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة ؟ قالوا: يا ربنا أولا ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى. فأمر الحوت فطرحه فى العراء». عن أنس بن مالك ورواه ابن جرير.

يقول الله تعالى فى سورة الصافات : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾ [الصافات] .

ويقص علينا القرآن الكريم كيف التقمه الحوت ، وظروف ذلك ، وكيف أنقذه الله تعالى فى سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨) ﴾ [الصافات] .

فقد ذهب يونس غضبان أسفًا وركب فى السفينة ، ووقع على يونس القرعة فألقى فى البحر ؛ وذلك تخفيفا لحمل السفينة ، ولضمان نجاتها بعد أن تكررت القرعة ،وبدلا من أن تحمله السفينة حمله بطن الحوت ، فألهمه الله التسبيح والدعاء فى موضع لم يعبده أحد فى مثله ، فاستغل عليه السلام الكرب الذى وقع فيه ، والظلمات والألم والخوف فى التوجه إلى الله بالدعاء ، بعدما أدرك أن ذلك كان ظلما من نفسه وقع عليه ، واستغل غربة المكان ، وعدم إدراكه للزمان فهو فى ظلام ـ ليلاً ونهاراً ـ فأنعم الله عليه بأن أمر الحوت فقذفه فى الساحل وهو سقيم ـ مريض ـ وأنعم عليه بالدواء والغذاء إلى أن شفى وأذهب عنه كربه العظيم .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة يونس عليه السلام فى التوبة :

ـ قال تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٦] لمعرفة أن الغضب من أسباب الوقوع فى الذنب .

ـ قال تعالى فى سورة القلم :﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [القلم : ٤٨] لمعرفة أن عدم الصبر من أسباب الوقوع فى الذنب .

ـ قال تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأنبياء] لمعرفة فائدة الدعاء لله ـ عز وجل ـ فى أوقات الأزمات فى تقبل التوبة .

منهج التوبة

الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب :

يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء] .

غضب سيدنا يونس من قومه بعدما كفروا برسالته جميعهم، فتركهم لقوم آخرين عسى أن يؤمنوا به ، بدون إذن من ربه ،فكانت له قصة وقوعه فى البحر ، والتقام الحوت له ، فعاش فى ثلاث ظلمات: ظلمة الليل ،وظلمة البحر ،وظلمة بطن الحوت ، ـ وحينئذ ـ أدرك أنه كان من الظالمين ،فتذكر ربه ودعاه فى الظلمات ؛ فاستجاب له الله ونجاه من الغم.

أين نحن من هذه الذنوب وهذا الغضب ! هل أحست الأخت التى تركت أخوات لها ،وتوقفت عن مواصلة العمل معهن ،وطلبت غيرهن ـ غضبا منها ـ لعدم طاعتهن لها بأنها قد كانت من الظالمين ؟ هل أحست الأم التى غضبت من أولادها لعصيانهم لها ، فتركتهم مع أبيهم لتبحث عن مكان آخر وأناس آخرين أنها قد كانت من الظالمين ؟ هل أحست المدرسة فى الفصل أنها كانت من الظالمين عندما تركت الفصل لعدم هدوئه ،أو التزامه دون أداء واجبها واستكماله ؟هل أحست الأخت الكبيرة ،أو المسؤولة فى المنزل بأنها قد ظلمت نفسها عندما تركت أخواتها يفعلن ما يشاؤون ،ولم تقم على رعايتهم كما كان موكولاً لها ؟ . عندما تجد الإجابة لها ،لم يحس أحد منهم بالظلم ،سنتأكد أنهم جميعا لم يدخلوا مدرسة يونس ﷺ فى التوبة ، وسندرك مدى أهمية هذا المنهج النبوى فى إصلاح أحوالنا ، ووصولنا إلى بر التوبة فائزين ناجين .

وربما تقولين :كيف لا أغضب ،أليس الغضب فينا ومن صفاتنا؟! وإلا لما ما غضب الأنبياء ومنهم محمد ﷺ ،فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ،فأيما مسلم سببته ،أو لعنته ،أو ضربته فاجعلها منى صلاة عليه ،وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة** » أخرجه مسلم [(١)] .

هكذا كان اعتراف الأنبياء بصفاتهم البشرية التى لم ينفكوا عنها،ولم يتجردوا منها،

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٠١ / ٩١) .

وإنما جعلوها لله شكرا له وقربة إليه .

وإذا كان انفعال الغضب طبيعيًا فى النفس البشرية، فكيف تستطيعين كأخت مسلمة، أن تستغلى هذا الانفعال فى صالحك، وألا يكون عاقبته الإثم، أو البغى على النفس، أو الناس؟

إذا حاولت الأخت المسلمة أن تجعل غضبها هذا لله ـ سبحانه وتعالى ـ فتغضب لغضب الله، وتغضب لانتهاك حرمات الله، والتقصير فى أداء فروضه وواجباته، سواء كان ذلك من نفسها أو من الآخرين، وبهذا يكون هذا الانفعال ضروريًا لكل مسلم ومسلمة؛ لكى يصحح عبادته وإسلامه وتستقيم أموره .

وهذه أمثلة يمكن أن تقرب إليك هذا المفهوم :

ـ أن تغضبى لعدم أداء فريضة صلاة الفجر من جانب أفراد أسرتك، وأن تحسى بالألم النفسى لذلك؛ مما يدفعك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ـ أن تغضبى لعدم التزام أختك بالحجاب الذى أمرها الله به .

ـ أن تغضبى للتقصير فى بر الوالدين .

ـ أن تغضبى لعدم أداء فريضة الصلاة فى أماكن العمل، أو الدراسة وتأخيرها، وربما نسيانها .

ـ أن تغضبى لعدم طاعة الزوجة لزوجها، وعدم حفظها لماله ولنفسها فى غيابه .

وهذه الأمثلة ربما تفتح أمامك أبوابًا أخرى للغضب المشروع والمحمود، ولكن يجب أن تختارى طريقك فى الغضب أو فى التعبير عنه، فهل سيكون بالحكمة والموعظة الحسنة، أم سيأتى الغضب بما لا تحمد عقباه ؟

لقد أدى انفعال الغضب الذى كانت نيته لله إلى إحجام العديد من الناس عن الالتزام بالدين أو اختياره كأساس للحياة؛ ولذلك جاء كظم الغيظ من الفضائل التى يتحلى بها المسلم، إلى أن تستطيعى إحسان التفكير والتعقل، واختيار أفضل السبل للعلاج وللإصلاح بعد الوصول إلى حالة الهدوء النفسى بعد الثورة النفسية والعقلية التى يحدثها الغضب فى صاحبه .

وتذكرى أن غضب سيدنا يونس كان غضبا لله، ولكنه اختار طريقًا لم يأمره الله به، فترك قومه باحثا عن أناس آخرين من الممكن أن يقبلوا دعوته، ويؤمنوا بالله الواحد القهار . فمدرسة يونس عليه السلام فى التوبة تعلمنا لمن نغضب، وكيف نستغل هذا الانفعال

ونحسن الوقت فى الاستجابة له،ونحسن كيفية الاستجابة ،وهى أمور تحتاج إلى تدريب ورياضة للنفس ومحاسبة دائمة لها،لكى نقوم انفعالاتها فيما يحب الله ويرضى ، فنسأل لماذا غضبت؟ لنفسى أم لله ؟ وإذا كان لله هل تم كيفما يرضاه ؟

ولكن ماذا تفعلين عندما تجدين نفسك وقعت فى انفعال الغضب ،ووجدتى آثاره على قلبك فى شكل حقد أو حسد أو حزن لسرور الغير أو فرح لحزنهم ، أو وجدت آثاره على لسانك بالشتم أو التلفظ بالفحش من القول ، أو إذا وجدت آثار الغضب على جوارحك فأخذتى بالضرب أو الاعتداء على الغير بقسوة و دون رحمة ؟

ـ فلتفكرى فى فضل كظم الغيظ الذى فاتك ، وفوت عليك حب الله والوصول إلى درجة الإحسان التى لا ينالها إلا من كظم غيظه وعفا عن الناس : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران] وتفكرى أن الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب وخاصة على من قدر عليهم .

ـ أن تتذكرى قدرة الله عليك ،وأنه لا يحب الظالمين .

ـ أن تحذرى نفسك من عاقبة العداوة ،والانتقام، والخصومة ،والكراهية ،وقطع الرحم والخسارة فى النفس والمال .

ـ أن تتفكرى فى قبح صورتك عند الغضب ، كيف تتقلص عضلات الوجه ويحمر لونه ،ويرتفع الصوت ويغلظ ،وتجحظ العينان ،ويكون شكل الإنسان لا تقبله نفسه قبل الآخرين .

ـ أن تعلمى أن غضبك كان سببه هو تعجبك من قدر الله . وكيف يسير الشىء أو الناس على غير ما تريدين ،فالفتاة التى ترغب فى الخروج يوميا من البيت ؛للنزهة وضياع الوقت وتقصر فى واجباتها ، فتغضب عندما يمنعها والدها من الخروج أو الإسراف فيه، أو الخروج فى أوقات معينة لا يأمن فيها عليها ، فهى تسأل نفسها لماذا جعل الله طاعة الوالدين ،وتنظر إليها كأنها من معوقات حرية الفرد التى تتمنى أن تحصل عليها دون قوانين أو رقابة أو التزامات .

فهذا عن التفكر والعلم ، ولكن ماذا عن القول والعمل ؟

ـ أن تقولى عند الغضب : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ـ أن تتوجهى إلى الله بالدعاء أن يذهب غيظ قلبك ويبعد عنك الفتن ، فهذا دعاء

علمه الرسول ﷺ لعائشة ـ زوجته ـ رضي الله عنها « **اللهم رب النبى محمد اغفرلى ذنبى وأذهب غيظ قلبى ،وأجرنى من مضلات الفتن** » (١) .

ـ أن تذهبى وتتوضئى وضوءك للصلاة فقد قال ﷺ : « **إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء**» (٢).

ـ أن تمتنعى عن الكلام نهائيًا بالسكوت ،وعدم النظر إلى ما يغضبك ،فقد قال الرسول محمد ﷺ : « **إذا غضبت فاسكت** » أخرجه أحمد والطبرانى (٣) .

ـ تغيير الوضع بتغيير حركة الجسم من الحركة للسكون،أو من السكون للحركة ، وقد قال رسول الله محمد ﷺ : « **إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ،فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع** » (٤) .

ـ وضع الخد على الأرض « وهو أمر عن الرسول محمد ﷺ لنا . قال الرسول محمد ﷺ : « **ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ،ألا ترون إلى حمرة فى عينيه، وانتفاخ أوداجه ،فمن وجد من ذلك شيئًا فليلصق خده بالأرض** » حديث أبى سعيد أخرجه الترمذى (٥) .

ومن هذه النقاط يكون علينا العمل فى ثلاثة اتجاهات: **الاتجاه الأول** : هو النفس بسرعة إدراك حالتها وتذكر الله ، **والاتجاه الثانى** :هو التوجه إلى الله بالدعاء والاستعاذة به من الشيطان الرجيم ، **والاتجاه الثالث** : هو الشيء أو الشحض الذى غضبتِ بسببه بالابتعاد عنه وعدم النظر إليه ،أو مخاطبته فلا يصر على الاستمرار فى حالة الغضب التى وقع فيها يقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (١٣٥)﴾ [آل عمران] .

عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب :

قال تعالى فى سورة القلم : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ** (٤٨)﴾ [القلم] . الأمر لسيدنا محمد ﷺ متمم الأخلاق للإنسانية جميعًا ، والنهى

---

(١) أحمد (٦/ ٣٠٢) .

(٢) أبو داود فى الأدب (٤٧٨٤) .

(٣) أحمد (١/ ٢٣٩) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢١٣٦) : « إسناده صحيح » ، والطبرانى فى الكبير (١١/ ٣٣) (١٠٩٥١) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٧٣) : « رجال أحمد ثقات » .

(٤) أبو داود فى الأدب (٤٧٨٢) .

(٥) الترمذى فى الفتن (٢١٩١) ، وقال : « حسن صحيح » .

له فى عدم اتباعه طريق يونس عليه السلام فى عدم الصبر على قومه ، ليكون خلقه القرآن ويكون قرآنا يمشى على الأرض. فقد أنزل الله تعالى الآيات على سيدنا محمد ﷺ تخبره بقصص الأنبياء؛ليكون له ولمن تبعه عبرة وموعظة ينتفع بها المؤمنون . فقد استبطأ سيدنا يونس إيمان قومه،وظن أن الله لن يضيق عليه بالبقاء بين هؤلاء القوم المعاندين،وقد كتب الله لهم جميعًا الإيمان بعد أن تركهم؛ليكونوا آية للمسلمين جميعًا وهداية للمؤمنين.

فمن منا لا يحتاج إلى الصبر فى حياته ؟! وقد خلق الإنسان هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ .

فهو أمر للمؤمنين جميعا بالصبر واحتماله،فهو فضيلة تسبق فضائل أخرى كالشجاعة والرباط والقتال والثبات ، ويصف الله تعالى الصابرين بالصدق والتقوى فى سورة البقرة: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ والصدق هنا هو الصدق مع الله - سبحانه وتعالى - ومع النفس ، فلا يعنى الصدق سرعة التعبير عما يدور فى ذهن أحدنا،أو فى نفسه وقلبه فتقول: إننى صادقة ؛ فهنا تقع كثير من الأخوات فى الذنب بسبب هذا الصدق غير المطلوب ، وقد كانت بحاجة إلى كظم الغيظ ،أو الصبر والصدق مع الله تعالى؛ لإصلاح النفس وإصلاح الغير . وقد قرن الله تعالى الصلاة والصبر - كوسيلتين - يستعين بهما المؤمن فى طاعة الله وعلى ما يصيب المؤمن من المصائب يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾، وقد كان لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد صبر ﷺ على أذى الكفار وإهانتهم إلى أن أتم الله الدين عليه وعلى المسلمين .

وعلينا أن ندرك أن الصبر ليس سلبيًا ، فكل بلاء تستطيعين أن تدفعيه عنك لا تؤمرى بالصبر عليه إنما عليك ،أن تقومى بدفعه بما أعطاك الله من قوة وعلم ودين ، وكذلك الصبر ليس عملا سلبيا يتطلب من الأخت السكون ،أو أن تتحمل آلاما ومشاق على الدوام ولكنه فترة وفضيلة يستخدمها المسلم لتقوية نفسه ،ونيل حب الله له، وهو اختيار لمدى قدرة الأخت على تحمل الصعاب ،أو المشكلات فهو قدرة فى النفس تمكنها من الاحتمال بغير تبرم يؤدى إلى ضياع الحقوق أو ظلم النفس أو الغير .

وعندما ننظر إلى أعمالنا وما أصابنا من ذنوب أثناء اليوم سندرك أن كثيرا منها كان يمكن ألا يتم إذا استعنا بالصبر والصلاة .

وإليك هذه الأمثلة لتقريب الفكرة إلى الذهن :

- إذا صبرنا على إتمام العمل كما يحب الله ويرضى ، وراجعناه وقيمناه وحاسبنا أنفسنا ، هل ستكون النتيجة الخطأ أو النقصان ؟ ثم الشعور بالذنب تجاه النفس المقصرة.

- إذا صبرنا على أداء الصلاة والمحافظة عليها وإتمامها كما أمرنا الله تعالى وصبرنا على أهلنا فى الأمر بها : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ، هل سيكون أحد فى المنزل لا يؤديها ثم نقع فى الذنب إذا أهملنا ؛ لأن « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » [(١)] . حتى الخادم فقد جعله الإسلام مسؤولاً فى عمله .

- إذا صبرت الأخوات الصغيرات على النظام والنظافة فى المكان اللاتى يجلسن فيه كما تصبر على مظهرها وجمالها ، هل سيحس من حولها بأى تقصير فى أداء واجباتهن ؟

- إذا صبرت الأخوات على العلم هل ينتظرن إلا التفوق بإذن الله ؟

- إذا صبرت الزوجة على زوجها هل تنتظر غير الحب والتقدير والعرفان بالجميل من جانب زوجها ، وإذا لم تنل ذلك هل تنتظر غير توبة الله عليها ودخول الجنة ؟

- إذا صبرت الأخت على دعوة أخواتها إلى الله وطاعته فيما يأمرنا به ، والابتعاد عما نهانا عنه ، هل ننتظر إحجامًا منهن أو نفورا ؟ فلنتذكر بأن الله مع الصابرين ، وأن الله يحب الصابرين .

لذلك نجد أن الأمثلة كثيرة فى مجال الصبر ، وهو ما يعنى أننا نحتاجه فى كل لحظة وفى كل حال ، ونتيجته لا تقع فقط على من يقوم به، وإنما على كل من حوله من إنسان وحيوان وجماد ونبات ، فالخير فى الصبر للجميع ، كما أن نتيجته تأثيرها طويل من حيث الزمن وقوية من حيث التأثير ، فربما تذكر إحدانا فى نفسها أنها لو لم تصبر فى الماضى على فلان لكان الحال غير الحال ، ولو لم تصبر على الدراسة لما كانت الآن فى هذا المكان ، ولو لم تصبر على بر الوالدين فى حياتهما فقد خسرت بعد موتهما الكثير ، ولو لم تصبر على زميلاتها وأخواتها فى الله لوقعت فى الإثم والمعصية ، ولكان حالها غير الحال ، ولو لم تصبر على الألم والمرض لكان إحساسها به أعظم وأكبر .

---

(١) البخارى فى العتق (٢٥٥٨) .

الدعاء لله وتقبل التوبة :

الدعاء فى أماكن لا يذكر فيها الله كثيرا . وفى أوقات الأزمات وبأفضل الدعاء . قال تعالى : ﴿ **فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)** ﴾ [الأنبياء].

لقد ألهم الله تعالى سيدنا يونس عليه السلام الدعاء فى مكان لم يذكر فيها الله وهو بطن الحوت ؛ وألهمه الله دعاء لو دعا به المؤمنون فى أوقات كربهم لاستجاب الله لهم ، ودعا الله تعالى فى وقت الشدة والضيق فلم يكن فى ظلمة واحدة وإنما كان النبى فى ظلمات ثلاث ؛ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت . فما أصعب الوقت وما أصعب الظروف ،وما أصعب المكان،ولكن كل هذه الصعوبات والظلمات تحولت بفضل قوة اليقين والإيمان إلى مرحلة سيأتى بعدها الفرج: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥)** ﴾ [الشرح] .

فهذه مدرسة يونس عليه السلام تعلمنا أن ندعو الله ونتقرب إليه فى أماكن لا يذكر فيها الله كثيراً ،وما أكثرها فى هذا الزمان، فربما تكون وسيلة من وسائل المواصلات وربما تكون مكانًا من أماكن اللهو والترفيه ، وربما تكون فى الأسواق والمحلات التجارية ، وربما تكون فى أماكن الدراسة التى لا يذكر فيها الله كثيراً .

فعلى الأخت المسلمة المؤمنة أن تكثر الدعاء والاستغفار فى وقت غفلة الناس عن الذكر ،فربما تذكر نفسها وتذكر غيرها فتفوز بالاستجابة للدعاء وتسعد فى دينها ودنياها .

ولنا فى الأنبياء أسوة حسنة وعلاج للكرب فى الوقت العصيب ،ولنتذكر حديث الرسول ﷺ الذى يحكى لنا فيه قصة لثلاثة رجال وقعوا فى أزمة ، ولم يخرجهم منها إلا الدعاء والتضرع لله والتقرب إليه بالعمل الصالح .

فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ،وكنت لا أغبقُ (لا أقدم فى الشرب قبلهما) قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بى طلب الشجر يومًا فلم أرُح (أرجع) عليهما حتى ناما فحلبت لهما غَبُوقَهُمَا فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً فلبثت . والقدح على يدى ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر (ظهر ضوؤه) والصبية يتضاعون عند قدمى (يصيحون**

من الجوع) فاستيقظا فشربا غَبوقَهُما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنةُ عم كانت أحب الناس إليَّ .وفى رواية: كنت أحبها كأشد ما يُحب الرجال النساء ،فأردتها على نفسها (طلبت منها ما يطلب الرجل من زوجته) فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين (أى نزلت بها سنة من السنين المجدبة) فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلِّى بينى وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه (أى لا تزل عفافى إلا بالزواج) ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إليَّ ،وتركت الذهب الذى أعطيتُها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أُجَرَاءَ وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثَّمرتُ أجره حتى كثُرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله ، أدِّ إليَّ أجرى فقلت :كل ما تري من أجركَ : من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئْ بى ! فقلت : لا أَستهزئْ بكَ ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون » متفق عليه [١] .

وفى هذا الحديث دروس وعبر للمؤمنين ، فالدعاء عند الكرب يفرجه ، والتوسل بالعمل الصالح يخفف الهم ،وكذلك فضل بر الوالدين وخدمتهما،وفضل العفاف وأداء الأمانة والمحافظة على العهد والصدق،أما إخلاص العمل لله وحده فهو أساس تقبل الله للعمل ،فما كان لله بقى ودام وما كان لغيره فهو أبتر .

(١) البخارى فى الإجارة (٢٢٧٢) ،ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٤٣/ ١٠٠) .

الفصل الخامس

سنة موسى عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة موسى عليه السلام

قال تعالى فى سورة مريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) ﴾ [مريم] .

هو موسى بن عمران جده يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، أراد الله أن يمن عليه وعلى بنى إسرائيل ويجعلهم أئمة ويمكن لهم فى الأرض ، ويرى فرعون وهامان منهم ما كانوا يحذرون . وبعد رؤيا لفرعون مصر بأن نارا أقبلت من نحو بيت المقدس ،وأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا بنى إسرائيل سأل فرعون الكهنة عن هذه النار ،فقالوا له: إنه غلام يولد من بنى إسرائيل،فأمر فرعون بقتل الغلمان وترك النساء . ولكن الله منّ على موسى ، وأوحى إلى أمه أن تقذفه فى اليم بعد أن وضعته فى صندوق حتى يحميه من الغرق،وأوحى الله لها أنه سيرده إليها،وسيجعله من المرسلين، فاطمئن قلبها . وطلبت من أخته أن تراقبه،وأراد الله تعالى أن يلتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ،وألقى الله عليه محبة منه وأرجعه إلى أمه؛ كى تقر عينها ولا تحزن .

وتربى فى بيت فرعون ولبث فيهم من عمره سنين . وكان قرة عين لامرأة فرعون ، ووضعه الله تبارك وتعالى على عينه فتغذى بأطيب الطعام ، ولبس أحسن الثياب حتى شب قويا ولم ير ما رأى بنو إسرائيل من العذاب والإهانة والإيذاء ، وهكذا حفظه الله إلى أن بلغ أشده فآتاه الله العليم الحكيم حكما وعلما ، فهذه النشأة القوية العزيزة أعطت له عزة ومكانة فى أهل مصر وبنى إسرائيل .

كما كانت سببا لأحداث كثيرة جاءت على إثرها ، ففى يوم دخل موسى المدينة فرأى رجلين يقتتلان . أحدهما قبطى والآخر من بنى إسرائيل فتدخل موسى بعد أن استغاثه الرجل الإسرائيلى فوكز موسى القبطى فقتله . وهو ما يدل على مدى قوته، ولكنه لم يقصد قتله، فأناب إلى الله واعترف أنه ظلم نفسه، وأن ما فعله من عمل الشيطان،وهذا من الحكم والعلم الذى آتاه الله إياه ،فأدرك أن الإسرائيلى غوى مضل، وعزم على عدم الرجوع إلى مثل هذا ، وأنه لن يستخدم نعم الله عليه من القوة والعلم

فيما يؤذى الناس أو يضرهم ،ولن يكون نصيرا للمجرمين ، وصدق النية لله .

فعندما جاءه الإسرائيلى مرة ثانية لينصره على رجل آخر أدرك ما فعله وما وعد الله به ،فلم يقبل على مساعدته أو مناصرته ، وأنعم الله عليه بأن أرسل إليه رجلاً لم يكن من نفس المدينة؛ ليحذره وينصحه بترك البلد خوفا عليه من انتقام الناس ،فخرج موسى منها خائفا مترقبا ماذا سيحدث له اليوم أو غدا أو بعد غد ، ودعا الله أن ينجيه من القوم الظالمين . وتمتد قصة موسى فى الذنب والتوبة ؛ ليرى بعدها ما لم يتوقع وما لم يره أو يسمعه أحد من البشر ،إنها الرحلة التى أوصلته إلى تحمل مشاق الرسالة السماوية وتحمل أعباء النبوة ، تحمل فيها مشاق السفر فلم يذكر أنه كان معه رفيق أو أنيس ،وإنما يرجو هداية الله له إلى سواء السبيل .

فهداه الله إلى شيخ كبير طلب منه العمل معه لمدة ثمانى سنوات أو عشر إن استطاع مقابل أن يزوجه إحدى ابنتيه ، وذلك على صنيعه معهما . فقد سقى لهما لضعفهما وضعف أبيهما وكبر سنه .

وأعان الله موسى على قضاء العشر سنوات فى العمل ، ثم سار بأهله ليرى النار التى هى نور من عند الله فقد كلمه الله تكليما وأعلمه أنه الله رب العالمين العزيز الحكيم ، وأن يعبد الله ويقيم الصلاة ،وأن يؤمن بيوم القيامة ولا يصده عن ذلك من لا يؤمن بها ومن يتبع هواه .

وأعطاه الله دليلاً لنبوته يعرضه على من سيتوجه إليه ،وكان هذا الدليل فى شكل آيات ومعجزات لا يقدر عليها البشر،فقد كان يسلك يده فى جيبه فإذا هى بيضاء للناظرين، ويلقى عصاه فإذا هى ثعبان،فإذا أخذها عادت إلى سيرتها الأولى . وأنزل على أهل فرعون آيات أخرى منها الضفادع والقمل والدم والطوفان والجراد . إلا أنهم استكبروا وكانوا قوما مجرمين وقالوا : ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) ﴾ [الأعراف]

واستمر الذنب يلاحق موسى حتى بعد نبوته وتكليمه لله رب العالمين ؛ فقد كان اختبار الله له ولمقدرته على الجهاد الأكبر،وهو كلمة حق عند سلطان جائر؛ إنه فرعون الذى رأى منه بنو إسرائيل من لم تره أمة فى زمانهم ، وكان لخوف موسى من ذنبه أن طلب من الله رب العالمين أن يرسل معه أخاه هارون، فقد كان أفصح من موسى فى كلامه، فأراد موسى أن يكون معه معينا على أداء رسالته.فتقبل الله منه الدعاء وأرسل معه أخاه هارون نبيا فشد من أذره وقوى من عزيمته بعدما بشره الله تعالى بأنه ومن تبعه هم الغالبون.

فعندما ذهبا إلى فرعون وقالا: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء] وطلبا منه أن يرسل معهما بنى إسرائيل؛ فذكره فرعون بفضله عليه وأنه رباه فى بيت الفرعون وتمتع بكل خيراته، ثم ذكره بذنبه الذى فعله، وهو قتل القطبى ثم بكفره بفرعون وخروجه عن حكمه.

إلا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعترف له بذنبه فيما يخص قتل القبطى ، وأنه فعل ذلك وهو من الضالين، وكان ذلك سببا لفراره منهم وخوفا على نفسه ، فوهب الله له حكما وعلما وجعله من المرسلين ، فخاف أن يتبعه أهل مصر ، فأراد أن يثبت ملكه ويعلى من شأن نفسه أمامهم ، ويهزم موسى وهارون ليكونا عبرة لكل من سمع بهما أو شاهدهما .

وأراد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكون هناك لقاء بينه وبين فرعون أمام الملأ فى يوم العيد ، فهذا أدعى للنشر والتصديق وليراه الصغير والكبير والأقباط وبنو إسرائيل ، وهدد فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لو اتخذ إلهًا غيره ليكونن من المسجونين، فألهمه الله تعالى أن يستخدم الآيتين وهما يده والثعبان إلا أن فرعون اعتبر ذلك سحرا ، ورأى أن يقابل السحر بالسحر. والكلام بالكلام ـ ظنا وجهلا ـ أنه على الحق، وأن ما عدا ذلك الباطل، وشتان بين كلام البشر وآيات الرحمن ، وقد أراه الله الآيات كلها إلا أنه كذب وعصى .

وعندما جاء اليوم المشهود نصح فرعون السحرة أن يجمعوا كيدهم ويأتوا بما يستطيعون من علم السحر لهزيمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعدهم بأنهم سيكونون مقربين لفرعون إذا استطاعوا أن يهزموه ويكونون هم الأعلى فى السحر والمكر فيمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين؛ فثبت الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لا يفلح كيدهم وأنه هو الأعلى وهو المنتصر .

وظهر بوادره عندما ألقى موسى عصاه فإذا هى ثعبان ضخم يلقف ويأكل كل ما صنعه السحرة وسحروا به أعين الناس . وكانت آية مبصرة لكل من حضر اليوم ، فآمن له السحرة قبل أن يأذن لهم فرعون ، فقد كانت الآيات أكبر من فرعون وهامان وجنودهما ، فدعوا ربهم عند العذاب الذى ألحقه بهم فرعون : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] وقالوا لفرعون : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء] .

وخشى فرعون وملؤه أن يترك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيؤمن به الكثيرون ويتركوه ويزول ملكه ، فقرر فوعون أن يقتل أبناء المسلمين الذى آمنوا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقهرهم أجمعين ، ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف : ١٢٨]، و قال لهم : ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس] .

وأنعم الله على موسى عليه السلام بعد أن قرر فرعون قتله ومن معه برجل من آل فرعون يكتم إيمانه أعطى النصيحة لفرعون ،وجاهد أفضل الجهاد فحاول بالعقل والمنطق فقال لفرعون وملئه : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ [غافر : ٢٨] .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾ [غافر] .

وأرسل الله على فرعون وقومه الآيات والعذاب فجاء الطوفان ، والجراد والقمل والضفادع والدم، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله لهم ، فإن كشف عنهم العذاب فسيؤمنون به وسيرسلون معه بني إسرائيل ، فلما كشف الله عنهم الرجز والعذاب إذا هم ينكثون .

ودعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) ﴾ [يونس] . فاستجاب الله لدعائه عندما تراءى الجمعان: جَمْعُ موسى عليه السلام المسلمون وجَمْعُ فرعون الكافرون فأوحى الله لموسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر ،فانفلق وغرق فرعون وأهله ولم تنفعهم أموالهم ولا سلطانهم ولا جناتهم ولا مقامهم . قال تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٦٦) ﴾ [الشعراء]

غرقوا جميعا ولم ينفعهم إيمانهم حين رأوا عذاب الله ، فهذا وقت لا ينفع فيه التوبة ولا الإيمان ، يقول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴾ [غافر] .

أما فرعون فقد نجاه الله ببدنه ليكون لمن خلفه آية ولم يقبل الله له توبة . يقول الله تعالى فى سورة يونس : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو

إسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

وقد عرف المسلمون هذا اليوم الذى كان يصومه اليهود وهو يوم عاشوراء فقال الرسول ﷺ لأصحابه : « **أنتم أحق بموسى منهم فصوموا** » (١) .

وبعد نصر المسلمين وهم الجماعة التى آمنت بموسى عليه السلام والتى اختارها الله لتكون الجماعة المؤمنة ، كان لموسى عليه السلام قصة أخرى معهم فى التوبة . فبعد أن جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . فطلب قوم موسى عليه السلام منه أن يجعل لهم إلهًا كما لهم آلهة ، فقال لهم : ﴿ **إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾** ﴾ [الأعراف] .

وذكرهم موسى عليه السلام بنعم الله عليهم فقد جعل منهم الأنبياء ، وجعلهم ملوكًا ، وطلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ، ولكنهم خافوا ممن فيها من الملوك الجبارين وأنهم لن يدخلوها إلا بخروجهم منها ، ولكن فى كل قوم نجد فيهم أصحاب عقول ينيرون لغيرهم الطريق ، فقال اثنان منهم : ﴿ **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [المائدة] إلا أنهم رفضوا دخولها فدعا عليهم موسى عليه السلام أن يفرق الله بينه وبين القوم الفاسقين ،واستجاب الله لدعائه فجعلها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض .

وقصة أخرى لقوم موسى عليه السلام توضح ظلمهم لأنفسهم ، فقد أنعم الله عليهم بعد نجاتهم من الغرق بالطعام الطيب والشراب اللذيذ والغمامة التى تقيهم حر الصحراء إلا أنهم طلبوا من موسى عليه السلام ،أن يدعو لهم ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض ،وذلك كما كانوا يرون فى مصر ،فهم يطلبون أن تزرع الصحراء التى لا ماء فيها كما تزرع أرض مصر ،وأن يأكلوا منها كما كانوا يأكلون فى مصر ،فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [البقرة : ٦١] .

فهذه نعم الله عليهم ،وهذا الجحود أوقعهم فى الذنب وغضب الله عليهم .

ولموسى عليه السلام قصة أخرى فى التوبة إلى الله والتى فيها يطلب منه ـ عز وجل ـ أن

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٦٨٠) .

يراه فهو لم يكتفِ بكلامه . يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ .

وقد طلب قوم موسى عليه السلام نفس الطلب من موسى عليه السلام إلا أنهم وضعوا هذا الطلب شرطا لإيمانهم فعاقبهم الله بالصاعقة ثم تاب عليهم وبعثهم من بعد موتهم . يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾ .

ولما رجع موسى عليه السلام من ميقات ربه وبشره الله بأنه اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه ، وكتب له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا ،وأمره بأن يأخذها بقوة ويأمر أهله بأن يأخذوا بأحسنها ، وجد قومه قد اتخذوا من حليهم عجلا جسدا وكانوا ظالمين لأنفسهم فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ .

ولكنهم ندموا على ما فعلوا : ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) ﴾ [الأعراف] وهو اعتراف بالذنب وطلب للمغفرة من ربهم فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾ [البقرة] . قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف] فهذه توبة أخرى لموسى عليه السلام يتوب فيها لنفسه ولبنى إسرائيل الذين عبدوا العجل وهم السفهاء وهو إحساس منه بالمسؤولية تجاههم حتى وهو ليس معهم .

وقد توجه موسى عليه السلام إلى الله طالبا المغفرة له ولأخيه على ما فعله قومه عند غيابه عنهم وعبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى، وهو فرد منهم فأضلهم واتبعوه وكادوا يقتلون هارون فقال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) ﴾ [طه] .

قال له موسى عليه السلام : ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ [طه] فقال له

هارون : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [طه: ٩٤] قال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾ [الأعراف] .

وكانت عاقبة من اتخذوا العجل غضبًا من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ولكن الله سبحانه وتعالى ـ الرحمن الرحيم قبل توبة من تاب إليه قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) ﴾ .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة موسى عليه السلام :

قال تعالى فى سورة القصص : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) ﴾ .

للإحساس والاعتراف بظلم النفس .

قال تعالى فى سورة القصص : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ .

لسرعة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل .

قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] .

للإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين .

قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

لحدود علم الناس بالله تعالى .

منهج التوبة

الإحساس والاعتراف بظلم النفس :

قال تعالى في سورة القصص : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ . أدرك موسى أنه وقع فى الذنب فظلم نفسه ، وطلب من ربه أن يغفر له ذنبه فاستجاب الله دعاءه قبل نبوته ونزول التوراة . ولكـن هـذا مـا بين المذنب وربـه ، أما ما بين الإنسان ومن ظلمه فلا يقبل المظلوم أن يتعدى عليه شخص ثم يلجأ إلى الله ليستغفر وتنتهى حقوقه وتنتهى مظلمته . ولذلك لم تنته هذه المشكلة واستمر الذنب يلاحق موسى سنوات بالخوف والترقب ، وترك الأرض .

أما توبة الله على موسى فقد قبلها وقبل دعوته وهداه إلى سواء السبيل ووجد من يستأجره ويأمنه ويعيش معه إلى أن بعثه الله بالنبوة ،وحتى بعد النبوة وقبول دعوته ومؤازرة أخيه هارون له بعد أن أصبح معه نبيا فلم ينته خوفه من الذنب واحتمال قتله ، ولكن رغم ذلك اعترف لفرعون بهذا الذنب . وأنه فعل ذلك ضلالة منه إلا أن الله وهب له الحكم وجعله من المرسلين .

فهذه توبة موسى قبل النبوة فقد اشتملت على عناصر التوبة وهى الاعتراف والإقلاع عن الذنب وعدم الرجوع إليه بالعزم والإصرار مع الندم والاستغفار والدعاء إلى الله ، أما ما يتعلق بالعنصر الخاص بالمظلوم فلم يتحقق وهو رد مظلمته . وهو ما جعل الإحساس بظلم النفس والخوف من القصاص يلاحقه إلى أن طمأنه الله وأعلمه أنه معه ، وثبته بالآيات التى سيواجه بها فرعون قومه .

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾. وقيل إن الأمانة هى الفرائض وقيل: الطاعة ،وقيل : الدين والفرائض والحدود ، وقيل: إنها التكاليف بقبول الأوامر والنواهى بشروطها .

فظلم الإنسان وجهله من أسباب وقوعه فى الذنب فهو لا يدرى عظم الدور الذى خلق من أجله فهو خليفة الله فى أرضه ، وهو موكل بحفظ هذه الأرض وإعمارها ،

وحفظ أماناتها التى لم يستطع غيره من المخلوقات تحمل هذه الأمانة .

ولكن متى يكون الإنسان ظالما لنفسه ؟ هل عندما يلحق بها الضرر أم يلحق بغيرها أم لا يلحق بنفسه أو بغيره، ولكنه لا يرى ولا يتحرك للظلم حوله؟ وقد أكرمنا الله تعالى بالقرآن الكريم هدى ونورا للمتقين فلنأخذ من هذا النور آيات لنضىء بها ظلمة الظلمات.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ﴾ . فقد ظلموا أنفسهم ووقعوا فى أكبر الكبائر وهو الشرك بالله، فكانت عاقبتهم قتل أنفسهم ليتوب الله عليهم .

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾ . ويقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾ .

فهذا الظلم للنفس قد ألحق بها ضررا بالموت والقتل والحرمان للطيبات كما أوقعهم فى أكبر الظلم وهو الشرك بالله .

وقد يكون الإنسان ظالما لنفسه عندما يقع ظلمه على الناس، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [٢٣١] .

فإذا ظلم الزوج زوجته أو ظلم الرجل مطلقته ،فإنه بذلك يكون قد وقع فى ظلم النفس ؛ وذلك لأنه حملها ذنوبا لا تستطيع تحملها وهى عدم تقوى الله .

إذن فظلم النفس قد يكون بأن يرتكب الإنسان ذنبًا فى حق نفسه أو فى حق الناس أو فى حق رب العالمين . وهى أعظمها ظلما للنفس . وعلى من وقع فى ظلم نفسه أن يحسن إليها بالأعمال الصالحة قبل أن يأتى يوم الحساب . يقول الله تعالى فى سورة النمل : ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) ﴾ . ويقول فى سورة المائدة ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾ .

أما فى يوم الحساب فتجزى كل نفس بما عملت يقول الله تعالى فى سورة غافر : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) ﴾ .

ربما نستطيع بعد هذا التقسيم لظلم النفس أن نحدد مع أنفسنا ،أين نحن من هذا الذنب ، ويجب أن نعطى الظلم العظيم الأهمية التى يستحقها .

فعندما نزلت الآية فى سورة الأنعام : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢) ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه ؟ قال : « **إنه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح :﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** (١٣) ﴾ [لقمان] ، إنما هو الشرك (١) .

فعندما نقول :لا إله إلا الله فيجب أن نعنى ذلك حقًا ، وعندما نقول : الله أكبر فيجب أن يكون أكبر من كل شىء فى الوجود ،وعندما نحمده ونشكره فيجب أن يكون نابعا من اعتقاد راسخ فى القلب بأن الشكر لله وحده على نعمه التى لا تحصى ولا تعد، وأننا لا نحصى ثناءً عليه. لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. هو الأول والآخر،وهو الظاهر والباطن،ولا حول ولا قوة إلا به .

وأعظم ثمرة يعطيها الله لمن يؤمن به ولا يشرك به شيئًا فى الحياة الدنيا هى الأمن: ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ** ﴾ فهم لا يخافون أحدا إلا الله فيعيش المؤمن هادئا مطمئنا فى جميع أحواله، كما تعجب على حاله الرسول ﷺ فهو خير فى كل حال إذا أصابه خير شكر فكان خيرا له ،وإذا أصابه شر صبر فكان خيرا له . فهذه هى الأمن والهداية . وهى تحمل معانى الأمن من أمن نفسى وأمن روحى وأمن جسدى ، فيا حبذا لو كانت حياتنا خالصة بالإيمان بالله الواحد الأحد ننعم بالأمن فى الحياة الدنيا ونفوز بجنة الرضوان فى الآخرة اللهم آمين .

وإذا اطمأنت الأخت إلى هذه الحالة من الإيمان فعليها أن تبحث عما إذا كانت ظلمت نفسها فى حق الآخرين . وتستفيد من مدرسة موسى فى التوبة فتندم على فعلتها وتقلع عنها وتعزم على عدم الرجوع إليها وتتوجه إلى الله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة، ثم لا تنسى أن ترد مظلمة من ظلمت نفسها فيهم ، فإذا كان شيئا ماديًا ردته إليهم ، وإذا كان أخلاقيا حسنت أخلاقها واعتذرت وأكثرت من فعل الخيرات وخاصة إذا لم تستطع الرجوع لمن ظلمتهم، فإن الحسنات يذهبن السيئات .

ثم تبحث الأخت عما إذا كانت قد ظلمت نفسها بإلحاق الضرر عليها أو على صحتها وجسدها ،وربما يكون ذلك فى بعض الأحيان بالإسراف فى الطعام أو الإقلال

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٦٢٩) .

منه أو الاكتفاء بنوع معين أو تعاطى أدوية مضرة أو الكسل والركون اللذين يؤديان إلى السمنة والمرض ،وقد يكون الضرر فى علمها كأن تختار نوعا من العلم يناسبها ولا تستفيد منه، فتضيع وقتها فيه ومالها وصحتها ثم يذهب هباء كأن لم يكن ،وقد يكون الضرر فى نفسها بأن تترك لها هواها فتشقى أو أن تتكاسل فى تزكيتها وإصلاحها ورياضتها بحيث تقوم اعوجاجها وجموحها نحو الباطل أو الرذائل .

فلتبحث الأخت عن أى نوع من هذا الظلم للنفس قد وقع عليها ولتدقق فى ذلك. ولتكن أمينة مع نفسها حتى تستطيع أن تجد العلاج بالتوكل على الله وإخلاص النية له فى التوبة النصوح . والتى لا ينتظر من بعدها إلا الغفران من لدن غفور رحيم .

سرعة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل :

قال تعالى فى سورة القصص : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾ .

سرعة إدراك الخطأ من أهم عوامل تصحيحه ، فإذا لم يدرك موسى عليه السلام أن هذا العمل من عمل الشيطان ، واعتبر أن هذا دليل على قوته لاستخدم هذه القوة بعد ذلك وخاصة عندما تعرض لنفس الموقف فى اليوم التالى ،ولأخذ صفة الكبر والظلم ممن نشأ فى بيتهم وخاصة فرعون وأعوانه .

وإذا أخذنا من الآيات السابقة فى سورة القصص منهجًا للتفكير قال الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾، فربما فتحت لنا مواقف ندرك فيها أهمية سرعة التوبة والرجوع إلى الله للاستغفار وطلب العفو الرحمة من لدن غفور رحيم.

- ألم تسمعى قول بعض الفتيات: إنها تؤجل الحجاب إلى بعد الزواج رغم اقتناعها به!

- ألم تؤجل بعض الزوجات مصالحة أم زوجها وتركت ذلك للأيام لعلها تصلح ما فى النفوس !

- ألم تترك بعض الأخوات الأمراض البسيطة فى قلبها إلى أن رانت على قلبها فلم تستطع علاجها !

- ألم يمت بعض المظلومين قبل أن يفيق ظالموهم ويعطوا لهم حقهم !

- ألم تسافر بعض الأخوات ولا تستطيع الرجوع لترد مظالم ألحقتها بغيرها !

- ألا ننسى كثيرا مما نقول ونعمل !

- ألم يدرك الموت بعضنا وهو فى غفلة عن هذا !

- ألم نخطأ فى تقديرنا للأمور وعواقبها !

- ألم تلهنا الدنيا بما فيها عن ذكر الله فاتبع البعض أهواءه أملا فى الفوز بها !

- ألم يستحوذ الشيطان على بعضنا وأنساهم ذكر الله والرجوع إليه !

- ألم تؤجل بعض الطالبات بر والدتها والإحسان إليها إلى ما بعد الامتحانات !

- ألم تؤجل بعض الأخوات الصلاة عن موعدها إلى أن حانت موعد الأخرى !

فهذه بعض من كل أو قليل من كثير وما علينا إلا التفكر والتفكير للفوز بمقام المقربين لله رب العالمين : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران] .

ألم تسألى نفسك؟ لماذا السرعة فى هذا الأمر طالما أن الله غفور رحيم ربما تجيب عليك السطور القليلة القادمة على هذا السؤال ، وربما تجدين فى نفسك إجابات أخرى وربما يجيبك آخرون ، ولكن الجواب الفصل فى هذا الأمر هو السرعة وعدم التسويف فى التوبة إلى الله .

هل العمر يعلمه أحد من الخلق ؟ بالطبع لا ، فلكل أجل كتاب يعلمه خالق الخلق الواحد الأحد ، هل الفتاة التى تؤجل طاعة ربها بارتدائها للحجاب، تعلم أن العمر سيمتد لها إلى ما بعد الزواج ؟ فربما تموت وهى نائمة، أو وهى فى الشارع تمشى مطمئنة على الرصيف عندما تأتى مركبة فتصدمها،وهى تفكر كيف تستثمر جمالها وشبابها؛ لكى تجذب الرجال فتحظى بفرد منهم يتزوجها ،فيسعدها فى الحياة الدنيا والتى انتهت فى لحظة التفكير . فلا يصح لها أن ترجع إلى الدنيا فتعمل عملا صالحًا، فقد انتهت حياتها عند هذا الحد فكشفت عورتها فى الدنيا فهل تنتظر أن يسترها الله يوم القيامة إنها أنهت حياتها بالمعصية فجاءها الموت فجأة وكان عاقبتها الخسران المبين .

وكذلك الحال لمن تركت فريضة من فرائض الله سواء كانت صلاة أو صدقة فهل تضمن أن يمتد عمرها إلى وقت الصلاة القادمة !

- وهل تضمن أن يمتد عمرها لتصالح من خاصمتهم وترد مظلمته ، وهل تضمن أن يمتد عمر من ظلمتهم لترد لهم مظلمتهم، فربما توفى من وقع عليه الظلم فلا تستطيع

حينئذ أن تعتذر أو تطلب الصفح والمصالحة معه فتندم على هذا وتنظر يوم الحساب لكى يأخذ من حسناتها وإذا فنيت يطرح عليها من سيئاته . ألا نخشى هذا اليوم !

هل يمكن أن تبقى الصغيرة صغيرة ؟ أعنى صغائر الذنوب . هناك قاعدة تقول : إنه لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار .

فتراكم الصغائر يمرض القلب والنفس . يقول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ⑮ ﴾ [المطففين] .

فالقلب يران عليه من كثرة المعاصى ويصدأ ولا يستطيع أحد أن يجلى هذا الصدأ إلا بكثرة الاستغفار وذكر الله هو الوسيلة لجلاء هذا الصدأ . أما إذا رضيت الفتاة بهذا القلب المطموس بالمعصية فعليها أن تنتظر اليوم الذى تحجب فيه عن ربها ثم دخول النار والعياذ بالله . إذن فلتنظرى إلى الصغائر مهما صغرت وتجليها أولاً بأول . وربما تجد الفتيات مثالاً قريبا لهن فى ذلك وهو « جهاز البوتوجاز » أو موقد الغاز إذا قامت بتنظيفه أولاً بأول من كل وسخ ولو صغيراً فسيسهل عليها تنظيفه ، وإذا تركت الأوساخ تتراكم فلا جدوى بعد ذلك وحتى إذا استطاعت تنظيفه بقدر الإمكان فسوف يترك أثرا وبقعا للاتساخ . وكذلك الحال فى الملابس التى تترك بها بقعة صغيرة إلى العام المقبل فستجدين صعوبة وربما تستعصى إزالة هذه البقعة .

وفى المقابل ما أجمل الفتاة التى تحاسب نفسها وتستغفر ربها وتسرع فى الاستغفار ، فربما كانت هذا الذنب نظرة حق على أختها،أو عدم وفاء بالوعد واللقاء فى معاد محدد، أو تأخير قضاء الحاجة لوالدتها إلى أن تنجز عملها الخاص ، أو إسراف فى الحديث فى التليفون ، أو لغو فى الحديث بما لا يفيد ، أو عدم استثمار الوقت فيما يرضى الله ، أو عدم إكمال العمل ، أو تأخيره أو عدم إتقانه ، أو الامتناع عن زيارة مريض ، أو عدم التبسم فى وجه أختها ، أو عدم إلقاء السلام عليها ، أو عدم مشاركتها فى عملها فى وقت فراغها ، أو عدم الاهتمام بمظهرها ونظافتها وطهارتها ، أو عدم اختيار محاسن الألفاظ والكلمات ، أو إسرافها فى أمرها بكثرة الشراء لمتطلباتها وعدم الاكتفاء بما يقضى لها حاجتها ، أو عدم تبليغ رسالة وكلت بتبليغها ، أو الإثقال على والديها بالمطالب التى لا قبل لهما بها أو إحداث ضوضاء فى مكان يستحب فيه الهدوء أو وقت يستحب فيه الراحة أو عدم تنظيم حياتها وشؤونها ، أو عدم تعلمها ما ينفعها فى دينها ودنياها بأن تتعلم أشياء تافهة أو تتعمد الكذب على أخواتها من أجل مصلحتها الخاصة .

فهذه أخطاء أو ذنوب ربما لا نلقى لها بالا وربما لا نحس بها من كثرة تكرارها حولنا، وربما لا يستغفر لها البعض،ولا يحاسبون أنفسهم عليها ،ولكن إذا حاسبت الأخت نفسها على هذه الذنوب أولاً بأول فستقى نفسها من الوقوع فى الكبائر مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين ، وقول الزور . وإذا حاسبت الأخت نفسها عليها فستنقى قلبها ، وتطهر وتزكى نفسها من اتباع الهوى ، واستحواذ الشيطان عليها ونسيان ذكر الله وإذا حاسبت الأخت نفسها عليها فستكون قدوة لغيرها من المقربات إليها وتحذو حذوها الكثيرات من المؤمنات .

فالحرص على الغير وأدب المعاملة والاعتذار عند الخطأ كلها أخلاق يمكن أن تقتدى بها الكثير من الأخوات .

* لتسأل الأخوات أنفسهن هل يدوم الحال فى معظم الأحوال ؟

يقال: إن دوام الحال من المحال ، فلا أحد يعيش حياته فى مرحلة واحدة ، ولا أحد تدوم له صحته وعافيته إلى الكهولة ، فكل يوم هو فى شأن غير سابقه .

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقرا مُنسيا ، أو غنى مُطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر !** » رواه الترمذى وحديثه حسن (١) .

فكل هذه الأحداث والأحوال قد تمر على أحدنا فتغير مساره وحياته فلا يستطيع أن يقدم عملا كان سهلا عليه بالأمس وميسراً ولكن يصبح فى وضع النسيان ،أو الطغيان ، أو الفساد ؛ الضعف العقلى أو الموت الفجأة ،ومثل هذه الأحوال لا يستطيع أحد أن يضمنها لنفسه ، وهو ما يؤكد على سرعة القيام بالأعمال الصالحة والتوبة إلى الله فما هو سهل اليوم قد يكون صعبا عسيرا غدا .

فإذا كان لديك اليوم مال هل تفكرين فى رد أمانات الناس عندك أم تفضلين أن تشترى لوازم لك أو حاجيات ربما لا تكون أساسية أو ضرورية ، وتؤجلين دفع أموال اقترضتيها .

وإذا كنت تتمتعين بصحة جيدة ووقت فراغ هل تستخدمين هذه الصحة وهذا الوقت

---

(١) سبق تخريجه ص ٧١ .

فى معاونة الآخرين أم تدخرينها لغدٍ ، لتؤدى عملا خاصا بك ؟

وإذا كان لديك علم نافع لغيرك هل ستقومين بتعليمه لهن أم ستفضلين التعلم دون التعليم وتؤجلين ذلك لوقت آخر ؟

وإذا كان لديك ملابس متراكمة فى دولابك منذ سنوات فهل ستتصدقين ببعضها أو كلها هذا العام أم ستضعين عليها ما زاد عن حاجتك هذا العام وتؤجلين ذلك ، فلربما تحتاجينه فى أعوام مقبلة ؟

وإذا رزقك الله بحلوى كثيرة من زائرات لك وأخوات يجاملنك فزادت عن حاجتك واستهلاكك هل ستضعينها فى الثلاجة لشهور مقبلة أو هل ستبحثين عمن تعطينه بعضها وتتركين ما يكفيك والقليل ؟

هذه أمثلة من كثير، ولكن إجاباتك ستكون منبها لتفكيرك ومقيما لدرجة إيمانك بالله ودرجة طلب العفو والمغفرة الصادقة، وعلى أية حال يجب أن نعطى قبل ألا نستطيع، وأن نعمل قبل أن نعجز عن العمل، وأن نتوب قبل أن نموت فنبعث على ما متنا عليه .

ولأهمية الوقت ومحدودتيه دور فى ضرورة سرعة التوبة ولتسأل الأخت نفسها ماذا إذا ضيعت وقتها فى الأخطاء والذنوب ؟ هل ستبقى لها أوقاتا للطاعة والاستغفار ؟ أم سيضيع الوقت فى حل المشكلات ورد المظالم وطلب العفو من الناس وعقد الجلسات للتصالح ، وإما أن تنتهى بالوفاق ويكون هذا من فضل الله ، وأما أن تنتهى كما بدأت ، وأما أن تنتهى بأكبر مما بدأت وتزداد وتتعقد الأمور والعياذ بالله ؟ .

فأين إذن الوقت لطاعة الله وعمل الصالحات ؟ ألا نوفر وقتنا لما هو أطيب وأفضل عند الله؟ وهو ذكر الله والطيب من القول وإشغال القلب والنفس والجوارح بطاعة الله فى السر والعلن وفى كل لحظة فنستفيد ونفيد ونعلى من الدرجات ونُعلى معنا غيرنا . أهذا أفضل أم الأمراض والعلاج فالمرض ألم وعذاب والعلاج إما يشفى بعد تذوق المر والدواء وإما يزيد الداء داء .

ولتأخذ الأخوات مثالا لذلك فى ورقة الامتحان فى لجنة المدرسة أو الجامعة ، فهذه الورقة محدودة بعدد معين من الصفحات ، والوقت للحل محدود بعدد معين من الساعات فعليها أن تجيب على الأسئلة المحددة فى ورقة الامتحان .

فإذا بدأت الإجابة بعدد من الأخطاء ثم انتقلت إلى السؤال الثانى ووقعت فى عدد

آخر من الأخطاء ودخلت على إجابة السؤال الثالث فأخطأت فى حل بعض الأمثلة ثم بدأت تراجع الإجابات هل تستطيع أن تصحح الإجابات التى أخطأت فى حلها كلها قبل أن ينتهى الوقت ؟ وماذا ستكون شكل ورقة الإجابة بعد هذا التصحيح ؟ وإذا أخطأت مرة ثانية هل تستطيع تدارك هذا الخطأ ؟

إن الأمر بالغ الصعوبة وخاصة إذا كانت الأخطاء كثيرة وحتى لو كانت صغيرة فكثرتها ستجعل من العمل شيئا غير مرض على الإطلاق ،ولكن هذا المثال لا ينطبق على جميع الحالات فالخطأ والنسيان من صفات البشر؛ ولذلك فهو شيء متوقع ، ولكن كثرة الخطأ هو محل الكلام . وكذلك المراجعة ضرورية لتصحيح الأخطاء ولكن إذا زادت لا يسعف الوقت أى إنسان . فهكذا الحياة .

فلنسرع بالتوبة من قبل أن يأتى أحدنا الموت فيقول : ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون] .

ولنسرع بالتوبة قبل أن تكبر صغائرنا من الذنوب .

ولنسرع بالتوبة قبل تغير الحال والأحوال .

ولنسرع بالتوبة قبل فوات الأوان: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون: ١٠] .

اللهم إنا نستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب آتيناه فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم .

الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين :

قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

تقص علينا هذه الآيات موقفا لموسى عليه السلام وأخيه هارون مع قومهما وكيف طلب موسى عليه السلام من ربه المغفرة وأحس بالمسؤولية تجاه خطأ القوم فى غيابه . فقد غاب عنهم لميقات ربه تعالى وتعجل فى تركهم على أمل منه أنهم سيسيرون على نهجه وأنه

ترك لهم أخاه هارون ، فلم يتركهم بدون مرشد ولم يضع فى اعتباره ولم يفكر فيما يمكن أن يحدث منهم تجاه عبادتهم لله الواحد الأحد رغم أنهم كانوا قد طلبوا منه هذا الأمر قبل ذلك ،وقد أخبره الله بأنهم قد ضلوا واتبعوا السامرى وهو رجل منهم صنع لهم عجلا من ذهب المصريين الذى أخذه اليهود منهم . فاتبعوه وعبدوه ، وأحس بعضهم أنهم قد ضلوا فطلبوا المغفرة والرحمة من الله عز وجل إلا أن البعض الآخر استمر فى ضلاله وكادوا أن يقتلوا هارون واستضعفوه ، فتوجه موسى عليه السلام بطلب المغفرة له ولأخيه وأن يدخلهما الله فى رحمته .

أما السامرى فقد كان لموسى عليه السلام موقفا وحديثا معه ، يقول الله تبارك وتعالى فى سورة طه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ .

فقد دعا موسى عليه السلام على السامرى ألا يمس أحدا معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه ، وهو أثر فرس جبريل الذى أخذ منه قبضة واستخدمها فى صناعة العجل ، وتوعده فى الآخرة بأن له موعدا لن يخلفه .

أما الذين أطاعوه ولم يتوبوا فإن الله لم يقبل منهم توبتهم إلا بعد أن يقتلوا أنفسهم .

يقول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

ربما تكون فى هذه الآيات إشارات لدروس عريضة ومتنوعة لا يجوز أن نتركها منها: أهمية الالتزام بالوقت وأن التعجل فى أمور العبادة يمكن أن يأتى بنتائج لا تحمد عقباها : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ [طه].

وأن هناك فتنا يمكن أن يتعرض لها المؤمنون والذين على الهدى وهو ما يجعل المؤمن دائما فى رجاء لرضاء ربه عليه وفى خوف لعدم التوفيق فى أى من الأمور . فقد يكون المؤمن قد وقع فى ضلالة سابقا ،ولم يتطهر منها كما يجب وبقيت منها جزء فى قلبه يمكن أن تنبت إذا وجدت الظروف لذلك ففى البداية كان الطلب : ﴿ يَا مُوسَى اجْعَل

لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ،وفى النهاية كانت : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف :١٤٨] .

إنه لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . فبعض المؤمنين أدركوا أنهم على ضلالة ولم يكملوها . وتوجهوا لله بالتوبة والاستغفار : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) ﴾ [الأعراف]،وبعضهم رفضوا التوبة : ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) ﴾ [طه] .

﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) ﴾ [الأعراف] .

وقبل الله توبة من استغفر فى وقت الضلالة ، أما الذين أصرور على حالهم فنالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) ﴾ [الأعراف]

إذن فهذه ثلاثة أمور : (أهمية الالتزام بالوقت ، حسن التطهر ، حسن الرجوع إلى الله والتوبة إليه) .

كان يجب أن نذكرها قبل الدخول فى منهج موسى عليه السلام فى تحمل المسؤولية لعلنا نتسائل لماذا توجه موسى عليه السلام بطلب العفو والمغفرة والرحمة له ولأخيه على إثر عبادة قومه للعجل؟ هل قصر موسى عليه السلام مع قومه ؟ هل قصر أخوه هارون فى مهمته ورسالته؟ ألم يكن موسى عليه السلام فى مهمة أكبر وهى تلقى الرسالة من ربه ؟ وهل يمكن أن يقوم بهذا العمل غيره ؟

لقد أحس موسى عليه السلام قبل لقاء قومه ورؤيتهم بأنه قد أخطأ عندما سأله الله تعالى : ﴿ مَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ فهذه عجلة وتسرع وليس فى حق نفسه ولكن فى حق قومه . فلم يكن الإيمان قد رسخ فى قلوبهم جميعًا وقد بقيت آثار للجاهلية والضلالة فى قلوبهم ،وهو ما ظهر عند طلبهم منه أن يجعل لهم آية صنما كما لغيرهم مما شاهدوهم . وقد ظن موسى أن ما بلغهم به كان يكفى لتمام إيمانهم وعدم ضلالتهم وأن أخاه هارون سيكمل دوره حين غيابه ،ولكنهم لم يرضوا به أن يقوم مقام موسى عليه السلام وأصروا على حالهم حتى رجوع موسى .

وغضب موسى لله وليس لنفسه وذهب لكى يصلح ما أفسده السامرى ،والقوم الذين اتبعوه ويبلغ رسالة ربه إليهم ويعلمهم كيف يتوبون ويتوب الله عليهم .

أما أخوه هارون فقد أمرهم باتباعه وطاعته وخشى أن يتركهم ويذهب لموسى لإبلاغه وأعلمهم أن هذه فتنة حلت عليهم ويجب أن يتوبوا منها . ولكن كل هذا وحمل موسى عليه السلام المسؤولية الكاملة لهذا العمل على نفسه وأخيه فتوجه إلى الله بالاستغفار له ولأخيه. وأحرق العجل وقذفه فى البحر ،وثبت عقيدة قومه بأن الله واحد لا شريك له ،وأمر قومه الذين اتخذوا العجل أن يتوبوا بقتل أنفسهم حتى يتوب الله عليهم ثم بعد ذلك أخذ الألواح: ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) ﴾ [الأعراف] فلم يبدأ بإبلاغ الرسالة الجديدة إلا بعد أن عالج ما أفسده الضالون . وتاب إلى الله .

- أين نحن من هذا الإحساس بالمسؤولية تجاه أخطاء الآخرين ؟ نحن لم نصل بعد إلى الإحساس بالمسؤولية تجاه أخطائنا ، فكثير منا لا يعترف أنه أخطأ فى حق الله أو الناس أو نفسه وهو ما يعرقل ويؤخر وربما يمنع التوجه إلى الله بالاستغفار . فهؤلاء اللاتى لم يعترفن بأخطائهن لا يمكن أن يتخطين هذه الدرجة إلى ما تليها فيحسن بالمسؤولية تجاه الآخرين ، ولذلك فلا نحس بالمسؤولية تجاه الآخرين إلا عندما نحس بالمسؤولية أمام الله تجاه أعمالنا وأنفسنا .

ولهذه الدرجة عناصر مهمة يجب الاهتمام بها وهى :

١ - الإخلاص لله فى جميع الأعمال والأوقات والحالات .

٢ - الصبر .

٣ - مراقبة الله .

٤ - تقوى الله .

٥ - التوكل على الله .

٦ - حب الله .

١- الإخلاص لله وتحمل المسؤولية :

المسؤولية الأولى عليك هى الإخلاص لله : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة] .

وعن أبى هريرة ـ عبد الرحمن بن صخر ـ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » رواه مسلم (١) فعند إدراك الأخت المسلمة لهذه الآية وهذا الحديث فإن تحملها المسؤولية فيما تقوم به من أعمال يجب أن تزيد بزيادة إيمانها بالله وآياته وبرسوله وسنته ﷺ .

فتجعل جميع أعمالها عبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ وتنظر إلى هذه الأعمال هل يرضى الله عنها أم لا؟ هل هى خالصة له أم لنفسها أم أشركت فيه غيره ـ سبحانه وتعالى؟

فربما تقوم بأداء فريضة كالصلاة وهى ترائى الناس ،وترغب فى رضاهم عنها أو أن يقولوا : إنها مؤمنة ، فهنا لم تخلص العبادة لله ، وربما تكون أختا مخلصة حتى فى أعمالها الدنيوية وليست فى أداء الفروض مثل إتقانها فى العمل وإكمالها إياه عملاً بسنة رسول الله ﷺ أن من عمل عملا فليتقنه ، فتكون هنا على درجة من الإخلاص لله ـ سبحانه وتعالى ـ وترجو تقبل الله لهذا العمل .

٢ ـ الصبر وتحمل المسؤولية:

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ [طه] .

إن معظم الأعمال تحتاج إلى صبر لكى تتم على أكمل وجه ، حتى ما تقوم به الأخت من صلاة فى وقت قد يحتاج إلى خمس دقائق فقط ، فلكى تتم صلاتها يجب أن تتحلى بالصبر فى أدائها وعدم التعجل أو التسرع لقضاء أعمال أخرى ، وهو ما يخرجها أثناء صلاتها من الصلاة وهى فيها .

فكلما فكرت الأخت فى مسؤوليتها تجاه الله فيما تقوم به من فروض وأعمال وجدت أنها لا بد أن تتحلى بنعمة الصبر،وإن لم تكن فيها: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فهو أمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو أفضل معين فى تحمل المسؤولية . وخاصة عند الشدائد وعند الغضب وعند القيام بالأعمال التى تحتاج إلى وقت لإنجازها ، وعند القيام بالأعمال التى تحتاج إلى دوامها . فلكى تصلى إلى درجة التعود على العمل لا بد أن يسبقها درجة الصبر عليه .

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤/ ٣٣) .

٣ ـ مراقبة الله وتحمل المسؤولية :

إذا وجدت أختا لك فى موقع عمل لا تتقن واجبها هل تتوقعين أنها تراقب الله فى هذا العمل ؟ بالطبع لا ، فهى أولاً تراقب هواها وراحتها الجسدية أو العقلية ولا تلقى بالا برضاء الله عليها أو غضبه،فالمدرس داخل الفصل لا يراه المدير أو المفتش عليه، فإذا قام بأداء واجبه كما يحب الله ويرضى فقد راقب الله فى عمله وإذا لم يقم بذلك فليس عنده خوف من الله ولا مراقبة له .

يقول الله تعالى فى سورة الحديد :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [٤] .ويقول الله تعالى فى سورة غافر : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ .

والإسلام يدرب المؤمن منذ صغره على هذه الصفة لتحمل المسؤولية فى صغره قبل بلوغه ووضعه فى مكان المسؤولية . يقول الرسول ﷺ :« **يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** » رواه الترمذى [١] .

فهل انتظر الرسول ﷺ إلى أن يكبر الغلام ويصل لسن التكليف لكى يعلمه هذا الكلمات ،أم كان عليه أن يعلمه إياها فى صغره ! فهذه المراقبة تكون حصنا من الوقوع فى الذنب أو الخطأ صغيرا أو كبيرا وهى ما يستدعى ربطها بالتوبة إلى الله عز وجل .

٤ ـ تقوى الله وتحمل المسؤولية :

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] فعند تحملك المسؤولية تحتاجين إلى ضرورة تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على قدر الاستطاعة بما يعين على أداء العمل وإكماله فإذا وقعت فى مشكلة وهذا أمر عادى وطبيعى، فإن تقوى الله والخوف منه هما المخرج: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق] وإذا ضل الطريق وصعب فإن تقوى الله هى الفرقان ، وإذا أخطأتِ ووقعتِ فى الذنب والإثم .فإن تقوى الله والخوف منه أينما كنت هو المكفر عن هذه السيئات والذنوب يقول الله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، وقال : « حسن صحيح » .

٥ـ التوكل على الله وتحمل المسؤولية :

« بسم الله توكلت على الله ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أذِل أو أُذل ، أو أظلِم أو أُظلم، أو أجهل ، أو يُجهل على » (١) .

كان يقولها ﷺ عند الخروج من البيت .

وهل كان يخرج الرسول ﷺ من بيته إلا ليحمل مسؤولية تبليغ رسالة ربه إلى الناس كافة . وهل هناك مسؤولية أعظم من هذه المسؤولية التى وكل الله بها أنبياءه والمرسلين لتبليغ رسالته للناس .

فأنت تحتاجين إلى التوكل على الله فى جميع ما وكل لك من أعمال ،وهذا التوكل يجعلك تتمين العمل كما يحب ويرضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو أداء للعمل على أكمل وجه وتوكل واستعانة بالخالق القادر على كل شيء .

وإذا كان من يتوكل على الله فى الدنيا فهو حسبه وكافيه ، فإن فى الآخرة هم ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . هل تحبين أن تكونى ضمن هؤلاء ؟

٦ ـ حب الله سبحانه وتعالى وتحمل المسؤولية :

يقول الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾ .

فمن لم يتحمل مسؤولية الدين وتركه وارتد عنه فلا ينتظر أن يحبه الله ،ولا يكون محبا له على الإطلاق ،وقد وضح الله لنا فى الآيات صفات هؤلاء الذين يحبون الله ويحبهم الله تعالى ؛ فهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين ،وهم الذين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم من رئيس أو صاحب عمل أو صاحب .

وحب الله واتباع رسوله ﷺ هما الطريق للغفران من الذنوب يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾ .

إذن فمن تريد أن تنجح فى مدرسة موسى عليه السلام فى التوبة يجب عليها أن تتعلم

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٢٧) ، وقال : « حسن صحيح » .

وتتقن كيف تتحمل المسؤولية تجاه الآخرين سواء كانوا أهلها أو أخواتها أو زميلاتها فى العمل أو أقاربها وجيرانها وأن تتذكر حديث الرسول ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » (١) ،فكل أخت تعتبر مسؤولة عمن حولها ،ومن وكلت بتحمل مسؤوليتهم بالخصوص،ولا يجب أن ترمى المسؤولية على من حولها فى جميع الأعمال بل يجب أن ترى نفسها فى موقع المسؤولية ،وربما تكون هذه المسؤولية هى تحمل الأمانة التى أبى أن تحملها السموات والأرض والجبال . وحملها الإنسان .

وربما تقول الأخت: كيف تكون مسؤولة عن أعمال غيرها ألا يكفى أن تتحمل هى مسؤولية عملها فقط ؟ فلتنظر الأخت إلى أخطاء الغير وذنوبهم وتتساءل هل هذه الأخطاء التى جرت من حولها وقعت على أصحابها فقط أم عليهم ومن حولهم ؟

ستجد أن كثيرا من الأخطاء تشمل مرتكبيها وأناسًا آخرين لم يكن لهم يد فى الخطأ أو الذنب .

إذن فهل تحمل نتائج العمل القائم به فقط أم تحمله غيره معه ؟ فكما أن الإجابة هنا أن النتائج لم تقع على مرتكب الخطأ فقط ،فكذلك المسؤولية لا تقع على عاتق فرد فقط . ونحن لا يجب أن ننظر إلى المسؤولية من الجانب الذى يدعو للتنصل منها وتحميلها على عاتق الآخرين ،ولكن المسلم ينظر للمسؤولية ويحملها على نفسه أولاً ، فهل تستطيعين أن تتحكمى فيمن حولك أو تسيطرى عليهم بدرجة تؤثر على أعمالهم كما ترغبين أم الأسهل والذى تحت يديك هو نفسك ؟ الأخت قادرة على التحكم فى نفسها وتوجيهها كيف شاءت وقادرة على رياضة هذه النفس وتزكيتها ؛ ولذلك فهذا هو الطريق الذى يجب أن تتبعه الأخوات تجاه أعمال غيرهن، وهو ما يعطى المؤمنة درجة تحمل المسؤولية ،والتى لا تستطيع أن تتحملها غير المؤمنات الصالحات ، وهذه المسؤولية ستجعل من الأخت نورا يهتدى به غيرها فى ظلمات الطريق ، وسيجعلها ـ دائما ـ على أهبة الاستعداد للمساعدة المادية والمعنوية ولا تألو جهدا فى تقديم الخدمات لغيرها ، وهى أكثر حساسية وشعورا بأحوال من حولها ، فتستطيع أن تدرك الخطأ قبل الوقوع فيه فتنتبه له وتدعو إلى تجنبه وتوضح السبل للنجاة وتصحيح الطريق ، وهى لا تغضب لنفسها بل تغضب لله وهو ما يدعوها إلى الصبر على أخطاء الآخرين .

والأخت التى تتحمل المسؤولية تجاه الآخرين تحظى بحب وثقة من حولها فهى طوق النجاة لهن ولا يراد منها غير الخير لهم ولغيرهم .

---

(١) البخارى فى العتق (٢٥٥٨) .

وهى تتمتع بدرجة عالية من الإيثار يجعلها تقضى أوقاتا طويلة فى خدمة غيرها وحل مشكلاتهم والوقوف بجانبهم وقت الأزمات .

والأخت القادرة على تحمل مسؤولية غيرها أوسع إدراكًا وخبرة لكثرة تعاملها مع القضايا والمشكلات التى تعرض عليها ، والتى تراها هى بنفسها وتحاول حلها . وهى قائدة فى أى موقع وضعت فيه، وهو ما يعنى أن لديها علمًا بأكثر الأمور حولها ، وعلما بكيفية التعامل مع المواقف المختلفة بجدية .

كل هذه الصفات يصعب على المتكاسلات واللاتى أبين أن يحملن الأمانة أن يتحملنها فهن يتميزن بعكس هذه الصفات ،مثل حب النفس والغضب لها واتباع الهوى وحب الدنيا وحب العزلة وتفضيلها وتحميل الغير مسؤولية أعمالها . فكيف تكون مثل هذه الصفات فى أخت مسلمة آمنت بالله وكان الله ورسوله أحب إليها مما سواهما !

ولذلك علينا مراجعة أنفسنا لنرى من هم الذين يجب أن نتحمل مسؤوليتهم وكيف. وسأضع بين يديك هذه السطور لترى أهمية تحمل المسؤولية تجاه الآخرين .

ـ أخت دوامت وحافظت على صلواتها ولم تأمر أخواتها فى المنزل أو أهلها بالصلاة ونسيت الآية الكريمة : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ،ولم تحس بالمسؤولية تجاه من حولها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء الفرائض . فهل رضيت بأضعف الإيمان وهو مواجهة المنكر بالقلب دون اليد أو اللسان ؟ أم ستضع نفسها بعد ذلك فى موضع المسؤولية تجاه الكبير والصغير فى بيتها .

وكذلك الحال للأخوات الملتزمات فى المدرسة أو الجامعة هل أغلقن على أنفسهن العلم ، وتركن غيرهن فى مستنقع الجهل والرذائل أم سيأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر ويتحملن مسؤولية جهل غيرهن على أعناقهن ويتألمن لذلك ؟

ـ أم أعطت الثقة الكاملة لبناتها فى الإقامة بمفردهن فى بلد بعيدة واطمأنت لذلك ، ولم يخطر لها على بال أنهن سيقعن فى الرذيلة؟ هل تحمل نفسها مسؤولية ذلك أم تحملها على والدهن أم على البنات ؟

فكيف تكون أمًا وراعية فى بيت زوجها ولا تتحمل مسؤولية بناتها أمام ربها ؟

ـ إن تحمل المسؤولية تجاه الغير لا يعنى فرض السلطة عليهم وتعجيزهم عن العمل وتحمل مسؤولية أنفسهم. كما لا يعنى إلقاء العبء والمسؤولية الكاملة على أى الأطراف، فالفهم الخاطئ لتحمل المسؤولية يسبب الطغيان والأنانية وحب النفس والتسلط على

الآخرين ومضايقتهم وكثيرا ما تقع الأخوات الأكبر سنا فى هذا الوضع فلا يحصدن غير الكره والعناد .

فهذه أخت اعتبرت نفسها مسؤولة عن بعض الأخوات فأخذت فى تجميع معلومات عنهن بقدر ما استطاعت ، ثم بدأت تنحرف عن طريق المسؤولية الحقيقية إلى طريق التسلط وفرض الرأى وإجبار غيرها على تنفيذه فهى لا ترى الحق إلا معها ، ولا ترى الباطل إلا من غيرها ؛ ولذلك فقد أساءت لنفسها ولدورها فى موقع المسؤولية وكانت قدوة سيئة لغيرها .

إن تحمل المسؤولية تجاه الغير لا يعنى استغلالهن لمصلحة القائم عليهن فالبعض يستغلون موقعهن المسؤول فيعكفن على جمع ما تستطيع جمعه من هدايا وأشياء مادية أو ترغب فى الحصول على التقدير والاحترام الأكثر من اللازم وإلا أساءت لغيرها . فهل هذه تحملت مسؤولية غيرها أم تحملت وزرهن جميعًا وباءت بغضب من الله عليها؟!

- إن تحمل المسؤولية تجاه الغير يتطلب من الأخت التصحيح ، والتعديل ، والتطوير يعنى تصحيح الأخطاء ، وتعديل المسار ، وتطوير الأعمال؛لذلك فهو من أكثر الأساليب الإيجابية فى التعامل مع الغير وتحمل مسؤوليتهم ،فهو لا يحافظ على الوضع على ما هو عليه فهناك دائمًا الأفضل ، ولا يحمل غيره ما لا يستطيع ، ويعين الغير فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه .

حدود علم الناس بالله تعالى :

قال تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ .

أدرك موسى عليه السلام أنه أخطأ فى حق نفسه عندما طلب من ربه أن ينظر إليه ، فلا يعنى أن اصطفاء الله له على الناس أن يكتسب صفات خارج نطاق البشر ،والتى حددها له الله تعالى . فإذا كان الله قد مكنه من سماع كلامه ،والحديث معه فإن ذلك لا يعنى إمكانية عينه المحدودة بصفات الرؤية البشرية والتى لم يهبها الله أكثر من ذلك أن ترى الله سبحانه وتعالى .

وقد طلب قوم موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة ووضعوا هذا الطلب شرطا لإيمانهم برسالة موسى عليه السلام ،وكانت عاقبتهم أن أخذتهم الصاعقة وهم لا ينظرون . طلبوا أن يكون لديهم صفات خارقة وأن يتميزوا عن الخلق برؤية الله كشرط للإيمان به رغم أن هؤلاء كانوا من خيرة بنى إسرائيل .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾ .

وربما تسألين أيتها الأخت المؤمنة هل الإيمان بالله يقتضى معرفة الله كما يعرف الإنسان المخلوقات حوله ؟ ليس الخالق كالمخلوق فالخالق يعرف كل شىء عن مخلوقه ولا يعرف المخلوق عن خالقه إلا ما سمح ووهب له خالقه من صفات تمكنه من ذلك ، فالإيمان بالله وحده لا شريك له يقتضى الإيمان بأنه رب كل شىء ومليكه وخالقه، وأنه هو المستحق وحده للعبادة وطاعته فيما يأمر والابتعاد عما نهى عنه وأنه الكامل فى صفاته وأسمائه .

وهذه الصفات هى الثابتة فى الكتاب والسنة والتى تنزه الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون له شريك أو مثيل . يقول الله تعالى فى سورة الشورى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] فالإيمان واجب على كل مسلم بأن الله تعالى له الصفات التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ،ولا يتجاوز القرآن والحديث النبوى .

ولكن السؤال عن ماهية هذه الصفات وكيفيتها ،فلا يصح للمؤمن ؛ ولذلك فقد قال الكثير من السلف الصالح عن كيفية استواء الله عز وجل :إن الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، السؤال عنه بدعة .

والصفات التى ورد ذكرها فى الكتاب والسنة نوعان : صفات ذات وصفات فعل .

فأما الصفات الذاتية : فهى التى لا تنفك عن الله سبحانه وتعالى كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والوجه والقدم والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغنى والرحمة . وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله عز وجل أنها قائمة فى الله ـ سبحانه ـ لا ينفك عنها .

أما صفات الفعل : فهى ما تعلق بمشيئة الله وقدرته كالاستواء والنزول والمجىء والعجب والضحك والرضا والحب والكره والسخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت .

والواجب فى هذه الصفات بنوعيها إثباتها لله ـ عز وجل ـ على حسب المعنى الذى يليق بكمال الله تعالى ، وهو المعنى الحقيقى لها الذى ليس فيه تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف.

أما أسماء الله ـ عز وجل ـ فهى أعلام عليه أخبرنا بها الله فى كتابه والرسول ﷺ فى سنته . وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة أو صفات لله ـ سبحانه ـ وكل اسم منها مشتق من مصدره ، كالعليم والقدير والسميع والبصير ، ونحوها فالعليم مشتق من العلم ، وهو يدل على صفة العلم للبارى .

والاسم الجامع لمعانى الأسماء كلها ، والصفات كلها هو (الله) .

أما عدد أسماء الله ـ جل وعلا ـ يقول الرسول ﷺ: « **إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر** » أخرجه البخارى والترمذى(١).

وهناك أسماء لم يخبرنا بها الله تعالى واستأثر بها فى علم الغيب عنده ، وروى عن الرسول ﷺ أنه قال : « **ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماضٍ فىّ حكمك ،عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلتهُ فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا** » فقيل : يا رسول الله، ألا نتعلمها ؟ فقال : « **بلى . ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها** » (٢) .

ومعنى إحصاء أسماء الله هو معرفتها وحفظها وفهمها ، والإيمان بها وحسن المراعاة لها . . والمحافظة على حدودها فى معاملة الله بها ، ودعاء الله عز وجل بها (٣) .

وقد جمع السلف الصالح أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين من القرآن ، ويمكن للأخوات الصالحات أن يقمن بحفظها وتدبر معناها ومعرفة حظهن من هذه الأسماء على مقتضى العبودية لله تعالى .

فمثلاً حظ الأخت المسلمة من اسم الله الرحمن على مقتضى العبودية هو أن تكون رحيمة بكل مخلوقات الله تعالى حتى ما تقوم بذبحه ولتقتدى بالرسول ﷺ بأن تحمى

---

(١) البخارى فى الشروط (٢٧٣٦) ، والترمذى فى الدعوات (٣٥٠٦) .

(٢) أحمد (١/ ٣٩١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٧١٢) : « إسناده صحيح » .

(٣) محمد نعيم ياسين : الإيمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ص (١٥ـ ٢٢) .

الشفرة وترح الذبيحة من الطيور أو الحيوانات التى يأكلها الإنسان » ولتتذكر أن لكل ذى كبد رحمة وأن من لا يرحم لا يُرحم ، وأن نرحم من فى الأرض ليرحمنا الرحمن الرحيم .

ويمكن أن تتذكر الأخت أسماء الله الحسنى فى كل حياتها وظروفها وتسأل نفسها أين حظها منها على مقتضى عبودية الله عز وجل ، هل رحمت من يستحق الرحمة ؟ هل عفت عمن ظلمها وطلبت العفومن ربها ؟ هل أقسطت وعدلت فيما تحت يدها ؟ هل نفعت غيرها من المؤمنات والمسلمات؟ هل حفظت نفسها ومالها وما تعوله وما هو تحت مسؤوليتها ؟ هل شكرت الله سبحانه وتعالى على كل ما أعطاها من نعم لا تحصى ولا تعد كما يحب الله ويرضى ؟ فلنتذكر معًا هذه الأسماء :

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ـ الرحيم ـ الملك ـ القدوس ـ السلام ـ المؤمن المهيمن ـ العزيز ـ الجبار ـ المتكبر ـ الخالق ـ البارئ ـ المصور ـ الغفار ـ القهار ـ الوهاب الرزاق ـ الفتاح ـ العليم ـ القابض ـ الباسط ـ الخافض ـ الرافع ـ المعز ـ المذل ـ السميع البصير ـ الحكم ـ العدل ـ اللطيف ـ الخبير ـ الحليم ـ العظيم ـ الغفور ـ الشكور ـ العلى الكبير ـ الحفيظ ـ المقيت ـ الحسيب ـ الجليل ـ الكريم ـ الرقيب ـ المجيب ـ الواسع الحكيم ـ الودود ـ المجيد ـ الباعث ـ الشهيد ـ الحق ـ الوكيل ـ القوى ـ المتين ـ الولى الحميد ـ المحصى ـ المبدئ ـ المعيد ـ المحيى ـ المميت ـ الحى ـ القيوم ـ الواجد ـ الماجد الواحد ـ الأحد ـ الفرد ـ الصمد ـ القادر ـ المقتدر ـ المقدم ـ المؤخر ـ الأول ـ الآخر الظاهر ـ الباطن ـ الوالى ـ المتعالى ـ البر ـ التواب ـ المنتقم ـ العفو ـ الرؤوف ـ مالك الملك ـ ذو الجلال والإكرام ـ المقسط ـ الجامع ـ الغنى ـ المغنى ـ المعطى ـ المانع ـ الضار النافع ـ النور ـ الهادى ـ البديع ـ الباقى ـ الوارث ـ الرشيد ـ الصبور .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة قاطبة ـ متقدمهم ومتأخرهم ـ على إثبات الصفات التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى فى سورة الشورى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ .

الفصل السادس

سنة داود عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة داود عليه السلام

داود من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل أنعم الله بكثير من النعم عليه ـ فضلا منه ورضوانا ـ فكان يسبح فتسبح معه الجبال والطير وهذا من تسخير الله المخلوقات للبشر ، وأعطاه الله القوة ، وعلمه صناعة يتكسب منها وأعطاه قدرة على ذلك فكان يصنع الدروع من الحديد ، وكان يأكل من عمل يده .

وكانت صلاته أحب الصلاة إلى الله تعالى وصيامه أحب الصيام إلى الله تعالى ، فقد أخبرنا الرسول محمد ﷺ أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه . وكان يصوم يوما ويفطر يوما . وآتاه الله الزبور وهو الكتاب الذى أنزله عليه ، وعلمه من آياته وحكمه فكان عنده الحكم النافذ والفصل فى الأمور وحسن الحكم بين الناس ، وآتاه الله الملك فجمع له الله عز وجل بين الملك والنبوة وخيرى الدنيا والآخرة .

وأخبرنا الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾ .

فانتصار داود على جالوت قوة وقدرة وفضل أعطاه الله له ، وهو ما جعل له مكانة وفضلاً فى قومه فأصبح ملكا عليهم وحكما عادلا ، ولكن الله تعالى الذى يصطفى رسله من بين البشر ويصنعهم على عينه ، وهذا الملك والحكم وفصل الخطاب لم يمنع النبى من الخروج عن طبيعته البشرية والإنسانية من تسرع ووقوع فى خلاف الأولى ، فكان الاختبار لكبير الحكام والقضاة فلا محل للاغترار وفرط الثقة والتسرع على أى حال من الأحوال وأى درجة من العلم والحكمة .

فأرسل الله عز وجل ملكين يختصمان فدخلا عليه وقت عبادته فى المحراب ودخلا من السور مما أدخل الخوف فى قلب النبى . وطلبا منه أن يحكم بينهما بالعدل ، فأشار أحدهما إلى أخيه واتهمه بأنه يملك تسعًا وتسعين نعجة وأنه لا يملك إلا واحدة .

فأراد أخوه أن يأخذها منه وقبل أن يسمع داود عليه السلام من الآخر وقبل أن يتأكد

فأسرع بالحكم على من لم يتكلم أو يعرض مظلمته ، فحكم عليه بالظلم لأخيه ، ولكنه بنعمة من ربه أدرك أنه فتن وأن ذلك يُعد اختباراً من ربه فاستغفر ربه وخر راكعا راجعا إلى ربه طالبا عفوه ومغفرته فغفر الله له ذلك .

فكان قدوة لكل ولاة الأمور والحكام والقضاة بأن يحكموا بين الناس بالعدل والحق ولا يتبعوا أهوائهم حتى لا يلقوا العذاب الشديد يوم الحساب .

الآية التى سننطلق منها لاتباع سنة داود فى التوبة :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] . لدراسة اتباع الهوى ومعرفة أسباب ارتكاب الذنوب.

منهج التوبة

اتباع الهوى من أسباب الوقوع فى الذنب :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾.

الهوى: هو ميل النفس إلى الشيء خيرا كان أو شرا أو هو ميل النفس إلى الشهوة.

أنعم الله تعالى على سيدنا داود بكثير من النعم التى لم ينعم بها على أحد قبله ولا بعده من الناس ولا من الأنبياء والمرسلين ، فقد فضل الله تعالى الأنبياء بعضهم على بعضهم فمنهم من كلم الله تكليما مثل موسى ،ومنهم آتاه الكتاب والحكم والنبوة ،وقد آتى داود الزبور وهو الكتاب المقدس الذى أنزله الله عليه فعلمه فيه كيف يدعو الناس إلى الحق ، وكيف يقوم برسالته كما يحب الله ويرضى .فأمره الله ـ عز وجل ـ بأن يحكم بين الناس بالعدل وعلمه كيف يكون ذلك ،وما هى الفتن التى يقع فيها صاحب هذه الرسالة فوقع تحت اختبار وتدريب لعله يتذكر النعم والآيات .

ويبين الله له كيف يحذر اتباع الهوى وما هو نتيجة ذلك وخطورته على هذه الرسالة والوظيفة فهما لا يجتمعان ولا يصحان معا الحكم بالحق واتباع الهوى .

أحب داود عبادة الله وجعل له وقتا من اليوم ليتعبد فيه ويترك وظيفة الحكم بين الناس،فأغلق عليه المحراب ليصفو فى عبادته فإذا بالخصمين يأتيان فى وقت غير مناسب، ولكنه لم يعطِ للوظيفة حقها من الوقت والجهد والتمحيص ،فوقع فى الفتنة فلجأ إلى ربه مسرعا طالبا للمغفرة والعفو . تذكر داود الآيات والنعم فكان شرط الحكم بين الناس هو الحق وعدم اتباع الهوى .

ويعلمنا قرآن ربنا ـ نعمة منه وفضلا ـ على المسلمين كيف يدخل هذا المرض إلى قلب الإنسان وأين يوجد فبصرنا به لنتوقاه ونحذره فلا نقع فيه ولا ننحاز إليه .

فهذه مدارس الأنبياء وسيرتهم وهذه آيات الله فى القرآن الكريم تقرن بين الهوى وتشرح صفات أو حالات يكون عليها الإنسان فتكون علامة لاتباع الهوى وهى :

١ ـ عدم العدل واتباع الهوى :

يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ [١٣٥] فإذا كانت مدرسة داود فى التوبة تعلم المسلمة شروط الحكم بين الناس وهو العدل أو عدم الظلم. وعدم اتباع الهوى فإن هذه الشروط واجبة ـ أيضا ـ فى ظروف الحياة العادية وليس خاصة بوظيفة معينة وإن اختلفت أهميتها وخطورتها من وظيفة إلى أخرى ومن حال إلى حال .

فإذا كان هناك نهى صريح بعدم اتباع الهوى فهناك أمر صريح بالعدل بين الناس .

فربما تقول بعض الفتيات : إن هذه النصيحة والآيات لينتفع بها الرجال والحكام والقضاة ،أما نحن فلا نقع فى مثل هذه الظروف ولا نحتاج لمثل هذه الدروس . ولكن الواقع أن طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية بين الناس وطبيعة الإناث من حيث حب الحديث والثرثرة وكثر الكلام فيما يفيد وفيما لا يفيد ، ودخول وسائل اتصال حديثة من تليفون جوال وإنترنت جعلت هذه الظروف وغيرها الحكم بين الناس فى كثير من الأمر أمر سهلاً بين الناس سريعا ودون إحساس أو تأنيب لضمير .

فكم من الفتيات اللاتى يتحدثن فى التليفون عن أخوات لهن أو زميلات أو جيران أو أمهاتهن أو آبائهن أو غير ذلك فتأخذ فى سرد القصة التى هى طرف فيها والآخر غير حاضر وغير سامع .

ما الذى نتوقعه من السامع أو السامعة ؟ هل السكوت ؟! ما أكثر ما تبدأ السامعة فى إعطاء الحكم السريع على الغائب بالظلم والخطأ فى حق متحدثتها . فيطول الحديث ويبدأ فى الدعاء على الظالم وترتيب كيفية التعامل معه وكيفية عقابه جزاء فعلته .

أليس حديث الزوجات مع أمهاتهن بقريب، ألم تقع العديد من الزوجات فى حياة تعسة مع زوجها جراء هذه الأحكام والمتبعة بالنصائح الهادمة !

ألم تفقد الأخوات علاقتهن الطيبة مع أخواتها فى الله نتيجة أحكام مثل هذه !

ألم تفسد العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة عندما يتسرع رب البيت بإعطاء الحكم السريع بين الأولاد بمجرد سماع شكوى واحدة منهم ! فتأتى الأم بالضرب والشتم والحكم على أحد أولادها دون السماع منه أو إحكام العدل بين أولادها فتسوء العلاقة بين الأولاد وتسوء صورة الذات للمظلوم المحكوم عليه ،وربما تتطور الأمور إلى أسوأ فيزداد الظالم ظلما أو ينقلب المظلوم إلى ظالم للدفاع عن النفس.

المقصود أن الخسارة واقعة على الجميع الظالم والمظلوم والحاكم بينهما . وهى خسارة طويلة الأجل فى الدنيا والآخرة .

ولنتذكر حديث الرسول محمد ﷺ: « **إن القضاة ثلاثة؛قاضٍ فى الجنة ،وقاضيان فى النار ، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة،وقاضٍ عرف الحقَّ فجار متعمدا فهو فى النار ، وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار** » . قالوا: فمَا ذنب الذى يجهل ؟ قال :«**ذنبه ألا يكون قاضًيا حتى يعلم** » رواه أبو دود (١) .

وضع لنا هذا الحديث أهم شرط من شروط الحكم وهو العلم وتعطى لنا مدرسة داود فى التوبة باقى الشروط وهى :

ـ اختيار الوقت المناسب للحكم فى الأمور فلا يتم فى وقت الشغل بقضاء واجبات مهمة أو عاجلة .

ـ أن يعطى الوقت المناسب للحكم فى الأمور فلا يتم على عجلة من الأمر ويحذر التسرع.

ـ أن يستمع من المدعى والمدعى عليه أو من الطرفين إما أن يكونا حاضرين معا أو ينتظر لحضور الطرف الغائب .

ـ ليست هناك قوالب جامدة ثابتة للحكم بين الناس لاختلاف الظروف والأعراف والأحوال . وإلا أصبحت المهمة ميكانيكية آلية يمكن أن يقوم بها الحاسب الآلى .

ـ استشعار معية الله والخوف منه وهى وقاية من الحكم الجائر أو اتباع الهوى . للحاكم والمدعى والمدعى عليه . فقد يكون أحدهم ألحن بحجته من الآخر فيحكم بذلك الحاكم ظلما .

فلتنتبه الأخوات لهذه الشروط والضوابط ولنتذكرها جيدا وهى فى هذه المواقف :

ـ الأخت تطلب من أخت لها النصيحة وإصدار قرار بشأن صديقتها أو أمها أو زوجها أو جارتها أو أى طرف تتعامل معه .

ـ أخت يُطلب منها إصدار حكم فى أمور معينة أو خصومة بين أختين أو أى طرفين.

---

(١) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣) ، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢) ، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥) ، وصححه الشيخ الألبانى .

ـ أخت دائمة الشكوى والإحساس بالظلم الواقع عليها ولا تنظر إلى المشكلات على أنها مسببة لها ولكن هى الضحية .

ـ أخت تحب أن ترضى صديقتها وتجاريها فى الحديث لقضاء الوقت أو لإظهار قدرتها على العلم والحكم فى الأمور .

ولكن إذا كانت مثل هذه الأمور كثيرة وأصبحت عادة لدى الكثيرات فى البيت فى الجامعة ، فى المدرسة ، فى أماكن اللهو ، فى أماكن العبادة صباحًا ومساء .فهل تبدأ الأخت بنفسها أم الحل عند غيرها أم تلجأ إلى ربها ؟

إن مثل هذا الذنب لا يتعلق بعلاقة العبد بربه فقط ولكنه متعدد الأطراف ، والظلم وقع على النفس والغير لذلك فالطريق متعدد الاتجاهات والعمل متشعب الأدوار .

فالبداية مع النفس بالإقلاع عن هذا العمل ومجاهدتها فى كل الأحوال بعدم الخوص فى هذه المعصية سواء بالحكم على الناس أو بالشكوى منهم ، ثم الندم وتأنيب النفس على هذا العمل والعزم على عدم الرجوع إليه وكثرة الاستغفار وطلب العفو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ سرا وعلنا وأثناء الوجود فى مثل هذه الظروف ، أما ما بين الأخت وما وقع عليه الظلم فلا يكفى ما سبق ولكن لا بد من رد مظلمته بحسب ما وقع عليه من الظلم والاستقامة فى ذلك بالله والدعاء وحسن النية والإخلاص والتوبة النصوح والتذود فى العبادات بالقراءة للقرآن الكريم والصلاة والصدقة والصيام والله المستعان .

٢ـ عدم الاستقامة واتباع الهوى :

يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [الشورى : ١٥] الاستقامة على طاعة الله والامتثال لأوامره هى الواقية من الوقوع فى اتباع الهوى وهى تلى الإيمان بالله ولها ثمارها فى الدنيا والآخرة يقول الله تبارك وتعالى فى سورة هود : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود : ١١٢] ، وفى سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ .

وفى سورة الأحقاف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ،وعندما سأل رجل رسول الله محمدا ﷺ عن قول فى الإسلام لا يسأل عنه أحداً غيره . قال ﷺ: « **قل : آمنت بالله ثم استقم** » رواه مسلم (١) .

فهذه الآيات والحديث ترسم صورة الاستقامة المطلوبة من المسلم فهى لا تأتى من فراغ ولكنها إيمان وعمل وهو ما يعطيها قوة مجاهدة النفس والمناعة النفسية لعدم اتباع الهوى فإذا خرج المسلم عن دائرة الإيمان والعمل به لا يجد نفسه إلا فى دائرة اتباع الهوى .

إذن فعلاج الهجمة الشرسة لمتع الدنيا التى أصبحت تحيط بالفرد فى كل مكان وكل وقت وما يصاحبها من وسوسة الشيطان ونزغه وكثرة الكماليات التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ،وإغواء أصحاب الهوى لغيرهم لاتباع سبيلهم الطريق الوحيد لتقوية مناعة المسلم هنا هو الاستقامة ولزوم طاعة الله تعالى والبحث فى كتابه وسنة رسوله عما أمرنا به وما نهينا عنه لتستقيم أمور حياتنا لنفوز بالأمن فى الدنيا والسلامة والجنة فى الآخرة بإذن الله .

إذن فواجبات الأخت المسلمة هنا تدور حول هذه الأمور :

- إصلاح وتصليح حالها لإعادة استقامة طريقها مع الله وهنا البدء بالنفس وإصلاح حالها مع الله .

- البعد بقدر الإمان عن أماكن الهوى ، وما أكثرها الآن وهى تتسع لتشمل أماكن اللهو ودور السينما والمسارح والنوادى الفاضحة والمسماة الدسكو أو نوادى الرقص والعُرى، كما تشمل الأماكن بعض المواقع الفاضحة على الإنترنت والتى لا يرضى عنها الله والتى تثير غرائز الإنسان الحيوانية بعرضها للصور الثابتة والمتحركة والصوت والرسوم والألوان وكلها عناصر جذب ومؤثرة لمن أراد أن يدخلها ويحرق بنارها فى الدنيا والآخرة . وتشمل الأماكن محطات التليفزيون التى تحمل مضمونًا وصورًا ولقطات غير لائقة للمسلمة أن تشاهدها وهى كثيرة الآن مع انتشار المحطات الفضائية وهمها وشغلها هو الهوى . لا تكتفى بالمضمون المستتر ولكنه واضح شكلا ومضمونًا وعنوانا فتسمى البرامج (بالهوى هوانا) ، وتسمى المحطات (على الهوا سوا) .

(١) مسلم فى الإيمان (٣٨/ ٦٢) .

ـ البعد بقدر الإمكان عن البنات الهوائيات اللاتى يتبعن أهواءهن ، فهن من العوائق الأساسية للاستقامة ، فتخرج الأخت من استقامتها وتنسيها بر أبويها وطاعة الله ورسوله أمام فتن الدنيا: من ملابس ،ومنتزهات ، وأحاديث لغو ، وعزائم على موائد طعام عامة ،فإذا بالمناعة النفسية للأخت تقل رويدا رويدا إلى أن تخرج من دائرة الاستقامة دون أن تحس،فإذا رجعت كان صعبا عليها لما تجده من مرارة العلاج والدواء .

ولا تعنى هذه النقطة العزلة والبعد عن المجتمع، إذا كان معظمه من هذه النوبة الهوائية ، ولكنه يعنى عدم المصاحبة ، أو اتباع طريقهن ، أو الانحراف عن الطريق المستقيم التى ارتضته لنفسها الأخت المسلمة بعد أن آمنت بالله ،ورسمت لنفسها طريق الاستقامة ، وأصبح هواها هو العدو الأول لها .

ـ تنظيم الوقت بدقة والالتزام بهذا التنظيم فى ملء اليوم بالأعمال الصالحة ،وأن يكون كل يوم تطويرا وزيادة لما قبله وإعداداً لما بعده ، فلا يصبح للأخت وقتا تقضيه فيما نهى الله عنه .

ـ الاهتمام بعنصر التوازن فى حياة الأخت ،حتى لا تدع هواها يتحكم فى أمورها، فتقبل على ما تحب وتهوى ، وتحجم عما لا تحب وتهوى ، فيحدث التوتر والقصور ومثال على ذلك : الطالبة التى تذاكر ما تحب وتترك ما لا تحب ، فتأتى النتيجة انعكاسا لهذا السلوك .

والأخت فى المنزل تحب التنظيم ولا تحب المطبخ أو الطبخ ، وهى مسؤولة عن الاثنين فتقضى يومها كله فى التنظيم وتترك الطبخ ، فيأتى إخوتها أو أولادها فلا يجدوا ما يأكلون وتحدث المشكلة ، والفتاة تحب أن تجلس مع إحدى صديقاتها فى الجلسة الجماعية أو اللقاء الجماعى وتترك باقى صديقاتها ، فإذا بها تفقد حبهن واحترامهن لها، وتدخل فى دائرة من الظن وسوء الحديث ، ويجرها ذلك إلى ما لا يحمد عقباه .

٣ ـ تزيين العمل للنفس واتباع الهوى :

يقول الله تعالى فى سورة محمد : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾.

يقارن الله بين نوعين من البشر: أحدهما: كان على يقين وعلم وبينة، واستقام على ذلك، والثانى: زين له سوء عمله وذلك سواء من الناس أو من نفسه أو من الشيطان، فإذا كان صاحب مركز أو ملك ؛زين الناس حوله له أعماله ولو كانت سيئة، وإذا كان

صاحب سوء زين لصاحبه سوء عمله ،وأقنعه أنه على حق وعلم ومعرفه وما سواهما على الباطل والجهل ،وينبئنا الله ـ عز وجل ـ بالأخسرين أعمالاً فى سورة الكهف: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾،فسوء تقدير الأمور واضح لمن اتبع هواه وعاقبته فى الدنيا والآخرة فربما يكون هناك نوعًا من المنفعة الظاهرة المؤقتة ـ كمنصب أو صيت ـ يحصل عليه الفرد ،أو زيادة فى المال أو حصوله على مسكن أو مركبة هنيئة ، أو غير ذلك من المتاع الزائل إلا أن السعادة فى الدنيا والآخرة لا تحسب بالظاهر فقط ، فكم من غنى بائس فقير النفس والأخلاق ، وكم من حاكم محكوم عليه بالخوف والرعب ،لا يستطيع حتى السير بمفرده جزاء بما صنع وظلم الناس وأخذ حقوقهم ،فلا يستطيع أن يرى الناس إلا فى الحجرات المغلقة ،وكم من الزوجات زين لها سوء عملها فظلمت أولادها وزوجها فجلبت التعاسة والشقاء على نفسها وبيتها ، وكم من الفيتات حسبت أنها تحسن صنعا فخسرت أعمالها .

ويعلمنا القرآن الكريم أن هذا العمل لا بد أن يصاحبه اتباع الهوى ،وهو ما يعنى توالى الخسائر والأخطاء والبعد عن اتباع الطريق المستقيم .

فإذا وجدت الأخت فى نفسها شيئًا من هذا ،فلتبدأ سريعا بالتصحيح وربما تنفع النقاط التالية :

ـ لا تقوم الأخت بتقدير الأمور من منظورها الشخصى فقدرتها العقلية محدودة وثقافتها قليلة وخبرتها فى الحياة بسيطة .

ـ توسع دائرة علاقتها مع الصحبة الطيبة ، وهى لها أماكنها الطاهرة الطيبة ولها منشأها الصالح وعلاقتها المتزنة والتى لا يشوبها الرذائل أو النقص والتقصير،فلا تستشير من هى أقل منها علما أو خبرة أو التزامًا بالدين،ولا تستشير من هى فى صراعات دائمة مع أهلها أو أقرانها،فمثل هذه الشخصية غالبا ما تكون مشغولة ومهمومة بحياتها البائسة وتنظر إلى الحياة بمنظار أسود فترى كل شىء سيئًا،وكل الناس يكذب ويسرق ولا تأمن أحدًا .

ـ أن تقتنع أن الخطأ والنسيان من صفات البشر . فلا يعيب أن تخطأ ما دامت تصحح خطأها فور معرفتها فتتداركه وتصحح مسارها .

ـ أن تقلل ـ دائما ـ من قيمة ما تقوم به من أعمال ؛ لأن كل جميل له أجمل منه والكمال لله وحده . فليس هناك الحل الوحيد فى كل وقت وفى كل مكان وفى كل الظروف ، فكثير من الناس يرى أن رأيه أو طريقته هى الحل الأمثل والأوحد

والأفضل لكل الناس .

- أن تتزود - دائمًا - بتقوى الله ، فخير الزاد التقوى فما هو جميل من وجهة نظرها قد يكون غير ذلك عند الله تعالى ، فتلجأ إلى الله - دائمًا - بالدعاء بأن يديم الله عليها نعمه وفضله ،وأن يسدد خطاها وأن يهديها لما يحب ويرضى .

- أن تكون فى تطور مستمر مع نفسها ومع الناس ومع الله ، فمن يتبع هواه ويزين له سوء عمله يريد أن يبقى على حاله ،فلماذا يغيرها فهى أفضل شىء من وجهة نظره .

أما المسلمة فلا يجب أن تكون على هذه الحالة ،فالقيم والخير فى نفسها له درجات تعلو وتسمو فى الإسلام ولا حدود للفضائل ، فلا يكفى أن تكونى كريمة فهناك الجود ولا يكفى أن تكونى جوادة بالخير فهناك الإيثار ، وعلى ذلك تبدأ فى تقييم نفسها وتطويرها.

ومع الناس لا يكفى أن تكفيهم شرك ، ولكن أن يعم خيرك على الأقربين ، ولا تكتفى بالأقربين بل يعم على الجيران ، ولا يكفى أن يعم خيرك على الأقربين والجيران ولكن على الناس جميعا أو كل من تتعاملين معهم ، فقد قال رسول الله محمد ﷺ : « **أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس** » (١) .

فهذا الدين هو دين للعالمين وخيره للناس جميعا ، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) ﴾ .

- أن توسع ثقافتها وقراءتها واحتكاكها بالصالحين وأصحاب السير الطيبة ، فقراءتها لسنة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وزوجاتهم والأخوات المسلمات؛ سيضع أمامها أمثلة وقدوة تستطيع أن تنير لها الطريق وتستزيد منها، فتخرج من نور إلى نور ومن هداية إلى هداية والله نور السموات والأرض وهو يهدى من يشاء .

٤ - الطبع على القلوب واتباع الهوى :

قال تعالى فى سورة محمد : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) ﴾ .

من يهده الله فما له من مضل ،ومن يضلل فما له من هاد .

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٣/٢٠٩) والحديث أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٠٦) وقال : « هذا إسناد حسن » .

أيختار الناس طريقهم فى الحياة الدنيا ، فما عليهم إلا أن يسيروا فيه ،إما الهداية فمن يهتدى فلنفسه ،وإما الضلال ، ومن يضل فعليها ، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت من الإثم والبغى ،فيستمر الظالم ظالما لنفسه فيأتى بالإثم على الإثم إلى أن يطبع قلبه ظلما فلا يرى نورا ولا هداية وهو جزاء لما اختار من طريق ولما اتبع من أهواء.

يقول الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين] فهذه الآية توضح أن عمل الإنسان هو خير شاهد وأفضل دليل على ما يكسبه فى الدنيا والآخرة ،وأن ثمرة من يحجب قلبه عن نور الله فى الدنيا وهدايته هى حرمانه من رؤية نور الله تعالى فى الآخرة ،فهم محجوبون عن ربهم جزاء بما كانوا يعملون .

وعلى الأخوات المسلمات مراعاة هذه النقاط :

- عدم استصغار الذنب ، فلا صغيرة مع إصرار عليها ، وكثرة الذنوب وتراكمها تجعل القلب مضغة سوداء مطمسة لا يرى النور ولا يدخل إليه ، فلو وضعت ستائر رقيقة فى غرفتك طبقات فوق بعضها، ألا تظلم هذه الستائر الحجرة ،وتمنع دخول الضوء والشمس ؟! فهذا مثال للدقائق من الذنوب التى تأتى فوق بعضها فتعمل عمل الكبائر .

- أن عدم قبول العلم وعدم الإيمان بالآيات وعدم تصديقها يعتبر جزاءً وعقابًا لصاحبه عن سوء عمله ،وكثرة ذنوبه ، وتقصيره فى الأمور .

- ليس فى الإسلام غير طريقين؛ إما الإيمان وإما الكفر واتباع الهوى ، كما أنه لا يجتمع العلم والجهل فى أمر من الأمور ، فهما طريقان لا يلتقيان عند أى نقطة ولا ينتهيان لمصير واحد ،فمن اختار الهوى فليس له فى الإيمان من نصيب .

ولكن هذا لا يعنى تحديد مصير الناس ، وعدم القدرة على التوبة من الذنوب ، ولكن الغرض هو أن من اختار هواه واتبعه لا يستطيع أن يصمد ويستمر ويصدق فى إيمانه بالله والواحد القهار . إلا أن يستغفر ويتوب ويترك طريق هواه ليكمل إيمانه ويثبت بأمر الله تبارك وتعالى .

فالفتاة التى تذهب إلى قاعات الدسكو؛لتسهر وترقص مع الشباب بالليل،هل تستطيع أن تقوم لتصلى الفجر وتخشع فى صلاتها أمام ربها؟ فهل تجتمع الطاعة والمعصية ، وهل يؤمن المؤمن ببعض كتاب الله ويكفر ببعض ؟ هل يكفى للفتاة أن تصلى وتصوم وتقوم بباقى الفرائض ثم لا تبر بوالديها ؟ وتظلم أخواتها وجيرانها ؟ لقد كان مصير من

تصوم وتصلى وتؤذى جيرانها أنها فى النار فلم تجتمع الطاعة والمعصية ولم يوصلا إلى هدف واحد ، فأى الطريقين تختارين ؟!

الأخت المسلمة ـ دائمًا ـ فى حالة حساب وتقييم ومحاسبة لنفسها ليس مساءً، وليس صباحًا ؛ بل فى كل وقت لسرعة تعديل الطريق واستقامته على الهدى ، وهى ـ دائما ـ فى صراع مع هواها وحرب فهو أشد من الأعداء ، أقرب إليها من العدو الخارجى إنه داخلها فكيف تنتصر عليه ؟! معها زاد الذكر والدعاء والصحبه الطيبة ونور الله الذى أنزله رحمة للعالمين هو القرآن الكريم والذى عن طريقه تهتدى فى ظلمات الطريق وتعدل به اعوجاجه وتساوى به منعطفاته فلا تنزلق قدمها فى هوٍ ولا تسقط من علو .

ـ إنه من طبع على قلبه ليس أمامه إلا الرعاية المركزة ،فهو يحتضر ولا ينفع معه علاج واحد ، فيحتاج إلى نوع من العزلة التامة عن مصادر وأماكن الهوى ومحاولة لاستعادة عمل جهازه المناعى مرة أخرى فيقبل بشدة ويدبر بشدة ، يقبل على الله بقلبه وعقله ونفسه ، ويدبر بشدة عن هواه بكامل إرادته وعزيمته ويحدد هدفا واضحا وطريقا مستقيما قصيرا ويغلق جميع منافذ الهوى من أصدقاء وكتب وتليفزيون ومسرح وسينما ونوادى وأماكن لهو وكمبيوتر وأغانى وملابس وأطعمة وأسلوب حياة كاملة ؛ أقصد منها كل مالا يرضى عنه الله ورسوله ، ويعرف ذلك ويقيمه من مصادر المناعة القوية من القرآن والسنة ، فكلما عرف آية أو حديثا قيم به عمله ، فما كان يرضى الله ورسوله بقى عليه وما كان غير ذلك امتنع عنه امتناعا تاما مخلصا العمل لله تعالى .

٥ ـ عدم ذكر الله واتباع الهوى :

يقول الله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعدم طاعة الغافلين عن ذكره ؛ لأنهم متبعون لأهوائهم ومفرطون فى أمورهم ، ولذلك فطاعتهم فى كل الأحوال مرفوضة حتى إذا كان ظاهرها خيرًا ، فالله أعلم ببواطن الأمور ، وقد علم الله تعالى عباده فى القرآن الكريم كيف يكون الذكر ومتى ولماذا ، فيقول ـ عز وجل ـ فى سورة البقرة : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ، ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب] ، ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف]،

وفى سورة النساء : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [١٠٣] وقال الرحمن : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

فهذه الآيات تضع أمام الأخت المسلمة واجباتها العملية، والتى من خلالها تنتهى عما نهى الله عنه وهو اتباع الهوى، ويمكن تصور هذه الواجبات فى النقاط التالية :

ـ المسلمة لا يجب أن تكون إمعة، فتسير وراء صديقاتها أينما ذهبوا فى الحياة، وأعنى بذلك طريقة حياتهن جميعها ، من اختيار ملابس وطريقة تحدث واختيار كلمات الحديث ونبرة الصوت وشكل الوجه وحركاته أثناء الحديث وحركة اليد أثناء الكلام وطريقة المشى وأسلوب التعامل مع الغير ومع وسائل الإعلام والاتصال ومع الوالدين . . و . . فيكون لديها قدرة على اختيار من تسير معهم ومن تختار .

وقد علمنا القرآن أن من علامة اتباع الهوى هو الإفراط فى الأمور ؛ وهى تعنى الأمور بشكل واسع كالتبذير فى المصاريف الشخصية ، وضياع الوقت فيما لا يفيد كالجلوس أمام الحاسب الآلى بالساعات فهذا إفراط فى الأمور، وكثرة شراء الملابس وكثرة الخروج والتنزه والفسح وكثرة الحديث فيما لا يفيد وتقيس على ذلك باقى طريقة الحياة.

ومن علامة اتباع الهوى التى أمرنا الله ألا نتبعها هى البعد عن ذكر الله ، فستجد الأخت المسلمة كثيراً من البنات ، أو من تتعامل معهم لا يذكرون الله إلا قليلا وربما لا يذكرونه طوال اليوم فهم مشغولون بأهوائهم وأعمالهم ، وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

أن تذكر الله فى كل أحوالها وجميع أوقاتها وتبدأ جميع أعمالها بذكر الله ، وتنهيها بذكر الله، فيكون جميع أوقاتها وحياتها ذكراً؛ فتفوز بمنزلة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والذين أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ففازوا بالمغفرة وفازوا بالنعيم المقيم.

ـ أن تتعلم صيغة الذكر التى علمها لنا الرسول محمد ﷺ وهى كثيرة وسهلة والحمد لله ، ونذكر منها :

* « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وهما الثقيلتان فى الميزان (١) . ومن قال : « سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » (٢) .

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤/ ٣١) .

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٤٦٤) ، وقال : « حسن صحيح غريب » .

* « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . لا يضرك بأيهن بدأت » (١) .

* « ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ،إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (٢) ، وقد قال عنهم الرسول محمد ﷺ : « الباقيات الصالحات » (٣).

* « من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب ،وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة،وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ،ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » (٤) .

ـ أن تتعلم ذكر الله فى النفس فهذا أفضل علاج لتقويمها وسرعة علاجها، فلا يُطلق لها العنان لتحب ما تحب وتكره ما تكره ، ولكن تنظر ماذا يحب الله وماذا يكره فيكون حالها على ذلك .

ـ أن تذكر الله دون الجهر من القول فتتمكن من سماع صوتها دون أن تزعج غيرها بالصوت ،ولكن من يراها يجدها من الذاكرات فيكون دافعا لغيرها بتذكر الذكر والاقتداء بها.

ـ أن تجعل صلاتها ونسكها وحياتها ومماتها لله رب العالمين ، فالله معها فى كل وقت، فتحفظ عن الرسول محمد ﷺ أدعية الصباح والمساء والغدو والآصال ، وأدعية الرسول ﷺ المأثورة فى كل الأحوال منذ أن تستيقظ وإلى أن تنام وعندما تقوم الليل أو تقلق أثناء النوم . ولها أن تستعين بكتاب المأثورات إلى أن تحفظ منه ما يكفيها طوال اليوم ذكرا .

٦ـ الظلم واتباع الهوى :

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الروم : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

---

(١) فتح البارى (١١/ ٢١٠) عند شرح حديث (٦٤٠٨) .

(٢) أحمد (٢/١٥٨) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٤٧٩) : « إسناده صحيح » .

(٣) أحمد (١/ ٧١) ،وقال الشيخ أحمد شاكر (٥١٣) : « إسناده صحيح » .

(٤) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٣) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١/٢٨) .

الظلم: هو وضع الشيء فى غير موضعه ، ويعبر القرآن الكريم عن الظلم للدلالة على عدم إعطاء النفس حقها ، وعدم إعطاء الغير حقهم ، وعدم إعطاء الخالق حقه فى العبادة وهو الظلم الأكبر وهو الشرك بالله . يقول الله تعالى فى سورة النمل : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [النمل :٤٤] . وفى سورة النساء : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [٧٥] وفى سورة لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾ .

والظلم صفة من صفات الإنسان وليس الخالق، يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠]،وفى سورة إبراهيم: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ وبرحمة من الله ومغفرة يتوب الله تعالى على من تاب وأصلح يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة : ٣٩].

وللأخت المسلمة أن تبحث عن الأسباب التى توقعها أو توقع غيرها فى الظلم وتقيم أعمالها إذا كانت قد وقعت فى الظلم لأى الأطراف الثلاثة [النفس والناس والله] ، ثم تبدأ فى الاعتراف الصريح والندم .

ومن المواقف أو الأعمال التى تظلم فيها البنات نفسها :

- أن تجلس مع فتيات غير ملتزمات بأخلاق الإسلام فيكثر الكذب والغيبة والنميمة، والحسد ، وضياع الوقت باللغو فيما لا يفيد ، فقد وضعت نفسها هنا فى غير الموضع اللائق بها .

- أن تصر على مواصلة الطريق مع أصدقاء الهوى ، بحجة قيمة الصداقة فيزين الشيطان لها ذلك بأنه إخلاص ووفاء للصديق ، وهو فى الحقيقة بعد عن الحق والانزلاق فى المهالك .

- أن تقوم بأعمال غير ذات أهمية وتضيع أعمالاً مهمة وواجبات ضرورية . فتصبح مقصرة فى حق نفسها فتبدو كذلك فى نظر الآخرين ، على الرغم من أنها تشغل وقتها فى العمل ،ولكنها لم تقيم أهميته وضروريته ولم ترتب أعمالها بالأهم ثم المهم ثم الأقل أهمية .

فمثلا تقوم بزيارة صديقة مريضة وتترك أمها مريضة فى البيت تحتاج إلى وجودها لتمريضها ،أو لرعاية إخوتها أو لاستقبال الزائرين ، فهذا العمل أولى وأهم مما قامت به - على الرغم - من أنه عمل صالح أيضًا .

ـ أن تقوم بتقييم نفسها من منظورها الخاص فليس لها مرآة إلا نفسها أو هواها، فلا تستمع لآيات الله ولا تمتثل لأوامره ،ولا تستمع لنصائح الأخوات الملتزمات الصالحات ، فترى ذلك تكبرا عليها وتدخلا فى أمورها الشخصية .

ـ ألا تحسن استغلال طاقاتها وإمكانياتها ونعم الله عليها فهى كثيرة ومتنوعة ولكل وقت نعمة ولكل عمر طاقاته ،فلها أن تغتنم الصحة قبل المرض والشباب قبل الهرم ، والغنى قبل الفقر ، والحياة قبل الموت . فعليها أن تبادر بالأعمال الصالحة .

* وهناك مواقف قد تجد فيها البنت ظالمة لغيرها من الناس نذكر منها :

ـ الظلم النفسى أو المعنوى للغير ،كأن تحدث نوعا من الحزن أو الغضب أو تنمية حقد أو حسد لدى الآخرين . فهى تفعل شيئًا خاصًا بها ، ولكن لا يرضى والديها ، ويدخل الحزن على قلبيهما فهنا تعتبر ظالمة لهما فلا يصح أن تقول :إن هذا أمر خاص بها فطاعة الوالدين واجبة فيما لا يغضب الله عنه .

ـ الظلم المادى كأن تحدث ضررا ماديا بأخذ حقوق للغير ، أو إحداث ضرر فى أموال أو أشياء الغير .

ـ ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأن يكون لديها علم ودين فتعيش بهذا العلم والدين لنفسها ، ولا تعلمه لغيرها ولا تنقله لهم .

ـ عدم الإحساس بالألم النفسى تجاه الغير أو محاولة مساعدتهم لإدخال السرور عليهم، أو قضاء دين لهم ،أو فك كربة عنهم .

ـ منع أو تأخير ما عليها من واجبات والتزامات تجاه الغير من بر الوالدين أو زيارة المريض أو قبول الدعوة ، أو تحمل أعباء من تحملوا عنها وساندوها وقت الشدة ، وصلة الرحم ، وإكرام الصديق والضيف .

ـ عدم الإحساس بالمسؤولية تجاه الغير فى كل الأحوال أو فى بعضها بحجة أن كل إنسان مسؤول عن عمله ، ومثل هذا الإحساس ما يصنف البنت تحت صفة السلبية ، أو صفة حب النفس ،فلو أحست الأخت بمسؤوليتها تجاه أخطاء الغير لفتحت لنفسها أبوابا للخير فى الدنيا وفى الآخرة ، ولأصبحت حياتها كلها مليئة بالأعمال الصالحة فهى ـ دائما ـ فى خير مع نفسها ومع الناس ومع ربها؛ لأنها تعمل من أجل إرضاء الله وكسب حبه ورضاه .

* أما أكبر الظلم وأعظمه والذى لا يغفره رب العالمين فهو الشرك بالله : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ⟨١٣⟩ ﴾ [لقمان] لم يخف الرسول محمد ﷺ من أن يعبد المسلمون إلهًا آخر ولكنه خاف عليهم من الشرك الأصغر ، فقال محمد ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « **الرياء** » **يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء** » أخرجه أحمد وهو حديث صحيح [(١)] .

وقال ﷺ : « **يقول الله ـ عز وجل ـ : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنا برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك** » [(٢)]. ويقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ⟨٤⟩ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ⟨٥⟩ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⟨٦⟩ ﴾ .

لقد خاف الرسول ﷺ علينا من هذا الشرك؛ لأن الإنسان يعيش فى وسط الناس فيشاهد أعمالهم ويشاهدون أعماله ،وهو يضع فى اعتباره من حوله كما يضعه من حوله فى اعتبارهم .

وهناك نوازع الخوف من الناس ، وحب الظهور ، وحب المصلحة الذاتية ، ورجاء قبول الناس له . ومثل هذه النوازع إذا وضعها الإنسان فى اعتباره وكانت ظاهرة فى أعماله فكيف يرجو إخلاص العمل بعد ذلك لله العزيز الكريم .

إنها نوازع تحتاج إلى رياضة وتدريب نفسى مستمر ومحاسبة دائمة للتخلص منها ليلاً ونهارا . وللتجرد منها اليوم لا يأمن على نفسه التجرد منها غدا ، وهو ما يتطلب حياة إيمانية وارتباطًا ربانيًا مستمرًا وقويًا بالذكر والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن والتذكر والتدبر والإخلاص ،وربما توضح الأمثال التالية بعض ما يقع فيه البنات من رياء فى سياق حياتهن الدنيا وأمور العبادات :

ـ أن تضع البنت فى اعتبارها أثناء تأدية الصلاة من حولها ، فتطيل فى الصلاة عن المعتاد أو تكثر القراءة وتتقنها ،أو تظهر نوعا من الخشوع فى حركات الصلاة ، والتى لا تقوم بها وهى بمفردها ،وترغب من وراء ذلك أشياء ممن حولها من الناس كالمدح ، أو اعتقاد بقوة إيمانها . أو انشغالها فى العبادة لله ، أو قدرتها على حسن القراءة أو غير ذلك ،فما يبدو فى الظاهر لا تكون عليه فى الباطن فتكون من الذين هم عن صلاتهم

---

(١) أحمد (٥/٤٢٩) .

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٥/٤٦) .

ساهون عن الاتصال بالله والإخلاص له فى السر والعلن .

ـ أن تحب القيام بالعمل عند المدح والثناء والتقدير من الناس،وتقف عن هذا العمل إذا كان الأمر غير ذلك من الثناء والتقدير وتقف موقف العداء والكراهية لمن ينصحونها فتعتبر ذلك تدخلا فى أمورها،أو إحباطا لأعمالها وتعطيلا لها أو غيرة منهن أو كرها لها.

أما إذا كانت ناصحة لغيرها فتقوم بهذا العمل ؛ إرضاءً لنفسها ولتشبع لديها حب التفوق على الناس أو الظهور أو الاستعلاء عليهم، فتحس غيرها أن هذه ليست نصيحة وإنما فضيحة أمام الناس . وإذا كان الأمر بين الاثنتين فتشعرها بأنها أفضل منها فى كثير من الأمور . ففى الحالتين ناصحة أو منصوحة كان الرياء واضحًا .

ـ التغيير فى طريقة الكلام بالتصنع بالأدب أو خفض الصوت أو إظهار حلاوته من خلال الحديث فى التليفون أو أمام الضيوف أو أمام الزملاء فى العمل أو الدراسة أو الجيران ولا تكون البنت على هذه الحال فى بيتها أو مع أخواتها أو والديها فتسمعهم الصوت العالى أو أسوأ الألفاظ أو خشونة الحديث والصوت على غير ما تبدو به أمام الناس .

وكذلك الحال فى الملبس فتكون فى بيتها غير منظمة وغير نظيفة ، وعلى غير هذا الحال أمام الناس ، وقد يكون الأمر عكس ذلك أيضًا بغرض المراءاة ، وتظهر ذلك فى بعض المجتمعات التى تظهر الالتزام بالتقشف وهى على غير ذلك فى بيتها .

وكذلك الحال فى إظهار العمل أو بعضه عند الناس كأن تقوم البنت بتنظيف حجرة زميلتها إظهاراً لها بنظافتها وهى على غير ذلك فى بيتها .

ـ إذا كان ذلك فى أمور الدنيا من مأكل ومشرب وملبس وأعمال فكيف يكون فى أمور العبادات والآخرة ؟ فالمراء فيها كثير والأمثلة لا تحصى ، فهذه تذهب لتحج أو تعتمر كل عام ليقال:إنها الحاجة فلانة أو إنها قادرة على العمرة كل عام فهى من مستوى اجتماعى ميسور أو عال .

وهذه تتصدق أمام صديقاتها وجيرانها ليقال عنها كريمة أو كثيرة الصدقة ، وهذه تذهب للصلاة فى المسجد وحضور حلقات الذكر والدروس الدينية ليقال عنها : إنها متدينة وملتزمة بالإسلام ، وهذه تصوم فى يوم حفلة لتظهر لصديقاتها أنها صوامة .

ـ كثير من الكلمات الدارجة بيننا تنم عن الرياء وتبعث عليه مثل : « اعمل

علشان خاطر فلان »، « اعمل ده علشان فلان يحبك ، اعمل ده لحسن فلان يزعل » ، فهذه أمور فى ثقافتنا تشجع على الرياء وعدم الإخلاص فى العمل لوجه الله ، فيضع الفرد فى اعتباره الغير أولاً وأخيراً ويسعد ويحزن بناء على ذلك .

ومثل هذه الأمثلة من أحوال الرياء التى تقع فيها البنات مرض وله علاج ، فالبنت يجب أن تحس أولاً فى نفسها أن ما تفعله ليس خالصا لله وأن أعمالها ترجو منها نفع الذات ورضاء الآخرين من العباد . فتبدأ فى التدريب على الإخلاص بالعمل والقول مع النفس ومع الناس ، وأن تتحرى الصدق لله مع النفس والغير وأن تكمل ما تقوم به من أعمال سواء أخذت دعما ماديا أو معنويا كالجوائز أو الثناء أو لم تأخذ ، فلا يهمها تقدير الناس ولا تفرح ولا تحزن بناء على ذلك ، ولكن تجعل فرحها وحزنها لرضاء الله عنها أو سخطه عليها ، وأن تحاول وتجتهد وتبذل قصارى جهدها فى أداء الأعمال كلها وأن تكون على أحسن حال فى العزلة وفى الاجتماع بالناس ، وفى أمورها العادية وفى الظروف الطارئة أو غير العادية ،وهذا يعنى أنها جميلة فى كل الأحوال نظيفة فى كل الأوقات منظمة مرتبة مهيئة للعمل الصالح فى جميع الظروف .

فهذه ثمار الإخلاص التى تجنيها البنات والأخوات الملتزمات بدين الإسلام القيم والحنيف . إذا كانت ثمار الدنيا يجنيها قاطفها ، فإن ثمار المؤمنة الصالحة يجنيها قاطفها وجانيها وكل من حواليها . فتكون بذلك نافعة لنفسها ولغيرها بالعمل الصالح القيم والقدوة الصالحة المنيرة .

٧ـ الضلال واتباع الهوى :

يقول الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا ﴾ [المائدة : ٧٧] .

الضلال: هو البعد عن الطريق المستقيم ، وهو ضد الهدى والرشاد، والضالون هم الذين عرفوا الحق ولكنهم عموا عنه وجهلوه . يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾،وفى سورة النساء يقول الله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

فالضلال من صفات الشيطان وقدراته المفسدة فهو عدو مضل مبين للإنسان ، وتوضح الآيات فى سورة محمد أن الكفر من أسباب الضلال يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ ﴾ ، وفى سورة البقرة يقول الله تعالى :

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ .

فهذه الأمثال التى يضربها الله فى قرآنه الكريم ما قل منها أو ما صغر منها وما كبر، لا يعقلها إلا العالمون ▪ أما الفاسقون فلا تزيدهم إلا ضلالاً على ضلالهم وذلك لخروجهم عن الطاعة والطريق المستقيم .

للأخوات المسلمات وقفة وتدبر للأعمال التى تصدر منهن ومن غيرهن :

ـ هناك فئة من البنات اللاتى عرفنَ الحق ومشينَ فيه فكان لالتزامهن بالدين علامة وطريقة ، ولكن تتعرض هذه الفئة إلى مغريات الدنيا من زينة أو مال أو منصب أو زوج فتفضل تلك المغريات أو بعضها فتجد نفسها أمام هذا الانزلاق والبعد عن طريقها المستقيم ، وكلما بعدت قلت الجاذبية للاستقامة وزادت درجة الانحدار وسرعته ▪ ويبدأ الشيطان فى عمله معهن ،فالبيئة مناسبة تماما والظلام دامس ، والهوى متبع والعقل غائب وتأتى فئة الأخوات المسلمات الملتزمات ويتسائلن ألم تكن معنا ، ألم تكن أفضل منا ، ألم تكن قدوة لنا ؟

أسئلة واستفسارات ولكن النتيجة هى إما أن تكون هذه الفئة الضالة قدوة سيئة ومنحرفة ويراها البعض هكذا ▪ أو أن يلتمس البعض لها العذر لهذا الانحدار ويرجو لها الرجوع إلى الله ، أو أن تجذب هذه الفئة الضالة والتى اتبعت أهواءها فئة أخرى من المسلمات الملتزمات اللاتى تعاطفن معها فيبدأن فى اتباع أهوائهن إلى أن تصل الأخت الملتزمة إلى ما لا يحمد عقباه وتنجرف قدماها فى الانحدار والعياذ بالله . ونسأل الله العافية والنجاة .

وربما قارئ هذه الكلمات يبعد عنه الأمثلة ، ولكن عندما يدقق النظر يجد كم من الفتيات اللاتى دخلن الجامعة ملتزمات بالدين وبالأخلاق الفاضلة ثم أغواهن أهواء قوم قد ضلوا فبدأن فى اتباع سبيلهن ـ سبيل الشيطان .

فإذا بالفتاة لا تستطيع أن تفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وتختلط بها الأمور ،فتجد مثلاً مراكز التجميل التى تدخل فيها الفتاة بشكل ، وتخرج بشكل آخر وسيلة من وسائل التجميل وليس معصية لله ولرسوله ، وتنسى لعنة الله على النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ،وتنسى وعد الشيطان لربه قبل أن ينزل مع آدم إلى الأرض ليأمرن بنى آدم وليغيرن خلق الله . وترى البنات الاختلاط ضرورة والنظر شيئًا لابد منه ، وتغيير الصوت من الإتيكيت .

وهذه فئة أخرى تضل غيرها من الفتيات المقبلات على الزواج واللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام بدين الله وطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ، فتدفعهن الرغبة فى الزواج إلى اتباع أهواء قوم ضلوا وهو ما يوقعهن فى الخطأ أو البعد عن سواء السبيل .

فكم من الفتيات وقعن فريسة للجهل والضلال وتزوجن سرًا عرفيًا بدون إذن الولى أو الإعلان ، وتركها بعد ذلك الزوج بدون حتى الاعتراف بالزواج بها عرفيا ولم تجد لها نصيرا ولا معيناً .

وهناك فئة من الزوجات اللاتى اتبعن أهواء قوم ضلوا فلم يقمن على أداء واجباتهن الزوجية أو الوالدية فتعست مع زوجها وأولادها ، فهذه زوجة تخرج لحضور مجالس الهوى أو قضاء الوقت فى الملاهى أو النوادى وبيتها فارغ من الحب والألفة والنظام والهدوء وأولادها بين أصدقاء السوء ومحطات الهوى التليفزيونية ولا يجدون غير التعسر فى العلم والدين .

وهذه زوجة تتبع خطوط الموضة العالمية وأخبار جيرانها وزميلاتها كيف يرتدين وماذا يشترين وأين يذهن للتجميل ، فتأخذ مصروف البيت لتنفقه على هواها ولتتبع سبيل هؤلاء الضالين . فلا تكون النتيجة غير الفقر والحاجة وعدم البركة وقلة الرزق وكثرة الخلاف والشكوى وانتشار الفتنة فى المجتمع بعد الأسرة التى غالبًا ما تفقدها ماديا ومعنويا ليلجأ الزوج إلى حل الطلاق والانفصال وأخذ الأولاد ، فتجد نفسها وهواها على غير ما تحب وترضى فالجزاء من جنس العمل .

واتباع أهواء قوم قد ضلوا أيضًا على شاشات التليفزيون والسينما والمسرح والملاهى والنوادى التى ينتشر فيها الرذائل والفحش . فلا تحسبن الفتاة والأخت المسلمة أن الأمر هو مجرد تسلية وقضاء الوقت والإمتاع للنفس ،ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير إنه تأثير وتأثر ، وضلال وتضليل ، وغواية وإغواء .

فالجرائم التى تنتشر فى المجتمع من زنا وسرقة وقتل وحوادث سيارات وغيرها وسوء الأخلاق من غش وخداع وكذب وغيبة وغيرها وراءها بشكل مباشر وغير مباشر ما يشاهده ويسمعه الجمهور من وسائل الإعلام حوله .

ألم يصنع الأفلام الأجنبية الصادرة من هوليوود قوم ضالون .

ألم يحتوِ مضمونها على أرذل القيم والأخلاق ؟

ألم توسع فى دائرة الفسق والضلال وتظهرها كأن المجتمع كله هكذا ؟! . المؤمن

يتدبر ويشاهد ويسمع ولكنه يزداد إيمانا والأخوات المسلمات لا يقفنَّ ولا يتدبرنَّ الأعمال فقط ولكن عليهن أعباء أخرى نذكر منها :

ـ تقوية الإيمان وتجديده ـ دائما ـ بالأعمال الصالحة فلا تترك لهواها مكانا يسكن فيه الشيطان أو حب الضالين أو الغاوين . فالحب معنى سامٍ فى قلب المسلمة المؤمنة أوسع قدرا ومنزلة وأرقى إحساسًا وأعظم وأجل مكانة ، إنه حب من خلق الحب وأودعه فى القلوب ، حب من أحب الله ، حب كل عمل يقربها إلى الله .

هكذا أحبت المسلمة المؤمنة الخالق والمخلوق ، وعملت لدينها ودنياها ، فأين الحب الذى يدعو له المطربون والمطربات واللاهون واللاهيات من حب الشهوة وحب النفس وحب المال وحب الدنيا وما فيها أين هذا الحب الدنيوى الرخيص من حب الخالق نور السموات والأرض .

ـ بعد النظر وحسن التفكير والقدرة على التفرقة بين الصالح والطالح والحلال والحرام . فلا تغويها الغاويات فهى سريعة الإدراك ولها قدرة صائبة على فهم الأمور حولها .

ـ أن تحدد جيدًا كيف ومتى يمكن أن تستفيد من وسائل الإعلام حولها ففيها ما ينفع وما يضر ، وأن تعين غيرها على ذلك وأن تستعين بغيرها على ذلك .

٨ ـ الاستكبار واتباع الهوى :

يقول ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة البقرة : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُم ﴾ [البقرة :٨٧] . فالاستكبار امتناع عن قبول الحق معاندة ، وهى من صفات إبليس اللعين يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف :١١] ، وفى سورة البقرة :﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وعاقب الله المتكبرين فى الأرض بأن أبعدهم عن الهُدى والنور ، يقول تبارك وتعالى فى سورة الأعراف : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .وجعل لهم العذاب الأليم فى الآخرة فى سورة النساء : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء :١٧٣] .

والكبر من موانع دخول الجنة حتى ولو كان صغيرًا يقول محمد ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه

حسنا ونعله حسنًا قال: « **إن الله جميل يحب الجمال،الكبر بَطَرُ الحق وغمطُ الناس** » (١)
وغمط الناس : احتقارهم .

وللأخوات فى ذلك ضوء أحمر ، فالكبر من مداخل الشيطان فهى صفة من صفاته وسلاح من أسلحته ضد الحق والخير والرحمة . فهذه مواقف حمراء تؤخذ على أصحاب العلم أو الدين وربما وقعت فيها كثير من الأخوات .

- عند حضور مجلس من مجالس العلم يكون فيه الحوار حرًا بين الأطراف ، فإذا بصاحبة العلم تظهر ما لديها من علم وفقه ،ويصيبها كبر على الآخرين فإذا بها ترفض آراء الآخرين أو طريقة حياتهم وتنسى أن لكلٍ ظروفه، وأن الدين يسر، وأن الاختلاف فى الفقه رحمة وليس شقاقًا . فتسكت غيرها لتتحدث هى ، فهل هذا غير الكبر وهو احتقار الناس والتقليل من شأنهم .

- التكلف فى الملبس والتى لا يكون المكان أو المناسبة أهلاً لذلك ، فربما يدفع ذلك إلى لفت انتباه الأخريات ، وتقليل درجة تركيزهن فى الدرس أو اللقاء ، وربما أخرج أخريات لا يستطعن ارتداء مثل هذه الثياب ، وهى لا تعنى التقليل من أهمية احترام الأخت المسلمة فى مظهرها وباطنها فهى صورة وقدوة لغيرها ولكن التكلف يظهر كبرًا من الصفات .

- التكلف فى طريقة الحياة أو المكان أو الطعام بين الأخوات المسلمات واللاتى غالبا ما يكون بينهن مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة وربما متفاوتة .

- التفاخر بين الأخوات بأعمالهن فى طريق الدعوة وقدرتهن على الإقناع أو مدى تحملهن نوعًا من الأعباء - المادية أو المعنوية - ويكون لهذا التفاخر صفة الكبر والتقليل من صفات الأخريات وأعمالهن فى مجال الدعوة .ومثل التى تفتخر أن زوجها أو أخاها أو أباها ممن كانوا من رجال الدعوة الكبار وممن تحملوا التعذيب أو القتل أو التشريد أو الإهانات أو الطرد من العمل وهذه كثيرة بين الأخوات ، وربما تصف نفسها بأعمال غيرها فتظهر كبرًا فى صفاتها بين الأخوات .

- دواء الكبر هو (التواضع) ، وإذا كان الكبر فى أمر من أمور الحياة ، فعلاجه فى التواضع فى جميع أمور الحياة وليس فى هذا الأمر وحده فهو تغيير فى أمور حياة الأخت. فإذا كان الكبر فى الملبس فلتبدأ بالملبس أيضًا بالتواضع فيه ومراعاة مناسبته

(١) مسلم فى الإيمان (١٤٧/٩١) .

لملابس الأخريات فى المكان والزمان المناسبين ، وإذا كان بالافتخار بالنفس أو الأهل فلا يكون الافتخار بالغير وأعمالهم وسيرهم ومن ليس لهم صلة بالنفس أو الأهل .

ـ وإذا كان التكبر بالعلم فلتضع غيرها فى منزلة أعلى منها فكل عالم له أعلم منه ، ولتنظر فى سير السلف الصالح .

ـ إن شراء أو اقتناء العديد من المكملات غير الضرورية سواء الحاجيات الشخصية أو داخل المنازل أو داخل محل العمل مما يفتح أبوابا من أبواب الشيطان ليدخل ، يختص به من وهو ما يوقع متبعه فيه بلا ريب ،فتجد البنت نفسها تواقة لشراء إكسسوارات أو ملابس أو غيرها فيبدأ اهتمامها ينصب فى هذه الأمور والتى تحمل نفسها وأهلها فوق طاقتهم . والتى تصرف العقل والنفس عن الأمور الأكثر ضرورة وأهمية . ولكن ماذا علينا لو أشبعنا ضرورياتنا، ثم بحثنا لنكمل ونساعد ونشبع الاحتياجات الضرورية لغيرنا من الأخوات والأقارب . فيتحول نظرة الفقير للغنى من نظرة حقد وحسد إلى نظرة حب وألفة وتواد وتراحم بين المسلمات،ولكن مثل هذه الأمور ليست بالهينة على البنات خاصة ، فهى ترتبط بمظهرهن وصورتهن وشخصياتهن أمام الناس ، وهى تحتاج إلى تدريب ورياضة نفسية مستمرة وقوية لتغيير نظرتهن للأشياء والأمور ، ومعتقداتهن عن الجمال أو الأناقة والمظهر الحسن، وهذه الرياضة هى التى تحول صفة الكبر لدى الفتيات إلى صفة الاحترام والوقار والأدب وحب الغير والخير لهم كحبه لنفسها . وهى رياضة ربانية بالأساس ، فكلما كانت التوجهات نحو إرضاء الله ـ عز وجل ـ كلما قل الاهتمام بالنفس وأهوائها ما يرضيها وما يشبعها ،فهناك ما هو أكبر وأعظم وأحق أن يرضى ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه .

ـ إذا كان التكلف فى طريقة الحياة كلها مما أظهر كبرا فى الصفات الأخلاقية فالأمر هنا يحتاج إلى بذل مجهود عقلى ومادى ونفسى .

فالعقلى: بالتدبر فى أحوال الغير ـ الغير قادرين على الحياة ـ وعلى أبسط ما فيها والتدبر فى الموت وما فيه من عبر وكيف يترك الصغير والكبير والمريض والصحيح والقوى والضعيف الحياة بمجرد أن يأتى الأجل .

والمادى : بالتخلص من الأشياء والحاجات التى لا تستخدمها الأخت وذلك بإهدائها لمن يستحق والبدء بالأقربين ، وأن يكون ذلك من قبيل الصلة للرحم والحب فى الله والتقرب إليه، ويتم العمل بالبدء فى الأشياء غير الضرورية وغير المستخدمة بشكل دائم ،

ثم يتدرج بارتفاع درجة الإيمان إلى العطاء من الأشياء التى تستخدم والتى تفضلها الأخت وتعتز بها وهى فى هذه الحالة ترتفع بإيمانياتها وأخلاقها لتسمو إلى درجات الإيثار.

وعندما تبدأ برياضة نفسها لتغيير نظام الحياة فإنها هنا بصدد الوقوف أمام الأهواء والنوازع والرغبات النفسية التى لا حصر لها ولا نهاية فلا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويقول الرسول ﷺ : « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله** »[1] فحساب النفس على أعمالها يكبح جماحها ويقيد هواها.

ـ أما التفاخر والتكبر على الغير بأعمال الغير فإن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كانت تعاملاته مع أقرب الناس إليه تعلمهم أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنه لا يغنى أحد عن أحد شيئا ، فيوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . قال ﷺ لفاطمة وصفية : « **إنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا** » أخرجه مسلم [2] .

٩ ـ الجهل واتباع الهوى :

يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ** ﴾ [الأنعام:١١٩] .

فمن يتبع هواه لا يجد لعقله مكانا للعمل ، فما يتفق مع العقل ربما يرفضه الهوى إذا لم يكن الهوى تبعا لما أنزل الله ورسوله ، وقد قال ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » [3] فهنا الهوى ميل النفس إلى الخير والفضيلة والقيم الخلقية وهى التى ربما يرفضها العقل فى بعض الأحيان فما الذى يجعل الأخت تؤثر أختها على نفسها فتعطيها كل ما تملك وهى فى حاجة إليه ؟! إنه الإيثار والذى أصبح فى هذا الزمان نوعا من الحمق وقلة العقل .

فهذا الهوى قائم على العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أما ما لم يقم على العلم الصحيح فلا مجال لاتباعه والخوف منه ضرورى ولا ثمرة له إلا الضلال والخيبة. وإذا قامت الأخت المسلمة بإمعان النظر فى نفسها وما حولها فستجد كيف تضل النفس غيرها وكيف يضل بعض الناس بعضًا بجهلهم وبعدهم عن نور الله وهداه .

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩) ، وقال : « حديث حسن » ، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٦٠) ، وضعفه الألبانى .

(٢) مسلم فى الإيمان (٢٠٦/٣٥١) .

(٣) السنة لابن أبى عاصم (١٢/١) (١٥) ، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٨٩/١٣) : « رجاله ثقات وقد صححه النووى فى آخر الأربعين » ،وضعفه الشيخ الألبانى .

ـ عندما تتسرع الأخت بإلقاء الحكم على غيرها بمجرد سماع شكوى من منافسة لها أو غريمة فهذا اتباع للهوى بغير علم .

ـ عندما تقوم المسؤولة فى مكانها سواء كانت أمًا أو أختا أو معلمة أو طالبة مسؤولة عن غيرها بإصدار أى أمر أو تعليمات أو عمل منهج أو القيام بتدريب على مهارة معينة ويكون هذا العمل غير قائم على العلم، فهى هنا على طريق الذين يضلون بأهوائهم ربما تجد البعض أن هذا ظلم لهن وربما يؤدى هذا الفكر إلى إحجام البعض عن العمل بحجة عدم العلم ، ولكن لا يقصد من هذا ترك العمل بكامله .

ـ ولكن المقصود هو دوام البحث والعمل والتعلم من أجل عدم الوقوع فى اتباع الهوى ، فتقوم بالعمل فيما تعلم وتجتهد بعد ذلك فى العلم فيما لا تعلم والاستعانة بغيرها ممن هم أعلم منها .

ـ عندما تقوم البنات بإعطاء النصائح لزميلاتهن لكل صغيرة وكبيرة فى المدرسة أو فى الكلية أو فى النادى أو حتى فى المسجد أو عند الاجتماعات بشكل عام ، وتكون هذه النصائح من وجهة نظر الفتاة أو نتيجة لتجربة مرت بها أو نتيجة لقراءة عابرة عن موضوع ما أو غير ذلك مما لم يقم على العلم الصحيح فهى هنا تضل غيرها بجهلها .

والمشكلة هنا أن الإثم واقع عليها فهى تتحمل وزر من عمل مثلها أو اتبع سنتها القائمة على الجهل بالأمور ، فإذا حسبت الفتيات ذلك جيدًا ربما تمسك عليها لسانها ولا تتعجل بالنصيحة سواء طلبت منها أو تطوعت هى بها .

ـ إن اتباع الهوى أسهل بكثير وألذ وألطف من البحث والعلم والدراسة ، فالأول بلا مجهود وليس له ضابط ،والثانى شاق وله ضوابط ، وربما هذا من أسبابه أن كثيرا من الناس يفضلون الجهل على العلم . ويضلون غيرهم بأهوائهم. ولكن عندما تعلم البنات اختلاف الثمرة لكل اتجاه ستختار العلم فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فستجد كيف يعلو فضلها بين الناس وبين الخلق جميعًا، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم ، والنملة فى جحرها والحوت فى البحر يستغفرون لطالب العلم . ففضلها فى الأرض وفى الجحور وتحت الماء وفوق السماء ويوم العرض على الله عز وجل . فأى فضل أوسع من ذلك وأبقى ؟!

الفصل السابع

سنة سليمان عليه السلام فى التوبة

نظرة على قصة سيدنا سليمان عليه السلام

هو سليمان بن داود وينحدر نسله إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

أعطى الله سيدنا سليمان قدرات خارقة للقدرات البشرية فعلمه منطق الطير وفهم لغاتها، وأعطاه قدرة فائقة على سماع الأصوات حتى سمع صوت النملة وحوارها مع قومها.

آتاه الله من كل شيء يحتاج إليه فى حياته، فى دعوته ورسالته وملكه ،وكان شاكرا لنعم الله عليه ،وطلب من ربه أن يوزعه شكر نعمته التى أنعمها عليه وعلى والديه ، وأن يعمل صالحا يرضاه ، وأن يدخله برحمته فى عباده الصالحين .

وكيف لا يشكر نعمه وقد كان جنوده من الإنس والجن ومن الحيوانات والطيور التى سخرها رب العالمين لمن اختاره نبيًا على قومه .

واستطاع سليمان عليه السلام أن يعرف ما لا يستطيع أحد من البشر أن يعرفه ،فقد أطاعه البشر والجن والحيوانات والطيور، فهذا الطائر الجميل ـ الهدهد ـ يبلغه بأخبار عن عرش عظيم وعن ملكة هذا العرش وقومها وما يعبدون .

ولم يكن سليمان عليه السلام يوما يحتاج إلى مال أو ما فى الدنيا من متاع فقد رفض ما جاءه من هدايا من ملكة سبأ التى ظنت أنه ملك من ملوك الأرض الذين يغريهم المال والجاه الذين جاؤوا به من الدنيا وللدنيا ، ولكن هذا الملك لم يأت به شعب أو قوة أو دولة أو نظام ، إنه نبى من رب العالمين لقد رد لها هديتها وتوعد بإرسال جنود لا قبل لهم بها ، حتى يأتوا مسلمين ولم يكن إرهابيا بل نبيًا .

وكانت لسيدنا سليمان مدرسة فى الإدارة والاستخدام فكل يقوم بما يستطيع من أعمال وما يطيق وما يناسبه فهذا طير يرسل رسائل مكتوبة، وهذا جنّيٌّ يمكن أن يأتى بعرش ملكة سبأ فى ثوانٍ معدودة أو أقل وكان يعلم أن الله يبتلى الإنسان بالنعم كما يبتليه بالنقم ليختبر الإنسانَ هل شكر أم يكون من الكافرين،فنعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ اختبار . للبشر كيف سيتصرفون فيها ، هل سيعطون كل ذى حق حقه ؟ أم سيأخذون

ويكنزون ويتكبرون ويطغون ويسعون فى الأرض فسادا ؟

وكان مدرسة فى الشكر تعلم المسلمين سرعة الشكر بمجرد حدوث النعمة حتى لا تلهى النعم عن الذكر ثم يأتى من بعده النسيان حيث اتباع الهوى والكبره وغيره.

فعندما جاء عرش ملكة سبأ فى ثوان معدودة ووجده سليمان عليه السلام ورآه مستقرا عنده فى نفس اللحظة : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل : ٤٠] فكان نعم العبد وهو ما أثنى عليه ربه بذلك .

وكما كان سريعًا فى الشكر ، كان سريعا فى الإنابة والعودة إلى الله فى حالة الخطأ أو النسيان ، فهى من صفات البشر والتى لا يخلو إنسان منها منذ خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامة ، فعندما ضاع الوقت فى حب الخير عن ذكر الله وجاء وقت آخر لم تر هذه اللحظات تمر بسهولة على سيدنا سليمان .

فكل وقت لم يذكر فيه الله أحس فيه أنه مقصر ومذنب، وطلب من ربه الغفران وكان دليل الاستجابة للدعاء ملموسا ومباشرًا فقد طلب من الله ـ عز وجل ـ بعد المغفرة أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده .

فكانت الاستجابة وكانت الهدية فى الدنيا ، فسخر الله له الريح تجرى بأمره ، والشياطين البنائين ، والقدرة على العطاء أو الإمساك عنه بغير حساب والمغفرة فى الآخرة وحسن المآب .

وكما كانت حياته خارقة للبشر وقدرات البشر كانت وفاته كذلك ، فكل ملك يموت تموت معه سلطته ، أما سليمان عليه السلام فقد مد الله له فى قدراته بعد مماته واستمرت خوارقه إلى أن أظهر الله تعالى موته فتوقف الجن عن العمل ، أما جسده فقد ظهر وكأنه حى يرزق ففنيت العصا التى يتكأ عليها ، ولم يفن الجسد الأسرع فى التحلل من الخشب ، فقد أكرمه الله حيا وميتا ويوم يلقاه .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة سليمان عليه السلام فى التوبة :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [٣٢] للحذر من حب الدنيا وأن ذكر الله غفران للذنوب .

وفى سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ لطلب الدنيا والآخرة .

منهج التوبة

الحذر من حب الدنيا :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [ص: ٣٢].

فى مدرسة سليمان للتوبة منهج لتغيير نظرة البنات للدنيا وتغيير طرق التعامل معها وتقييمها ووضعها بالنسبة لها .

فهذا سليمان عليه الصلاة والسلام أعطى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فما غاية الملك اليوم المال والقصور والنساء وغيرها من حطام الدنيا .

هل استطاع أحد من ملوك القرن الواحد والعشرين أن يسير سحابًا أو يتحكم فيه كيفما شاء؟ هل استطاع ملك من ملوك الأرض أن يسخر الجن كيفا يريد؟ إنه فضل ومنة ونعمة أنعمها الله على نبيه سليمان، ولم ينس أنه عبد الله، وأن الله هو الذى وهبه هذه النعم.

لقد أحس بالذنب لحبه رؤية نعم الله عليه ، ولم يذكر الله حين عرضت عليه الخيل الجميلة فهى من متاع الدنيا وتذكر أن عند الله حسن المآب والمرجع .

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ .

فما الذى تملكه البنات اليوم ؟ ذهب ، فضة، ملابس، سيارات، منازل، وغيرها فمهما ملكت البنات فهو من حطام الدنيا ولا يزيد الناس إلا غرورا ، يقول الله تعالى فى سورة فاطر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ .

ولنغير نظرتنا للزينة فهى اختبار من الله للناس، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) ﴾ فالمسلمة التى تدخل مدرسة سليمان فى التوبة لابد لها أن تغير طريقة تعاملها مع متاع الدنيا التى رزقها الله إياها ، وحتى تتجنب الغرور والكبر بما فى يديها من نعم عليها بكثرة الذكر والتسبيح والاستغفار والشكر والحمد لله فى الأولى والآخرة .

فهى تذكر نفسها ـ دائما ـ أن هذه النعم جاءت رزقًا كريمًا من الله ـ عز وجل ـ

وليس نتيجة لعملها أو قدراتها فكم من الفتيات يعتبرن جمالهن وسيلة للتعالى والتكبر على غيرهن من الفتيات اللاتى لم يحظين بهذا القسط من الجمال ،فالذى أعطاها الجمال قادر على أن يسلبه منها فى لحظة فكم تكثر الحوادث ، وكم تكثر الأمراض التى يصاب بها الناس فتأخذ منهم الجمال والشباب ولا يرجع ثانية،فلتتذكر الله وتشكر نعمته عليها وتدعه أن يزيدها من فضله وألا يجعلها فتنة لغيرها من المؤمنين .

وشكر نعمة الجمال يأتى أيضًا بالمحافظة عليه فى الظاهر وفى الباطن فتحافظ على نوعية طعامها ولا تأكل إلا الطيب وتقوم بالأنشطة الجسمية الرياضية والأعمال التى تحفظ جمالها وشبابها من العجز المبكر والذى يظهر فى صورة السمنة وانحناء الظهر وسقوط الشعر وخشونة الجلد ، وتسوس الأسنان أو سقوطها وفقر الدم وغيرها من الأمراض التى يصاب بها الفتيات رغم صغر سنهن .

وشكر نعمة الجمال أيضًا بالمحافظة عليه من أن يسلب نظرات الغير من الرجال الذين لا يحل لهم ذلك ،فلتطع الفتاة ربها وتشكر نعمة جمالها بارتداء الحجاب الذى يحفظ جمالها ويصون عفافها وكرامتها ولتتذكر الله ولتعلم أن هذه مرحلة من مراحل حياة الفرد.

فالزهرة عندما تتفتح ويفوح عبيرها فما يليها هو الذبول والسقوط والجفاف ، ولنتدبر كيف وصف الله الحياة الدنيا فى سورة الحديد : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ [٢٠] .

فإذا نظرنا إلى مراحل نمو الإنسان نجد أن حياة الأطفال لعب ولهو ،ثم تنمو البنت فتصير شابة ويظهر عليها ملامح الجمال والنضوج،فتبدأ فى التزين والنظر إلى المرآة والاهتمام بالمظهر واللبس وجمال الوجه والزينة وجمال الشعر والجسم ،ثم تدخل فى مرحلة النضج والرشد وتبدأ فى التفاخر بنفسها وزوجها وأولادها وعلمها وعملها ومركزها.

ثم يكبر الأولاد ويتزوجون ويتكاثرون فى الأموال والأولاد .

فكل مرحلة إذن لها ما تتزين به وتتفاخر به وتهتم به . فلا تهتم الشابة بجمع المال وتخزينه بقدر ما تهتم باللهو والزينة والتفاخر .

لقد خاف رسول الله محمد ﷺ على المسلمين من زينة الدينا وزهرتها .

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» متفق عليه[1] .

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٦٥) ، ومسلم فى الزكاة (١٠٥٢/١٢٣) .

وخشى ﷺ أن تبسط الدينا على المسلمين كما بسطت على الأمم السابقة فيتنافسوها كما تنافسها من قبلهم فتهلككهم كما أهلكت من قبلهم من الأمم .

فالخوف هنا من التنافس والمشاجرة وحب النفس ونسيان رسالة المسلم فى الحياة فتقل درجة الإيمان ويبعد الإنسان عن ذكر ربه وتلهيه الدنيا بما فيها . وذكر الله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦) ﴾ . والباقيات الصالحات هى: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله ﷺ بأن يصبر. نفسه مع المؤمنين ولا يتركهم ليحظى بزينة الدنيا وما فيها، يقول تعالى فى سورة الكهف :﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٢٨] .

وربما تتساءل الفتيات هل تترك زينة الحياة الدنيا وخيرها وجمالها وتلجأ إلى التعبد والزهد ؟ هل هذا المتاع حرام ؟ كيف تعمل فيما آتاها الله من نعم ؟

إذا دخلت الفتاة المسلمة مدرسة سليمان فى التوبة فستحل لها هذه المسائل، وستمر عليها الأزمة بسلام إن شاء الله . لقد وجد سليمان عليه السلام نفسه أمام نعمة من نعم الله بجمالها وعظمتها وقوتها فأعجب بهذا الوضع ولم يذكر ربه الذى أعطاه هذه المنزلة ، ومن الذى أعطى هذه الجياد هذا الجمال والروعة والعظمة،ومن الذى أقدره على الرؤية والاطلاع ومن الذى حباه نعمة الإحساس بالحب والفرح: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾ [ص].

كان سليمان عليه السلام سريع الرجوع إلى ربه وسريع التذكر فليس النسيان عيبًا فى البشر ، إنه صفة خلق بها،وقد رفع الله تعالى عن أمة الإسلام الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فلنا جميعا متع الحياة الدنيا ، ولكن كيف ؟! فلنتذكر أن رسول الله ﷺ عندما علم بأمر الثلاثة الذين جاؤوا إلى زوجته عائشة رضي الله عنها ،وكان أحدهم يقوم الليل ولا ينام، والثانى يصوم النهار ولا يفطر ، والثالث لا يتزوج النساء،فلم يثن عليهم رسول الله محمد ﷺ ولكنه أعلمهم أنه يصوم ويفطر ويصلى وينام ويتزوج النساء وأنه من رغب عن سنته فليس منه ﷺ (١) .

---

(١) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣) .

فلم يأت الأنبياء والرسل بما لا يطيق البشر بل جاؤوا بما يطيقه البشر . فلم يكونوا ملائكة ولا رسالتهم خارقة .

ـ تحتاج الفتيات أن يضعن النعم والخيرات التى وهبهن الله إياها فى مكانها الصحيح .

لقد وصل الحال بالشباب باستخدام قوتهم وجمالهم فيما لا يصح أن تستخدم وفى غير محلها .

لقد أصبح الشباب يتدربون على الألعاب والمهارات الرياضية ويتفرغون لها ، ولبناء العضلات وتحسين شكل الجسم، ويذهب الشاب إلى المراكز الرياضية وإلى النوادى لكى يصل إلى ما يرضى نفسه فى ذلك ولكن لماذا ؟ أين الهدف من هذه النعم والخيرات ؟

لو سألت الشاب ربما يجيب على ذلك بعدة إجابات منها :

اكتساب شكل جميل ، الفوز بالميدالية الذهبيه أو الفضية ، أو البرونزية ، الحصول على بطولات عالمية ، الحصول على إعجاب الفتيات ، الحصول على مكانة بين الزملاء والأصحاب . . . إلخ .

على أية حال لا يوجد ضمن ما سيقوله معظم هؤلاء الشباب أن سعيه لبناء العضلات والقوة البدنية هى التهيئة للجهاد أو للدفاع عن الدين أو الوطن بل ربما يسعى هؤلاء المتظاهرون بالقوة إلى الهروب من الخدمة العسكرية .

وعندما تنظر إلى الفتيات المراهقات اليوم فسنجد أن منهن من تستخدم نعم الله وخيراته التى أنعم بها عليها فى أحسن فترات عمرها وجمالها فيما لا يرضى عنه الله ورسوله . نعم لها أن تتمتع ولها أن تحب الجمال والرشاقة والتزين والظهور والصحة ولكن لمن هذا ؟

الإجابة هى التى ستفرق بين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وستوضح من جعل هواه لرضاء الشيطان وأعوانه،ومن يجعل هواه تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ.

ربما تخون الفتاة نفسها فتقول: إن هذا الأمر يخصنى وأن هذه الزينة لنفسى ، وأننى لا يهمنى غيرى ، وأن كل واحد مسؤول عن نفسه ، وأن الشباب عليه أن يغض بصره وأن . . . وأن . . . وأن. . . فالتحايل على الحق ليس له نهاية طالما أن الفيصل هو النفس والهوى وطالما أن الهوى يتبع خطوات الشيطان .

ربما تسأل الفتيات إذا لم تحب الدنيا فهل تزهد فيها ؟ الدنيا فيها الحلال والحرام ،

فيها الطيب والخبيث ، فيها ما يرضى الله وما يغضبه ، فيها الصواب والخطأ ، فيها كل المتناقضات ؛ والأخت المسلمة الفطنة هى التى تتمتع بها فيما يرضى الله وتأخذ الطيب وتصطفيه وتقدر على التفرقة بين الصواب والخطأ ، فليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال .

وإذا كان حب الله وحب الناس مطلوبا فإن رسول الله محمداً ﷺ قد أحل هذا الطلب فى الزهد فعندما سأله رجل أن يدله على عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس قال ﷺ : « **ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس** » (١) .

والزهد فى الدنيا لا يمنع من التمتع بها والإحساس بجمالها ،ولكنه يقف حائلاً بين المرء والطمع فى الدنيا وعدم الشبع منها وحبها إلى درجة نسيان النفس. قال ﷺ: « **حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » (٢) .

هكذا لم يضع محمد ﷺ الصلاة فى نفس درجات حبه للنساء والطيب ،ولكن هذا أمر الدنيا ، وأمر الدين فجعلت رضا نفسه وقرة عينه فى الصلاة .

طلب الدنيا والآخرة :

فى سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

قال محمد ﷺ : « **قال سليمان :لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ،كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل: إن شاء الله ،فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ،والذى نفسى بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله** » أخرجه البخارى (٣) .

فهذه قصة لسيدنا سليمان عليه السلام حكاها لنا رسول الله محمد ﷺ وهى توضح كيف أعطى الله تعالى قوة وقدرات غير عادية لنبيه سليمان عليه السلام ، وكيف أظهر سليمان عليه السلام هذه القدرة وتحدث بها ،وماذا كانت نيته من هذا العمل ، لكن لم يأت القدر بما تمنى سليمان عليه السلام فلم يقل:إن شاء الله ، وهو يعلم ـ وهو نبى ـ أن الله بيده ملكوت

---

(١) ابن ماجه فى الزهد (٤١٠٢)، وفى الزوائد : « فى إسناده خالد بن عمرو ، وهو ضعيف متفق على ضعفه واتهم بالوضع . . » ، وصحح إسناده الشيخ الألبانى .

(٢) النسائى فى عشرة النساء (٣٩٣٩) ، وأحمد (٣/١٢٨ ، ١٩٩) .

(٣) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٢٤) .

السموات والأرض وهو يقضى ولا يقضى عليه إلا أن عدم الذكر مع التمنى والتوقع اعتبره سليمان عليه السلام ذنبا طلب من ربه أن يغفره له .

وتعلمنا مدرسة سليمان عليه السلام كيف أن طلب المغفرة والعفو لا يعنى ترك الدنيا وما فيها من نعيم وخيرات وأن هذا النعيم لا يمنع من عبادة الله والفوز بجنته .

وهذه هي سنة رسول الله محمد ﷺ فقد كان يدعو : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ [البقرة] .

والمسلم يسأل الله حسن ثواب الدنيا والآخرة .

فالإسلام لا يمنع التمتع بالدنيا وزينتها بل يجعلها عبادة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام] فكل ما فى الحياة من فرحة وألم ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، كلها من الله رب العالمين، وعلى المؤمن أن يرضى بما قدر الله له من خير وأن يطلب ـ دائما ـ سعادة الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ ويتعجب الرسول ﷺ من أمر المؤمن لأن كل أمره خير: « **إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له** » (١) .

فالخير للمؤمن فى كل الأحوال فهو يرى بنظارة الإيمان بالله وجميل التوكل عليه وحسن الإنابة إليه، وهو ما يختلف عن زاوية النظر عند غيره من الناس، والذين لم يحظوا بمثل هذه النعم نعمة الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ونعمة الإسلام ونعمة حب الله ورسوله .

فهذا الثانى يرى الخير فلا يعترف به ويرى الشر فلا يصبر عليه . فكيف إذا جاءت له الدنيا بما فيها فلا يشبع ولا يعترف بها ولا يشكر النعمة ولا يحافظ عليها . وقليلا ما يشكرون .

لماذا الأخوات المسلمات خريجات مدرسة سليمان فى التوبة أكثر حظا من غيرهن ؟! ربما تجيبكِ السطور القادمة على السؤال وربما تجدين فى نفسك إجابات أخرى وفى كل الأحوال هن كذلك :

ـ يتمتعن بزينة الدنيا والتى أخرجها الله لعبادة، يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [٣٢] .

---

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤) .

هل الأخت المسلمة تحرم نفسها من ملبس أو مأكل أو زينة أو الترفية أو العلم أو ما فى الدنيا من خير ؟

عندما تجدين كيف تعانى البنات والسيدات باتباعهن رچيم الشرق ورچيم الغرب ورچيم الصين وغيرها من الأنظمة البشرية فتحرم نفسها من طعام ما وتحرمه على نفسها كالذين يمتنعون عن تناول اللحوم والمنتجات الحيوانية ، والذين يمتنعون عن تناول الخبز والذين يمتنعون عن تناول الفواكه وغيرها من أجل الوصول إلى صورة ترضيهم وترضى الناس عنهم .

تجدين المسلمة المؤمنة بالله ورسوله تجعل هواها لما جاء به رسول الله محمد ﷺ فتتبع سنته وطريقة حياته فتفوز بالدنيا والآخرة فلا تأكل إلا عندما تجوع ولا تملأ معدتها عند الطعام فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس ، وتصوم وتعمل وتخدم نفسها وتمشى فى الأسواق لقضاء حاجتها دون حرج أو تكبر وتقدم المساعدة لغيرها وتمشى فى قضاء حوائج المسلمين .

وبعد اتباع هذه السنة المعطرة سنة رسول الله محمد ﷺ فهل تحتاج المسلمة الصالحة لسنة الغرب أو الشرق ،لسنة من لا ملة ولا دين لهم ،لسنة أعداء الدين والإسلام لسنة المغضوب عليهم والضالين . . . لا . . . لا .

فالمسلمة لا ترضى عن سنة رسول الله ﷺ بديلا . وعندما تجرى الفتيات وراء الموضة وسنة أعداء الإسلام فى اللبس والزينة ،فإنها ستجد نفسها لا يرضيها ما عندها ولايكفيها ما تمتلكه فكل يوم جديد وليس بجديد ، فالقديم اليوم هو كذلك لكى يباع جديدا وكل عام يتفق أعداء الدين - وكلهم أولياء بعض - على أن يظهروا جزءا من جسم المرأة والفتاة .

فهذا العام تظهر جزءاً من بطنها وهذا العام تلبس أحمر لاصقًا على الجسم ، والعام القادم تظهر جزء معينًا من صدرها ويكون طول الفستان أو (الجيبة) فوق الركبة بمقدار كذا. . . وهكذا . وتمشى الفتيات المحرومات من العلم والدين والعقل وراء الضالين والمغضوب عليهم لعلها ترضى نفسها وهواها وتساير أحدث خطوط الموضة ومدارس الأزياء الراقية لمنازل الشياطين .

ولكن الطاهرات المؤمنات القانتات الصالحات لا يحرمن أنفسهن من الزينة فكل الطيبات حل لهن ،ولهن كل ما يرغبن فى الزينة ويستخدمنها كما يرضى الله ورسوله

فتأخذ الدنيا والآخرة فلا تظهر إلا ما أمر به الشرع: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

فهذا هو الإطار الربانى للمؤمنات اللاتى يلتزمن بدينهن فالزينة ليست لكل الناس ، والفتاة ليست بضاعة رخيصة تعرض فى الشوارع على المحطات وفى الأتوبيسات وفى الجامعات وفى المدارس وفى الأسواق وعلى شاشات التليفزيونات وشاشات الحاسبات وأوراق الجرائد والمجلات ، إنها غالية الثمن أغلى من الذهب الذى يحفظ فى البترينات وعلب القطيفة ويهدى للغاليات هى أغلى من الفواكه التى تحفظ فى علب مغطاة وفى درجة حرارة مناسبة ولا تباع إلا للقادرين من الناس .

هى أشرف المخلوقات وأكرمهم فكيف ترضى لنفسها أن تسقط وتقل قيمتها عن رغيف الخبز الذى يباع على الأرصفة فهذا الرغيف الرخيص له ثمن ،أما من عرضت نفسها لكل الناس ليصيبوا من حسنها وجمالها لا أجر لها إنها بلا ثمن . فأى فرق ومنزلة وكرامة إذن بين هذه الفتيات وبين المؤمنات لا يمكن وضعهن فى مقارنة إطلاقًا !

ـ الأخوات المسلمات يستطعن الاستمتاع بزينة الدنيا ويحظين بحسن ثواب الآخرة أما الأخريات فغايتهن الدنيا ويكفى أنها دنيا قصيرة الأجل نهايتها تراب وآخرها عذاب .

ـ المسلمات الصالحات يشبعن حاجاتهن من الدنيا من مأكل ومشرب وزينة وملبس وعلم وعمل ويتوكلن على الله فى كل أعمالهن ويطلبن من الله العون الدائم والتوفيق والسداد والرشد والفلاح والمغفرة إذا أخطأن ، وحسن البصيرة فى الأمور وحب الله وحب رسوله وحب الخير للناس جميعًا وهن أنفع الناس للناس ، هن يعملن ويتوكلن على الله فى كل أحوالهن حق توكله فيحدثن توازنا فى حياتهن فلا يهمهن لوم لائم ، ولا هجوم حاقد، رضاء الله هو أسمى ما يطلبن وطاعته وطاعة رسوله هى سبيلهن فى الحياة.

فهل هذه الفتاة تقارن بغيرها ، شتان بينها وبين من ارتضت بزينة الحياة الدنيا وحطامها .

المؤمنة ليست من الذين يقولون :ربنا آتنا فى الدنيا وما لها فى الآخرة من نصيب .

إنما تدعو الله أن يرزقها حسن ثواب الدنيا والآخرة فهى تسعى بالدنيا وتسعى إلى

الآخرة فكان سعيها مشكورا ،يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) ﴾ .

ولا تتعجب العاصيات من عطاء الله لهن أو يطمئن قلبهن لذلك، فعطاء الله ليس محظورا على أحد .

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) ﴾ .

ذكر الله غفران للذنوب :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [٣٢] .

الأخت المؤمنة التى تدخل مدرسة سليمان عليه السلام فى التوبة لا تجد سبيلا للنجاة من الذنوب والإنابة إلى الله تعالى غير الذكر ـ ذكر الله سبحانه وتعالى ـ فى قلبها وبلسانها وفى عقلها وتحفظه فى ذهنها وتعتبر بهذا الذكر وتنصح نفسها وغيرها به .

قال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ .

المؤمنة الفطنة تدرك معنى الفاحشة وماهيتها وتعرف متى تظلم نفسها فتسرع بالإنابة إلى الله فتستغفر لذنبها ،هى لا تترك الظروف لتسيرها كما تسيرها ، ولا تترك الناس تتحكم فيها ثم تكون العاقبة عليها والحساب على نفسها يوم القيامة .

فهى هنا أحكمت عقلها واستفادت بعلمها وآيات الله وسنة رسوله ﷺ فذكرت ربها ولم ترض بحالها إلا ما يرضى الله تعالى .

يقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة الأحزاب : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ .

لم تغفل الأخت الصالحة عن الذكر لحظة واحد ، فلسانها رطب بذكر الله وخطواتها استغفار ، وصعودها تكبير ، ونزولها تسبيح وتهليل ، فهى تنتظر ما أعده الله لها من مغفرة وأجر عظيم .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾.

أصبحت حياة المؤمنة ذكرًا ـ صباحا ومساءً ـ واستغفارا فهل هناك وقت إذن لاتباع خطوات الشيطان ، هل هناك وقت لسماع أغانى اللهو والنطق بها ، هل هناك وقت للحديث عبر الهاتف فيما يغضب الله، هل هناك وقت للجلوس بالساعات أمام الحاسب لمخاطبة الغرباء أو أصحاب اللغو واللهو والذين لا يذكرون الله إلا قليلا ؟!

لم يصبح فى القلب غيره هو ، لم يصبح على اللسان من كلمات غير كلامه هو ، لم يصبح فى العقل غيره هو : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر] .

وأى فضل تسعى إليه الأخت أكبر من فضل ذكر الله لها.

تفرح الأخت عندما يذكرها من تقدره وتحترمه وتعزه ،فأى فرح وأى متعة وأى سعادة عندما يذكرها الله خالق البشر أجمعين،يقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [١٥٢].

وذكر الله ـ عز وجل ـ ثناء على عباده ـ فضلا منه ومنة ونعمة ـ فهو يخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى .

فلا تحتاج المؤمنة الصالحة لكثير من الاستشارات ممن لا يفقهون وأصحاب العلم الغير قائم على اتباع سنة الله ورسوله . إنه علم أصحاب الجهل الذين يضلون الناس على غير علم بدين الله . هو علم المغضوب عليهم والضالين .

لماذا تنشغل الأخت بالدنيا ومشاكلها بعد أن عرفت أن الله ـ عز وجل ـ سيعطيها بفضل ذكره أفضل ما يعطى السائلين ، لماذا تنشغل بأعمال لا خير فيها بعد أن أدركت أن ذكر الله تعالى خير الأعمال وأزكاها .

لماذا تترك نفسها لهموم الدنيا ولغو ولهو حديثها فيكون ذلك عليها حسرة يوم القيامة على ما فرطت فى ذكر الله ؟

لماذا تترك ظل الله فى الجنة يوم الحساب ، والتى يحظى به الذاكرون والذاكرات ؟
لقد أيقنت الأخت المسلمة هذا الفضل العظيم فعكفت على ذكر الله فى نفسها تضرعا وخفية . وقياما وقعودا وبكرة وأصيلاً . وفى جميع أحوالها .

وهى لم تكتف بذلك لقد جمعت واجتمعت مع الصالحات فى روضة الجنة فى مجالس العلم فى رحاب رحمة الله رب العالمين،وأخذن يذكرن الله ويتلون آياته فحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . فهن الجليسات اللاتى لا يشقى بهن جليستهن .

وإذا كانت جميع الأعمال ستوضع يوم القيامة على الميزان ،فإن لا إله إلا الله لا توضع فى ميزان .

قال ﷺ لأبى هريرة : « **يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها لا توضع فى ميزان ؛لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقًا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك** » (١) .

فذكر لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون وهى ما يفتح بها أبواب الجنة ، وهى من أسباب محو الخطايا والذنوب ، ورفع الدرجات وهى من أفضل الذكر الذى لا يجب أن تنساها الأخوات طوال اليوم والليلة .

وللمسلمة كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ،حبيبتان إلى الرحمن وهما : « **سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** » (٢) . وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وهى من الأذكار التى يثاب قائلها بغفران الذنب إن شاء الله . وهى من أحب الكلام إلى الله عز وجل .

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٥/ ١١) .
(٢) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤/ ٣١) .

الباب الثانى

تصنيفات الذنوب

الفصل الأول :تصنيف الذنوب حسب الجهات المسببة للذنب .

الفصل الثانى : تصنيف الذنوب حسب حجم الذنب .

الفصل الثالث : تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق .

الباب الثانى

تصنيفات الذنوب

مقدمة :

الذنب : هو المحرم من الأعمال وجمعه ذنوب .

ويتم تناول هذا الجزء من خلال تصنيف الذنوب إلى ثلاثة أقسام، بحيث يتم شرح وتوضيح مجموعة من الذنوب وبعض تطبيقاتها بما يفيد فى عدم الوقوع فى ارتكابها .

القسم الأول : يختص بالذنوب التى يكون سببها الإنسان نفسه سواء كان مصدرها العقل أو القلب أو جوارحه وحواسه ، أو نفسه وهواه أو طبيعة خلقه ، أو كان سببها الشيطان ،أو كان سببها الناس وإفسادهم وظلمهم .

والقسم الثانى : يوضح كثيراً من الذنوب التى تقع تحت عنوان الكبائر أو تدخل فى إطارها سواء ما جاء فى حديث صريح بأنها من الكبائر أو ما عظمتها بعض آيات القرآن الكريم .

القسم الثالث من الذنوب: هو بعض ما يرتكبه الفرد فى حق الله أو فى حق الناس وهم جميعًا أكثر من ثمانين ذنبا يمكن للقارئ أن يتعرف عليهم فتنير له طريق التوبة إلى الله عز وجل .

الفصل الأول

تصنيف الذنوب حسب الجهات المسببة للذنب

[الإنسان ـ الناس ـ الشيطان]

ربما يسأل الناس بعضهم أو يسألون أنفسهم أو يتساءلون فيما بينهم عن الأسباب التى توقعهم فى الذنب، فالبعض يقول: أنا السبب، والبعض يقول : الناس السبب ، والبعض يقولون: الشيطان السبب، وآخرون يعجزون عن معرفة السبب ويعزونه إلى القضاء والقدر.

ويوضح هذا الجزء تصنيفا للذنوب حسب الجهة المسببة له ، وتم تصنيف هذه الجهات إلى ثلاث ؛ فمنها ما يتعلق بالإنسان نفسه سواء كان السبب فى الذنب عقله، أو جوارحه ، أو نفسه وما يتعلق بالناس وهم الذين يتعايشون ويتفاعلون مع الإنسان فى أوقاته المختلفة، وما يتعلق بالشيطان .

وهذا التصنيف ليس جامعا مانعا ، ولكنه يعتمد أساسًا على آيات الله عز وجل ، وأحاديث للرسول ﷺ ، وربما يساعد التصنيف على معرفة الجهة المسببة للذنب ، وتعدد أنواع الذنوب ، واشتراك أكثر من جهة فى ذنب واحد وهو ما يخلط الأمر لدى كثير من الناس مثل الوسوسة والأمر بالسوء ، والجدال ، والنسيان ، والظلم ، ولكنه كلما تقربنا إلى الله العزيز القدير كلما زادت البصيرة لمعرفة الخطوط الفاصلة والأسباب المؤدية للذنب ، ومن ثم الوصول إلى وسائل العلاج وحدوث التوبة كما يحب الله ويرضى .

١ـ أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالإنسان نفسه :

عندما خلق الله ـ عز وجل ـ آدم عليه الصلاة والسلام اختار مادة جسده من الطين، بما يحمل هذا الطين من صفات وخصائص تجعله حينا صلبا وحنيا لينا ومطموسا أو لامعا، وقويا أو هينا أو ما بين ذلك من صفات ، ونفخ فيه من روحه عز وجل ، وعلمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له وعرض عليه الأمانة التى أبت أن تحملها الأرض والسماء والجبال .

وكان عليه عبادة الله وإعمار الأرض والتناسل فيها والتعايش فى جماعات وأمم، وخلق الله تعالى لهذا الإنسان عقلا ، وقلبا ، وجعل له جوارح ونفسًا .

وهذه كانت للإنسان وعليه، فإذا استخدمها لعبادة الله وتحمل الأمانة فهى له فى

الدنيا وفى الآخرة ، وإذا اتبع قصورها وضعفها وهواها وفجورها فقد خسر الدنيا والآخرة وذلك الخسران المبين .

أ ـ عقل الإنسان :

ابتلى الله الإنسان بالنسيان منذ بدء خلقه ، فقد نسى آدم عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به فوقع فى العصيان ، ولقصور عقل الإنسان فإنه لا يثبت على حال فربما اعتقد شيئا اليوم وأنكره غدا .

وكثيرا ما يصاب الإنسان بالغفلة والنسيان المؤقت ثم الرجوع إلى حالته الأولى ، ولاعتقاده أنه على صواب فإنه يحاول الجدال من أجل الانتصار للنفس وإقناع الآخرين برأيه ، وهو لا يستطيع أن يحيط علما بكل الأمور حوله ؛ ولذلك فكثير من الناس لا يعلمون ،والأدهى من ذلك الأمر أنهم لا يعلمون أنهم لا يعلمون أو يجهلون .

وتقرب لنا الآيات القرآنية قصور عقل الإنسان،يقول الله تعالى فى سورة الزمر : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر] .

توضح الآية أن النسيان يؤدى إلى التحول وتغير المسار وأن الكفر لا يمنع من تمتع الإنسان ، ولكن هذا متاع الغرور ومتاع الزوال . وأن متع الجسد والجوارح والنفس والقلب توقف عمل العقل إذا لم يكن محصنا بالإيمان .

ويقول تعالى فى سورة الزمر : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

توضح الآية تحولات الإنسان وكذبه على نفسه وعقله، فقد أدرك حين البأس أن الله ربه ، ولكنه عند النعمة بخل على نفسه بالشكر لرب العالمين ، وتوضح الآية أن هذه نوعية من الناس وهم الذين لا ينسون بل يتناسون جحوداً وكفرا بالله .

وفى سورة البقرة توضح كيف أن الإنسان ينسى نفسه كما ينسى غيره، فلا ينظر لأعماله وسلوكه وأحواله ،ولكنه ينشغل بغيره من الناس وكأنه يريد لهم المصلحة والبر يقول تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

ويقول الله تعالى فى سورة يونس : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

لقد نسى الناس أنفسهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى أتاهم الموت فى لحظة لم يحسبوا

لها حسابًا ،فإذا بهم بعد الغفلة عن آيات الله تنتهى حياتهم فيخرجون من القصور إلى القبور ومن النعيم إلى الجحيم ومن الصحبة والألفة إلى الوحدة والوحشة .

فكم دار فى عقله حوار ،وكم أجرى مع غيره جدالاً : ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم] .

وإذا كان لم ير نفسه،ألم ير الوليد فيتعجب ويرى الميت فيتعظ ! علام إذن كان يجادل بغير علم ؟، يقول تعالى فى سورة الحج : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾ .

فقصور العقل الإنسانى يجعله يعلم ظواهر الأمور ويحكم بها ويغفل عن الكثير . يقول الله تعالى فى سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ .

ب ـ قلب الإنسان :

أكد رسول الله محمد ﷺ أن فى الجسد مضغة لو صلحت لصلح الجسد كله ألا وهى القلب . وكان يدعو ﷺ بـ : « **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»(١) .

وأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان ،فالمريض هنا لا يدرى ولا يعتقد أنه مريض بل يدافع عن نفسه ويلتمس لها الأعذار ويجادل فى سبيل نصرتها ، وطبيب القلوب المريضة بالمعصية والمتخصص بالعلاج غير متوفر فى كثير من الأحيان مما يساعد على سرعة انتقال عدوى المرض بين الناس ، حتى لا يرى الناس الذنوب ذنوبا .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

وإذا لم يعالج الإنسان قلبه من معصيته فإن غيرها ستأتى عليها ومعها لا محالة ، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ . وتؤثر الأعمال على قلوب الناس فإذا ساءت أمرضت القلب وزادت فيه حتى لا يؤمل علاجه. يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣] .

ويبين لنا القرآن الكريم كيف أن القلب الآثم يضر صاحبه ويدفع جوارحه إلى الوقوع فى الذنب، يقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا

---

(١) مسلم فى القدر (١٧/٢٦٥٤) .

فرهانٌ مقبوضةٌ فإنْ أمن بعضكم بعضًا فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم (٢٨٣)﴾ .

والإسلام يجعل القلب عاقلا وذاكرا ، ولكنه عندما لا يعقل ويغفل عن ذكر الله؛ فإن العاقبة هى اتباع الهوى والإفراط فى الأمر، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا (٢٨) ﴾ .

ويؤدى مرض القلوب إلى الطمع فيما حرم الله، يقول تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢)﴾، ويغتاظ القلب ويغل فيؤدى إلى الكراهية بين الناس وتسوء العلاقات بينهم ويستحيل الحب والوئام .

فالإسلام يربى فى المؤمنين تطهير قلوبهم من الغل والغيظ؛ يقول الله تعالى فى سورة الحشر : ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾[١٠]. كما تؤدى غلظة القلب إلى انفكاك الجماعة والشعور بالوحدة وعدم القدرة على إحداث ترابط اجتماعى فى البيئات المختلفة، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [١٥٩].

ويغلق القلب الإنسانى فلا يستطيع أن يدخل خيرا أو يعيى رشدا، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾ [٨٨] . وهذا فى الدنيا .

أما فى الآخرة فيحجبون عن رؤية الله رب العالمين، يقول الله تعالى فى سورة المطففين: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥)﴾ ، فعلى قلوب الظالمين غطاء وحجاب كثيف يجعلهم لا يرون النور فلا يهتدون .

جـ ـ الجوارح:

يقول الرسول محمد ﷺ : **« كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما السماع ،واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ،ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »** رواه مسلم والبخارى (١) .

اللسان :

ويأتى اللسان فى مقدمة الجوارح من حيث خطورته على الإنسان وعلى سعادته أو

(١) البخارى فى القدر (٦٦١٢) ، ومسلم فى القدر (٢٦٥٧/ ٢١) .

عذابه فى الدنيا والآخرة،ويعظم الرسول ﷺ مدى خطورته على الإنسان فى الحديث : « ... **وهل يكب الناس فى النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم** » . أخرجه الترمذى من حديث معاذ (١) .

ويقول ﷺ : « **إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان ؛أى تقول: اتق الله فينا ؛فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا** » (٢) .

ويحاسب الله تعالى الإنسان على كل ما يصدر منه من ألفاظ ،يقول الله تعالى فى سورة ق : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾.

ويوقع اللسان الإنسان فى كثير من الذنوب ، ربما يقول المرء :هل اللسان جزء منفصل عن الإنسان وعن إرادته ؟

لماذا يكثر الكلام ولا يدرك العقل ما يقول ؟ هل هو خارج عن حدود السيطرة ؟ ومن الذى يحركه ؟ هل العقل أم القلب أم النفس ؟ .

إنها عملية معقدة ،فأحيانا يفكر الإنسان قبل أن ينطق ، وأحيانا ينطق بما يحس قلبه فيقولون: «اللسان مخرفة القلوب» وأحيانا تحركه وتؤثر فيه النفس إذا كانت نقية أو فاجرة.

ولكن مما لا شك فيه أن العقل المريض والقلب المريض لا يجتمعان فى نفس نقية مطمئنة برضاء الله وبذكره،وأن النفس الخبيثة لا تجتمع مع قلب موصول بالله ساكن وقور.

ومن حصائد اللسان وآفاته التى توقع فى الذنوب :

فضول الكلام :

يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] .

وفضول الكلام دخل فى عصرنا فى إطار الاستخدام التكنولوچى؛ وأعنى به الدردشة على الإنترنت بين الشباب والشابات الذين لا يرمون من وراء هذا الاستخدام السيئ للتكنولوجيا إلا الاستهلاك للمال والوقت والجهد فيما لا ينفع أيا من المتحاورين.

وكثيرا ما تجد النساء والبنات المجال واسعا لفضول الكلام من خلال استخدام الهاتف المنزلى أو الجوال فتكون المصيبة ضياع الدين والدنيا معا .

---

(١) الترمذى فى الإيمان : (٢٦١٦) ، وقال : « حسن صحيح » .

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٤٠٧) .

- الخوض فى الباطل :

يقول تعالى فى سورة النساء : ﴿ فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ [١٤٠] . ويقول الرسول ﷺ : « **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل** » (١) .

- التقعر والتكلف فى الكلام :

قال ﷺ : « **إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا ،الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام** » أخرجه أحمد من حديث أبى ثعلبة (٢) .

- الفحش والسب وبذاءة اللسان :

قال ﷺ : « **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء** » أخرجه الترمذى بإسناد صحيح (٣) .

- المزاح والمراء :

قال ﷺ : « **لا تمار أخاك ولا تمازحه** » أخرجه الترمذى (٤) .

- الغيبة :

وهى « **ذكرك أخاك بما يكره** » (٥) ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات :١٢] .

- التنابز بالألقاب :

يعنى ؛يتنادون بالألقاب القبيحة . قال تعالى: ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾[الحجرات] .

- المن :

يعنى تعيير الغير بما يقدم لهم من خير،قال تعالى فى سورة البقرة :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [٢٦٤] .

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٧ / ٤٦٩) .

(٢) أحمد (٤/ ١٩٣) ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٢) : « رواة أحمد رواة الصحيح » .

(٣) الترمذى فى البر والصلة (١٩٧٧) ، وقال : « حسن غريب » .

(٤) الترمذى فى البر والصلة (١٩٩٥) ، وقال : « حسن غريب » .

(٥) أبو داود فى الأدب (٤٨٧٤) ، والترمذى فى البر والصلة (١٩٣٤) ، وقال : « حسن صحيح » .

قال ﷺ : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر، والمنان** » رواه النسائى [1] .

ـ النميمة :

تعنى الإفساد بين الناس بنقل حديث هدفه الإفساد ، قال تعالى فى سورة القلم : ﴿ **وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١** ﴾ .

ـ السب واللعن :

قال ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » [2] .

وقال ﷺ : « **لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة** » رواه مسلم [3] .

ـ الكذب:

قال ﷺ : « **كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب** » [4] .

وقال تعالى فى سورة غافر: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨** ﴾. وقال ﷺ : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** » متفق عليه [5] .

قال تعالى :﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨** ﴾ [هود] .

ـ قذف المحصنات :

« الاتهام بالزنا » ،قال تعالى فى سورة النور : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٢٣** ﴾.

ـ النياحة .

والدعاء بالويل عند المصيبة : قال ﷺ : « **اثنتان فى الناس هما بهم كفر؛ الطعن فى النَّسَبِ والنياحة على الميت** » رواه مسلم [6] .

---

(١) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢) .
(٢) البخارى فى الفتن (٧٠٧٦) ، ومسلم فى الإيمان (٦٤/١١٦) .
(٣) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٩٨/ ٨٥) .
(٤) أبو داود فى الأدب (٤٩٧١) ، وأحمد (٤/ ١٨٣) .
(٥) البخارى فى الأدب (٦٠٦٦) ، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٣/ ٢٨) .
(٦) مسلم فى الإيمان (٦٧/ ١٢١) .

- قول الزور :

قال تعالى فى سورة الحج : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) ﴾ [الحج] .

وقال ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؛ الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ،ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ،فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت** » رواه البخارى (١) .

ذنوب اليد : « أول جريمة على الأرض كانت باليد » :

اليد تسرق وتقتل وتبطش ، وتكتب كذبا ، وتتحدث كذبا بالإشارة ، وتصافح حراما ، وتقطع رحما ، وتهمل وترمى الخيرات . وتحمل كأسًا محرمًا ، وتمسك سيجارة أو شيشة أو حشيشا أو أى مخدر آخر وهى جميعا مما حرم الله على المؤمنين ، وتقلع شجرة ، وتحرق أثاثا أو متاعا ، وتفسد طعاما ، وتكشف عورة ، وتلمس جسدا أو شعرا حراما ، وتأخذ مالا حراما ، وتعين عدوا ، فهذه قليل من كثير ، وإذا كان هذا عملها فى الدنيا فكيف يتصور عملها فى الآخرة ؛ إنها مسؤولة ومستنطقة وشاهدة على أصحابها عندما يسئل الجانى فيجيب كذبا فتنطق يداه صدقا بما صنعت فيسألها صاحبها لما شهدتِ عليّ ، فتقول :أنطقنا الذى أنطق كل شىء .

يقول الله تعالى فى سورة الروم : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ [الروم : ٤١] فظهر فى التلوث وظهر فى الخراب والدمار والحروب والأمراض والفتن والقتل، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢)** ﴾ .

لقد فعل اليهود ذلك مع الرسول ﷺ،وشاقوا الله ورسوله فكان الخراب على أيديهم .

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، ويقول - سبحانه وتعالى - فى سورة البقرة أيضا : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٧٩] ،ويقول الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ** ﴾ [المائدة: ٢٨] .

فهذه أول جريمة لبنى آدم على سطح الأرض وهى القتل .

(١) البخارى الأدب (٥٩٧٦، ٥٩٧٧) .

ذنوب العين :

العين تغفل عن حفظ الأمانة ، والعين تنظر إلى ما حرم الله من عورات ، والعين تهمل النظر فى ملكوت السموات والأرض ، وتهمل النظر فى سير السابقين ، والعين تقصر فى قراءة القرآن وكتب الصالحين ، وتقرأ كتب الغاوين . العين تنظر ولا تتفكر فى الخلق، والعين ترى حال الضعفاء والمستضعفين ولا تعين صاحبها على مساعدتهم . والعين لا تدمع من خشية الله ، والعين تصيب بالحسد وتضر حتى صاحبها ، والعين لا تغض البصر عن محارم الله ، والعين ترى غضب الوالدين ولا تبرهما، والعين تقتل الوقت بدوام النظر إلى ما يلهى النفس عن الذكر ويلهى العقل عن الفكر . يقول الله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ [١٠٤] .

فهذه عين تنجى صاحبها من النار، وعين توقع صاحبها فى الجحيم، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [٧] وهو ما يمنع أصحابها من التفكر والنظر فى مخلوقات الله .

ويأمر الله تعالى المؤمنين فى سورة النور بغض البصر وعلاقة ذلك بحفظ الفرج : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

ويبين الله تعالى فى العديد من سور القرآن الكريم أن النظر كان يكفى الإنسان لمعرفة خالقه ووقايته من الكفر، يقول الله تعالى فى سورة محمد: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [١٠] . وتكرر اللفظ فى سورة غافر والروم ويوسف.

ذنوب الأذن :

الأذن تتصنت على الناس وتتجسس عليهم ، والأذن تسمع المعازف والأغانى الصاخبة التى تغضب الله عز وجل ، والأذن تسمع الفحش من القول ولا تنهى صاحبها عن ذلك، والأذن تسمع النميمة والغيبة والكذب، والافتراء، والتنابز ولا تنهى صاحبها ، والأذن تسمع الاستغاثة ولا تغيث الملهوف، والأذن تسمع نداء الصلاة ولا تلبى وتسمع نداء الوالدين ولا تلبى وتسمع أوامر أولى الأمر ولا تطيع، والأذن لا تصبر على سماع القرآن.

كم ضيعت الأذن وقتا على صاحبها الذى وضع سماعات الأذن ليستمع للموسيقى ولهو الحديث !

كم ضيعت الأذن مالا لمستخدمى الهاتف الجوال فى رسائل وحوارات وأحاديث

لا يهدف من ورائها غير ضياع الوقت والتسلية فخسر وقته وماله !

وكم أحدثت الأذن السماعة للكذب لصاحبتها من توترات وخصومات وقطع للرحم!

كيف أوقعت الأذن صاحبتها فى الفاحشة عندما صدقت بكلمات الحبيب المزيف الجانى !

كيف ألهت الأذن القلب عن ذكر الله!يقول الله العزيز الحكيم فى سورة الأعراف: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا ﴾ [الأعراف :٢٩٨] .

وربما أدرك الوالد المسلم الصالح تلك الحقيقة وأراد لابنه حفظ القرآن ، فمنع عن أذنه سماع الأغانى ولهو الحديث ومشاهدة التلفاز ، فكانت النتيجة خيرا وهى أنه أتم حفظ القرآن الكريم فى طفولته المبكرة .

ويبين لنا القرآن الكريم كيف يصف الكافرين حينما يغلقون آذانهم عن سماع الهدى، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم ﴾ [البقرة: ١٩] ، وفى سورة نوح : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم ﴾ [نوح :٧].

لقد كان كفار مكة يصفقون أمام قارئ القرآن حتى لا يسمعه أهل مكة مما يؤدى بهم إلى الهداية،وسار على ضلالتهم كثير من الناس ، ألا ترى اليوم كيف يسيطر الحكام الفاسدون على إعلام الدول فلا يسمع الناس إلا منهم ،وكيف أنكرت أمريكا على قناة فضائية عربية بثها الأخبار ونقلها الأحداث التى توضح بشاعة حربها ضد المسلمين !

ذنوب الرجْلِ :

« **الرجل تزنى وزناها الخطا** » (١) وتفر يوم الزحف .

الأرجل تدخل بيوتا بغير إذن أصحابها ، وتدخل أماكن اللهو والعبث غير المباح ، وتضرب فى الأرض ليعلم ما تخفى صاحبتها من زينة ،وتمشى فى صحبة أصدقاء السوء وتمشى تتكبر إعلاءً للنفس على غيرها من الناس وتوقع صاحبتها فى الفحشاء والبهتان . وتقتل صاحبها إذا استخدمها خطأ فى القيادة السريعة للسيارة وربما قتلت أنفسا بريئة .

ويتعلم المسلم من دينه وقرآنه آداب استخدام الأرجل . يقول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٥٨ .

وتتعلم البنات والنساء من القرآن ما يجب أن تتجنبة أرجلهن ، يقول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٢١] ، فهى إشارة لما يمكن أن تحدثه الرجل من ذنوب لصاحبتها ويقول الله تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ [الممتحنة :١٢] .

فهذه الأيدى والأرجل ستشهد على أصاحبها يوم القيامة . يقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة النور : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور] .

وتفر الأرجل من لقاء العدو ـ خوفا ورهبة وجنبا ـ وهو ما أمر الرسول ﷺ باجتناب هذا الإثم واعتبرها من السبع الموبقات. يقول ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » (١) وذكر منها التولى يوم الزحف .

د ـ نفس الإنسان وهواه :

إذا كان القلب والجوارح والعقل الإنسانى أشياء ملموسة ومحسوسة فإن النفس والهوى لا يراهما الإنسان ، إلا أن النفس حظيت باهتمام العلماء فجعلوا لها علما خاصا بها يدرس انفعالات الإنسان ودوافعه وحاجاته وكلها أشياء غير ملموسة ، ولكنها تؤثر على الإنسان داخليا وخارجيا فيحس هو بها ويحس من حوله بحاله وطبيعة نفسه .

وقد قسم بعض العلماء النفس إلى أربعة أقسام :

النفس المطمئنة : هى التى تتوب وتستقيم وهى سباقة إلى الخيرات .

والنفس اللوامة : وهى التى تتوب عن الكبائر ولكن تبتلى بها من غير قصد أو عمد، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران :١٣٥] .

والنفس المسولة : وهى التى تتوب فترة ثم ترجع إلى الذنب عن قصد وعمد وشهوة ، يقول الله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة :١٠٢].

والنفس الأمارة بالسوء : الفرارة من الخير وهى التى تتوب وتستقيم ثم تعود لمقارفة الذنوب من غير أسف .

وكما جعل الله تبارك وتعالى من كل شىء زوجين اثنين ، فإن النفس البشرية كانت

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٥٧) .

على شقين : فجور وتقوى ، يقول تبارك وتعالى فى سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ .

فمن غذى الفجور طمث معالم التقوى من النفس حتى باتت النفس فاجرة؛ وذلك بكثرة المعاصى وارتكاب الذنوب والكبائر ، فلا ينتظر بعد ذلك صلاح القلب أو العقل وإنما هى جسد واحد .

وللنفس البشرية صفات توقع صاحبها فى الذنب منها :

ـ أمارة بالسوء : قال تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٣ ﴾ .

ـ الشح والبخل :

يقول الله تعالى فـى سورة التغابن : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٦ ﴾ [التغابن : ١٦] ، وفى سورة المعارج : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾ [المعارج] .

ـ العُجْب :

يقول الرسول ﷺ : « ثلاث مهلكات شح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » (١) .

ـ الفتنة والتربص والغرور :

وتعنى الفتنة : الضلال ،والتربص بمعنى الانتظار، أما الغرور فهو الطمع بالباطل .

يقول الله تعالى فى سورة الحديد : ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝١٤ ﴾ .

ـ الوسوسة :

وهى حديث النفس للنفس، يقول تعالى فى سورة ق : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ .

ـ الفجور :

يقول تعالى فى سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ .

---

(١) الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٩٥، ٩٦) وقال: «رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه ابن لهيعة ومن لا يعرف».

- شر النفس :

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبى ﷺ علم أباه - حصينا - كلمتين يدعو بهما : « **اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى** » رواه الترمذى [(1)] .

- **الهوى** : وهو ميل النفس وبالحب والاستحسان والتقبل ، يقول الله تعالى فى سورة الجاثية : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)** ﴾ .

- حب الدنيا :

يقول الله تعالى فى سورة القيامة : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)** ﴾ .

- حب المال والأولاد :

يقول الله تعالى فى سورة الفجر : ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)** ﴾ ، وفى سورة التغابن : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)** ﴾ .

- حب الخير :

يقول الله تعالى فى سورة العاديات : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)** ﴾ .

- حب الشهوات :

قال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ﴾ [١٤] .

هـ - طبيعة خلق الإنسان :

ذكر الله تعالى العديد من صفات خلق الإنسان النفسية والتى تدعوه إلى ارتكاب الذنوب وهى لا ترتبط بعضو دون آخر ولكن ربما يشترك فيها العقل والقلب والجوارح .

ومن هذه الصفات الكنود ، والمراءاة ، والطغيان ، والعجلة والتسرع ، والهلع والخوف والجزع ، والتحول واليأس والكبر ، والإصرار على الخطأ ، والظن .

- الكنود :

يعنى عدم شكر النعمة وجحودها وذكر المصائب ونسيان النعم ، يقول الله تعالى

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٨٣) وقال : « حديث غريب » .

في سورة العاديات : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ ﴾ .

- المراءاة والمنع :

يقول الله تعالى في سورة الماعون : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۞ ﴾
وفي سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ .

- الطغيان :

يقول الله تعالى في سورة العلق: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ ﴾ .

- العجلة والتسرع :

يقول الله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ۞﴾ .

وفي سورة الإسراء : ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ۞ ﴾ .

وفي سورة يونس : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ ﴾ .

- الهلع والخوف والجزع :

يقول تعالى في سورة المعارج: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ ﴾ .

- التحول واليأس والمكر :

يقول الله عز وجل في سورة الإسراء : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۞﴾ [الإسراء] .

وفي سورة يونس : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞﴾ .

- الإصرار على الخطأ :

يقول الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۞ ﴾ .

- الظن :

وهو الاعتقاد بغير يقين أو علم ،يقول تعالى في سورة النجم : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ

﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

٢ ـ أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالشيطان :

كل إنسان معه شيطان حتى الأنبياء ، فقد جعل الله لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن ، يقول تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

والشيطان يقترن بالإنسان فى كل أعماله وأقواله وأحاسيسه ، ولا يكتفى بذلك ولكنه يستحوذ على الإنسان كاملاً إذا أعرض عن ذكر الله ، فيزين للإنسان عمله حتى يكفر ثم يتخلى عنه يوم الحساب ويتبرأ منه ، وهو فى الدنيا يعد الإنسان الفقر حتى لا يتصدق ولا يذكى ماله ، ويأمره بالفحشاء والرذيلة . وعمل السيئات والمنكرات ، وهو يمارس سلطانه على الذين يتولونه ويطيعونه فتكون النتيجة هى الكفر بالله عز وجل والإشراك به .

فيمكن أن يدخل الشيطان إلى الإنسان من خلال :

الأمر بالسوء والفحشاء ، نسيان ذكر الله ، الغواية ، تزيين الباطل ، الوعد بالفقر ، التخويف ، الأمانى الكاذبة ، الاستهواء ، المجادلة ، تحريم ما أحل الله ، النجوى ، الوسوسة .

وهذه المداخل الشيطانية ثم تناولها فى قصة آدم عليه السلام .

لقد بين الله تعالى لنا خطوات الشيطان ، وعلى المؤمنين ألا يتبعوها ، وأن يحاربوه ويعتبروه عدواً مبينا .

يقول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

٣ ـ أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالناس :

يضل الناس بعضهم بعضًا بغير علم ، فيتبعهم الجاهلون والغاوون ، ومن يعجبه حديثهم ويستمتع به ويتخذه لهوا فيضيع على نفسه وغيره العلم النافع . ويظلم الناس بعضهم عندما تصل العلاقة بينهم إلى درجة الحب الأعمى والأضل الذى يدفع بالناس لحب شخصٍ وتعظيمه وطاعته، فلا يرون منه باطلا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وأمثلة ذلك : القادة المضلون الضالون الذين يأخذون شعوبهم إلى الجحيم وسوء المصير مستغلين حب الناس لهم وطاعتهم العمياء ،وكذلك الحال عندما يطيع الزوج زوجته وهى على الباطل لحبه لها أو العكس ، أو عندما تطيع الفتاة الفتى على ارتكاب الرذيلة أو الفاحشة لحبها له ، وعندما يطيع الصبى أصحابه فيشرب معهم السجائر تعبيرا عن حبه لهم ومشاركتهم أفعالهم .

ومن الناس من يبخلون ويأمرون غيرهم بالبخل فينسون أن ما عندهم من مال أو رزق هو من عند الله وعندما يمارس أصحاب السلطة والسلطان والقوة أشكال العنف على الناس وعلى الضعفاء فيضلونهم ويفتنونهم فى دينهم ودنياهم .

وقد فصل الله لنا أمثلة من هؤلاء الناس الذين يدعون غيرهم إلى ارتكاب الذنوب والإصرار عليها .

ففى الضلال عن سبيل الله،يقول الله تعالى فى سورة لقمان: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ .

وفى سورة الأنعام : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

وفى ظلم الناس والإفساد فى الأرض ،يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ .

وفى الحب الضال المضل ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

وفى الإعجاب بالقول ، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ .

وفى البخل وأمر الناس به ، يقول تبارك وتعالى فى سورة النساء : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وفى سورة الحديد : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾. وفى خشية الناس وما تحدثه من فتنة الناس ، يقول تبارك وتعالى فى

سورة النساء : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧٧) ﴾ .

وفى سورة المائدة يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ .

ويوسوس الناس لبعضهم فيضلونهم ،ويأمر الله تبارك وتعالى الإنسان أن يستعيذ بالله من هؤلاء الناس ، يقول تعالى فى سورة الناس : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ .

الفصل الثانى

تصنيف الذنوب حسب حجم الذنب

[الكبائر - اللمم (الصغائر)]

يقول الله تعالى فى سورة النجم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾ [النجم :٣٢]. ويقول الله تعالى فى سورة النساء :﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا (٣١) ﴾.

ما الكبائر ؟

إن رجلا قال : يا رسول الله ،ما الكبائر ؟ قال ﷺ : « **الشرك بالله ، والإياس من روح الله ،والقنوط من رحمة الله** » من حديث ابن عباس بإسناد حسن (١) .

وقال ﷺ:« **الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس** » رواه البخارى (٢) .

وقال ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال :الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو قال : قول الزور** » فى الصحيحين من حديث أبى بكرة (٣) .

وقال ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا :يا رسول الله ،وما هى ؟ قال : «**الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات** » فى الصحيحين من حديث أبى هريرة (٤) .

وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم ؟ قال : « **أن تجعل لله ندا وهو خلقك** » قلت :ثم أى ؟ قال : « **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قلت ثم أى . قال : « **أن تزانى حليلة جارك** » (٥) .

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى (١/١٠٩) وقال : « رواه البزار والطبرانى ورجاله موثقون » .

(٢) البخارى فى الأدب (٥٩٧٧) . (٣) سبق تخريجه ص ١٦٢ .

(٤) سبق تخريجه ص ١٦٥ .

(٥) البخارى فى الديات (٦٨٦١) .

الجدال والاختلاف حول الكبائر والصغائر :

اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة وما فوق ذلك ؛وقال بعض السلف : كل ما أوجب عليه الحد فهو كبيرة .

وقيل : إنها مبهمة لا يعرف عددها مثل ليلة القدر وساعة يوم الجمعة .

وقال أبو طالب المكى : الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم :

أربعة فى القلب وهى: الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته ، والأمن من مكره .

وأربع فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصن ، واليمين الغموس ، والسحر .

وثلاث فى البطن وهى: شرب الخمر والسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلما، وأكل الربا وهو يعلم .

واثنتان فى الفرج وهما : الزنا واللواط .

واثنتان فى اليدين وهما : القتل والسرقة .

وواحدة فى الرجلين وهى : الفرار من الزحف .

وواحدة فى جميع الجسد وهى : عقوق الوالدين .

وقال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة: إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر رواه البخارى من حديث أنس وقال : صحيح الإسناد (١) .

والكبيرة من حيث اللفظ مبهمة ليس لها موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع؛ ذلك لأن الكبيرة والصغيرة من المضافات، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه .

فقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه ، صغيرة بالإضافة إلى قتله .

ونحن نعرف من حديث الرسول ﷺ أكبر الكبائر .ولكن لا نعرف أصغر الصغائر .

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٩٢) .

والكبيرة يمكن أن يغفرها الله تعالى بالتوبة والاستغفار والرجوع إليه ، والصغيرة يمكن أن تتحول إلى كبيرة بالإصرار على فعلها وبكثرة الصغائر ،فلا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار .

وقد علمنا الرسول ﷺ الاستغفار لما نعلمه ولما لا نعلمه ، ولما أسررنا ولما أعلنا ، وكان يكثر الاستغفار فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ولكى نكون على علم بأبعاد الكبائر التى ذكرها الرسول ﷺ ونكون على حرص دائم باجتنابها ودوام الاستغفار من الذنوب ،فسوف يتم تناولها بشىء من التفصيل ونخص بالذكر منها :

(الشرك بالله،وعقوق الوالدين ، وقتل النفس،واليمين الغموس،وشهادة الزور ، والسحر ، والزنا ، وقطع الرحم ، وقذف المحصنات ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وإدمان الخمر).

الشرك بالله :

يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [١١٦] .

هناك العديد من مظاهر الشرك فى الأمة الإسلامية نابع من اعتقادات خاطئة تجعل المسلمين يشركون بربوبية الله وألوهيته .

فمن مظاهر الشرك فى الربوبية :

ـ اعتقاد البعض بأن أرواح الأولياء الصالحين يمكن أن تضر أو تنفع ، فيذهب الجهلاء إلى أضرحة الصالحين للاستعانة بهم والدعاء عندهم . ويمكن أن تسمعى وتشاهدى بعينيك كيف يحدث النساء والفتيات الأضرحة كأنها لها عليهن سلطة وأنها تنفع أو تضر .

ـ الرهبة من الجن والخوف منهم والاستغاثة بهم وتقديم القرابين لهم .

ـ تقديس بعض الشيوخ أو المشعوذين وطاعتهم والتسليم لهم، والاستجابة المطلقة لهم والاعتقاد بأن بأيديهم النفع والضر .

ـ الخنوع للحكام غير المسلمين،والخضوع التام لهم،وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم،

حيث حكموهم بالباطل ، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين ، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فى كل ذلك ، ولم ينكروا عليهم .

ومن مظاهر الشرك فى الألوهية :

يختلف الشرك عن الكفر ، حيث أن من الشرك ما لا يكون كفرًا وذلك هو الشرك الأصغر، أو الشرك الخفى قال ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « **الرياء** » رواه أحمد (١) .

ويقول ﷺ مخبرا عن رب العزة :« **من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برىء** » رواه مسلم (٢) .

فلا يكفى أن نقول : لا إله إلا الله باللسان ، ولكن يجب أن نكون على درجة من الإخلاص لله، فيجتمع القلب واللسان بالشهادة قولا وفعلاً وإيمانًا صادقا وإقرارًا فى القلب .

فالمسلمة لا تطلب من أعمالها غير رضاء الله ، فإذا كان علمًا تتعلمه لتمارى غيرها أو للتظاهر عليهم أو للتكبر على غيرها أو لتكسب ود الناس لها فهى فى النار ، فلا بد أن يكون العلم خالصًا لله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا يهم مدى تقدير الناس أو إعجابهم ولكن كيف اكتسبت هذا العلم ،وما هو هذا العلم وما فائدته ، أسئلة تضعها المسلمة الصالحة فى اعتبارها وتزن أعمالها بميزان رضا الله عنها .

وإذا كانت عبادات كالصلاة أو الصوم أو الحج أو الصدقة أو الزكاة، فهى لا تقوم بها من أجل رضاء الناس عنها أو إحسان الظن بها ومدحها والثناء عليها، أو للحصول على وضع اجتماعى معين كأن يقال داعية أو مؤمنة أو الحاجة فلانة أو غير ذلك ،فهذا العمل لم تبغ فيه وجه الله خالصًا،وإنما أشركت فيه غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهكذا.

فللأخت ميزان تزن به درجة شهادتها بأنها تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، فإذا حزنت لعدم تقدير الناس لأعمالها رغم إحساسها بأن الأعمال كانت على درجة من الكفاءة،فإن ذلك معيار لدرجة إخلاصها لله بأعمالها أولا ، وإذا فرحت لثناء الناس عليها فإن هذا معيار آخر .

ولكن مثل هذا الأمر لا يستطيع أن يحس به غير الشخص نفسه ، فالنية عامل

(١) أحمد (٥/٤٢٩) .

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٤٦/٢٩٨٥) .

أساسى فى هذا العمل .

وقال ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » رواه الترمذى (١) .

وقال ﷺ: « **يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**» ، فقيل له : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « **قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه** » رواه أحمد (٢) .

عقوق الوالدين :

الإسلام كما يعظم عبادة الله ويضع بعدها بر الوالدين والإحسان إليهما؛ فإنه كذلك ينفر من الشرك بالله وعقوق الوالدين .

يقول الرسول ﷺ : « **كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة ، إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه** » رواه الحاكم (٣) .

فقد جعل الإسلام علاجه للمسلم لكى يدرك مدى إساءته وإثمه فعجل العقوبة ليكون نذيرًا له وعبرة لغيره .

ومن العقوق : أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما ، وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما ، وإن جاعا فلا يطعمهما ، وأن يسبهما أو يضربهما .

فبر الوالدين من أفضل الأعمال بعد الصلاة ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال: « **الصلاة على وقتها** » قلت : ثم أى ؟ قال : « **بر الوالدين** » قلت : ثم أى ؟ قال « **الجهاد فى سبيل الله** » متفق عليه (٤).

وإذا أمعنت الأخت التفكر فى معنى العقوق ووجدت أنه القطع ، ربما تحاسب نفسها على الكثير .

- هل قطعت النظر لوجه والديها أثناء الحديث معها ؟

- هل قطعت الاتصال بهما إذا كانت بعيدة ومعها ما ييسر عليها ذلك ؟

---

(١) الترمذى فى النذور والأيمان (١٥٣٥) ، وقال : « حسن » .

(٢) أحمد (٤/٤٠٣) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٢٧) : « رجال أحمد رجال الصحيح غير أبى على ووثقه ابن حبان » .

(٣) الحاكم فى المستدرك (٤/١٥٦) ، وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبى بقوله : «قلت : بكار ضعيف » .

(٤) البخارى فى الأدب (٥٩٧٠) ، ومسلم فى الإيمان (٨٥/١٣٩) .

- هل قطعت صنوف الحنان والحب والألفة صباحًا ومساءً معهما ؟

- هل قطعت مساعدتها لهما قولاً وعملاً وقلبا ؟

- هل قطعت زيارتهما وفضلت عليهما غيرهما ؟

- هل قطعت تقبيلهما ؟

يخطئ من يفهم أن العقوق كلمة فقط تنطبق على من يهجر والديه ، ولكنها تمتد إلى من يعيش معهما ويتعامل معهما ليلا ونهاراً .

إنها تشمل النظرة واللمسة والإحساس والكلمة ، إنها تشمل القلب والجوارح وتمتد إلى التفكير .

فهل وصلهما القلب ،وهل وصلهما الجوارح ،وهل وصلهما العقل والتفكير ؟ إنها أمور تحتاج إلى تدريب ورياضة وطلب والعون من الله عز وجل .

وإذا حاولنا أن نضع برنامجا خاصا للبر بالوالدين، فسنجد اختلافا فى الظروف والأعمار والحاجات والإمكانيات والمكان والزمان وغيرها من العوامل والأسباب التى يصعب حصرها .

ولكن هل يصعب علينا أن نصل الوالدين خمس مرات فى اليوم مع كل صلاة قبلها أو بعدها ، فهذا أمر ممكن ويسير ربما فائدته أن البر بالوالدين جاء بعد عبادة الله تعالى ، فلماذا لا نجعلها كذلك بعد الفرائض ، وتزيد فى شهر رمضان - شهر البر والإحسان شهر القرآن - لماذا لا نجعل لهما نصيبا من دعائنا بعد كل دعاء واستغفار وتسبيح ،لماذا لا نتصدق عليهما وباسمهما ونطلب الدعاء لهما بعد وفاتهما .

إذا أخذنا البر بالوالدين بعد كل فريضة فإن ذلك أدعى لعدم التقصير إن شاء الله مع توفر النية لله تعالى ورضاه .

وهى ما تقى المسلمة من الفتور أو الامتناع أو التقصير .

فكم من الفتيات اللاتى يعاملهن الوالدان بقسوة، يجدن أنفسهن أمام طريق العقوق وعدم إعطاء والدهن حقهما فى الصلة ، فتقول الفتاة :كيف أقبل أمى أو أبى وهما يقسوان علىّ ويحرمانى من الفسحة أو المال أو الزينة ؟

فمثل هذه الفتاة تجعل البر بالوالدين تبعا لمعاملة والديها ،إن أحسنوا أحسنت ،وإن

أساؤوا أساءت .

فهذا والله طريق الشيطان وأتباعه وهو ما يوقع الكثيرات فى الكبائر والعقوق، فيجب على الفتيات أن يحذرن منه ، ولا يتبعن خطوات الشيطان وأتباعه ،وللفتاة أن تتحلى بالصبر والصدق مع الله وستجد الثمرة ـ إن شاء الله ـ ولا تأتى الثمرة ناضجة مرة واحدة فلها مراحل نمو ولا يجدنً طعمها إلا بعد النضوج .

ففى البداية ستجد الفتيات اللاتى يقسو عليهن الوالدن بعد أن يقومن بواجباتهن والعمل الصالح ، ستجدنً امتناعًا من الوالدين عن القسوة ، ثم الدعاء لهن بظهر الغيب وشكرهن والاعتراف ببرهن ، وتتحول القسوة إلى لطف وحب ورأفة وحنان إن شاء الله .

فلا يجوز أن تنسى الفتاة أنها تضع البذرة فى الأرض خصبة وصالحة مليئة بالحب والحنان للأبناء .

فماذا تنتظر بعد هذا إلا أفضل وأقوى وألذ وأحسن وأجمل الثمار .

إنها ثمرة تجد طعمها وريحها فى الدنيا والآخرة .

وإليك صنوفًا من أشكال البر ربما تجدين نفسك فيها ، وربما لا ،فاحرصى عليها وأضيفى إليها :

ـ إيقاظهما لقضاء فريضة الصلاة والصبر على ذلك .

ـ الصلاة جماعة معهما .

ـ الدعاء لهما قبل الصلاة وفى الصلاة وبعدها .

ـ إطعامهما سواء تجهيز وإعداد الطعام، أو بالإطعام باليد وانتقاء أفضل الطعام لهما وعدم الأكل قبلهما.

ـ إعطاء الدواء لهما ومتابعة ذلك إذا كانا فى حاجة إلى ذلك .

ـ مساعدتهما فى نظافة الجسد مثل تقليم الأظافر وتطهيرها ،وتدليك الجسم بالزيت أو بالخل للتنشيط والراحة؛فهى من وسائل التنشيط والراحة والشفاء والحيوية بإذن الله.

ـ المساعدة فى الحمام إن كان لذلك ضرورة .

ـ جعل لهما نصيبا فى الترفيه عن النفس والفسحة ؛ من خلال القول الطيب أو الحديث الشيق أو الخروج للنزهة ،أو الرياضة فهى مما تصلح النفس والجسم .

- إدخال السرور على قلبيهما بكل خير جديد رزقا من رب العباد .

- التقليل من إحداث التوتر والإثارة النفسية غير المطلوبة ،وذلك بعدم ذكر ما يؤلم النفس من أخبار أو أحداث عن نفسها أو غيرها ، فكثرة الأخبار السيئة تزيد من ضغط الدم وإحداث التوترات النفسية السيئة والتى يتبعها توترات فى أعضاء الجسم كله والإحساس بالمرض .

- إعانة غيرها من أخواتها على بر آبائهن وأمهاتهن، فلا تستأثر بالبر لنفسها أو الاستئثار بحبهما، فهذا من دواعى الحقد والحسد بين الأخوة وحدوث المشاكل فى الأسرة كلها .

- إعانة غيرها من الأخوات بأمرهن ببر الوالدين والإحسان إليهما وإعطاء خبرتها فى ذلك ، وكذلك بنهيهن عن المنكر إذا وجدت عقوقا فى العلاقة بين الأخت ووالديها .

- عدم تفضيل غيرهما عليهما بالبر ؛ كأحد الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران أو الأخوات . وهى كثيرة فى الأخوات المسلمات ، ربما تنفى البعض ذلك ولكنها ظاهرة ، والحجة فى ذلك ضيق الوقت ، أو كثرة الأعمال ، أو الرغبة فى عدم التقصير بين الأخوات والصديقات وبعضهن وغير ذلك .

- والاطمئنان عليهما فى الأشياء المتعلقة بـ الملبس والغطاء ومكان النوم لهما ،فقد يكون غير مناسب فى أوقات معينة مثل فصل الشتاء ، فتكون صلة بالليل ، ثم تستكمل الصلة بالنهار بباقى الأعمال التى يعينها الله عليها .

قتل النفس :

اعتبر الإسلام قتل النفس ليس من الجرائم فحسب ،وإنما كبيرة من الكبائر التى أمر الله - عز وجل - باجتنابها وجعلها شرطا من شروط المغفرة،قال تعالى فى سورة النساء: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا (٣١) ﴾ .

وجعل الإسلام من قتل النفس فكأنما قتل الناس جميعًا،قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وكان جزاء القاتل فى الآخرة جهنم خالدًا فيها .قال تعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء : ٩٣].

وعقوبة القاتل فى الدنيا هى القتل ؛ قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ﴾ [١٧٨] .

وفى حالة المعاهد، فإن الإسلام يحرم قتل المعاهد إذا أعطى عهدا من قبل المسلمين، قال ﷺ : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » (١) .

وغضب النبى ﷺ لما قتل عمرو بن أمية رجلين مشركين من بنى كلاب كانا قد أمنهما النبى ﷺ ،ولذلك دفع الرسول ﷺ ديتهما .

أما من قتل خطأ فقد قرر الإسلام الدية أو تحرير الرقبة أو الصيام .

قال تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [٩٢] .

حتى العون على القتل عقابه اليأس من رحمة الله يوم القيامة، قال ﷺ: « من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة :آيس من رحمة الله » (٢) .

قال تعالى فى سورة النساء ـ محرما قتل الإنسان نفسه ـ ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴿٣٠﴾﴾ .

وحرم الإسلام قتل الأولاد خشية الفقر أو سفهًا بغير علم ،قال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [١٤٠] ، وقال ـ عز وجل ـ فى نفس السورة: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

فهذه نماذج من القتل التى ذكرها القرآن الكريم، ربما نجد ريحها الآن فى أماكن كثيرة، فهذه السجون التى يعذب فيها المظلومون الذين قالوا :لا للطاغية ،ولا للظلم ، ولا للجهل،ولا ولا لما لا يرضى الله ورسوله ،فيكون عاقبتهم الضرب حتى الموت ،ومما يؤسف ويوجع القلب أن القائم على التعذيب وزبانية السجون مسلمون فى شهادة

---

(١) البخارى فى الجزية والموادعة (٣١٦٦) .

(٢) ابن ماجه فى الديات (٢٦٢٠) ، وفى الزوائد : « فى إسناده يزيد بن أبى زياد ، بالغوا فى تضعيفه ، حتى قيل : كأنه حديث موضوع» ، وضعفه الشيخ الألبانى .

ميلادهم ـ فحسبنا الله ونعم الوكيل ـ وجزاؤهم جهنم وبئس المصير .

وتبدو ظاهرة بالثأر أو الأخذ بالثأر من أشكال قتل النفس بغير حق ،حيث تقوم عائلة المقتول بقتل من لم يقتل ولم يجن على أحد،فيؤخذ البرىء بذنب أخيه أو أبيه وربما يقتل بغير حق عدد كبير مقابل فرد واحد .

وتشتعل الفتنة بين الناس، وتظهر جرائم القتل فى عيادات الأطباء الذين يقومون بعمليات لا خبرة لهم بها ودون علم من أجل التعلم أو إحراز المال ،ويكون جزاء المريض الموت دون دية أو تعويض لأهله ،بل يدفعون مالاً للقاتل مقابل أتعاب القتل ، وتأتى النساء فى عيادات الأطباء لإجراء عمليات الإجهاض ؛ لقتل أولادهن خشية الفقر أو ضياع المال أو الجمال أو لعدم تحمل المسؤولية أو للانفصال بين الزوجين أو . . . أو . . . إلخ ،وهن لا يدرين كبر ما يرتكبن من ذنب لا يغتفر ويشترك معهن الطبيب الجاهل الظالم لنفسه ولغيره .

ويأتى الأعداء إلى المنافقين ليعقدوا معهم صفقات القتل والغدر والجريمة النكراء، فيدلونهم على مكان إخوانهم المسلمين ووقت تواجدهم ؛ فيسهل على العدو رصدهم وقتلهم بأشبع صور القتل فليس حيث لا يكتفى برميهم بالرصاص، بل بالقنابل التى تدمر أحياءً بكاملها ـ فحسبنا الله ونعم الوكيل ـ ، ويكفيهم ما سيكتب على وجوههم يوم القيامة (آيس من رحمة الله)، . ولنتدبر كيف يغتال المسلمون فى فلسطين من قبل اليهود الذين يتتبعون خروجهم ويدلهم عليهم منافقون وخونة من أهل فلسطين .

وهناك من الفتيات العاشقات للمطربين أو الممثلين ،واللاتى يقبلن على قتل أنفسهن للتعبير عن شدة الحب والتأثر لموت المطرب أو الممثل ، فمنهن من قذفت نفسها من ارتفاع أدوار عالية ، ومنهن من قتلت نفسها بالسم ، ومنهن من قتلت نفسها بالطلقات النارية فكان مصيرها نار جهنم .

ومن الفتيات اللاتى يقتلن أنفسهن لخيانة العشيق ، ومنهن من تقتل نفسها لرسوبها فى الامتحان ،وما أكثر الأمثلة للفتيات اللاتى قتلن أنفسهن ـ سفها بغير علم ـ ففقدت دنياها وآخرتها والعياذ بالله .

قال سيدنا محمد ﷺ : « **من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه ، فهو ينزل فى نار جهنم خالداً**

فيها أبداً » (١) .

ومن الأطباء من يقبل على قتل المريض الذى يأس من علاجه وكأنه حيوان تجارب، ومن الزوجات من يقتلن أزواجهن جزاء لزواجه بأخرى فاعتبرن الحق جريمة .

وكلها أمثلة ونماذج توضح درجة الظلم وعظم وكبر الجرم اللاحق بالنفس وبالغير ، فالمقتول ليس له رجعة للحياة ،فلا تصحيح للخطأ ولا ينفع الندم والتحسر .

اليمين الغموس :

قـال ﷺ : « **الكبائر : الإشراك باللـه ، وقتل النفس ، واليمين الغموس** » رواه البخارى (٢) .

وهو تعمد الكذب لأخذ حق الغير ، والحلف بالباطل ليقع المظلوم وغير المذنب فى العقاب ؛ فيحكم عليه ظلما نتيجة لليمين الغموس ؛وتسمى غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى النار لأنه ظلم غيره بكلمة كذب .

وقد توعد الله هؤلاء وجعل لهم عذابا أليما ، وحرمهم من النظر لوجهه الكريم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٧٧) ﴾ [آل عمران] .

وتوضح هذه الكبيرة من الذنوب الفرق بينها وبين الكذب الذى يرتكبه الإنسان فى مدارج الحديث ،والفرق بين ما يظلم الإنسان فيه غيره بغير ذنب ـ ظلما وبهتانا ـ وما يظلم الإنسان فيه نفسه.

فالكذب فى الحديث ربما يكون للتباهى أو التفاخر أو التمويه،أو التماس العذر من الناس أو للتضليل أو أغراض لا توقع الغير فى ظلم مباشر وإنما أثرها السيئ يأتى مباشرة على صاحبها ،قال سيدنا النبى ﷺ : « **وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** » (٣) .

والتساؤل الآن هل من الممكن للبنات أن يقعن فى كبيرة اليمين الغموس ؟ ألم تتفق بعض الفتيات علـى أخـرى أو أخريات ، وحلفـن يمينا أمـام إدارة المدرسة أو الجامعة

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٠٩ / ١٧٥) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٣ .

(٣) البخارى فى الأدب (٦٠٩٤) ، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٠٧ / ١٠٣) .

أو الأهل أن هذه الفتاة أو الفتيات قمن بأعمال ، ولم يقمن بها ، من أجل الإيقاع بهن فى الظلم أو العقاب ؟

ألم تحلف بعض الأخوات لأبويها وتشهد على إخوتها أو أحدهم ظلما ، فيقوم الوالد أو الوالدة بمعاقبة المظلوم بناءً على شهادة أحد إخوته عليه ظلما ؟

ألم تلجأ بعض الفتيات إلى الإيقاع بزميلاتهن أو جيرانهن مدفوعة بالحسد والحقد، لكون الزميلة أفضل منها أو أجمل منها وتريد أن تأخذ منها نعمتها،سواء كانت خطيبًا أو كان وضعًا إجتماعيًا أو مركزًا إداريًا ، أو درجة علمية فتلجأ إلى اليمين الكاذبة ؟

إنها مواقف يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ، ونكون على بصيرة بها، وبما يماثلها من مواقف وقضايا ترتكب فيها الكبائر .

لقد شهدت الخادمة على سيدتها بالرذيلة فما كان الزوج إلا طلاقها ، وشهدت جارة على جارتها ـ ظلما ـ فحكم عليها بالسجن والغرامة ، وشهدت الزميلة على زميلتها ظلما ،فما كان على إدارة المنشأة إلا طردها وإجبارها على دفع غرامة .

وشهدت الزميلة على زميلتها ظلما ففقدت صديقاتها وزميلاتها وحبهن واحترامهن لها .

فهذه الأمثلة توضح لماذا هى كبيرة،فكبر النتائج التى تقع على المظلوم جعلها كبيرة، وعدم استطاعته رد كيد الظالمين وحقدهم جعلها كبيرة .

ومما جعلها غموسًا ؛ أى تغمس صاحبها فى النار حيث أدى ذلك إلى ظلم صاحبتها لنفسها فى الآخرة ، فإذا خفى على الناس كيدها فى الدنيا وأفلحت خطتها الجهنمية ، فإن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو يعلم ما تخفى الصدور :
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة] .

شهادة الزور :

تعنى الشهادة بالباطل والكذب والافتراء على الغير ، وخطورتها وعظمها من الضرر الذى يمكن أن يقع على بريء أو مفترى عليه .

وهو ما يؤدى إلى الحكم عليه بالباطل ، وتحمله ذنب غيره والذى لم يكن له فيه ذنب ، فهذه من حقوق الناس المدنية والقانونية .

فكم من حق ضاع ، وكم من مجرم ازداد إجرامه وفحشه ، وكم من سخط وكره

واجهه برىء ، وكم من أحكام نفذت بالقتل أو القصاص من أبرياء ليس لهم ذنب إلا أن فردًا شهد عليهم زورًا وباطلاً ، فانتشر بذلك الظلم فى المجتمع ،وضاعت الحقوق وزادت الجرائم لعدم معاقبة المجرمين .

يقول الله تعالى فى سورة الحج : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ،وفى سورة الفرقان: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [٧٢] ، وقال ﷺ : « **من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار**» متفق عليه من حديث أم سلمة [١].

ويوضح الحديث ما يحدثه قول الزور على من أخذ حق غيره بحكم القاضى ولم يكن ذلك حقه ، فقد ظلمه فى الدنيا والآخرة بذلك ، فقول الزور يقع عاقبته السيئة على أربعة .

الأول: الشاهد : فهو فى النار إلا أن يتوب ويرد المظالم لأصحابها .

الثانى : الظالم : يأخذ حق غيره من مال أو عرض .

الثالث : المظلوم : أخذ حقه فى الدنيا وفقد نفسه أو ماله أو عرضه .

الرابع: المجتمع: بنشر الفساد والظلم بين الناس وعدم معاقبة المجرمين وانتشارهم .

كبيرة إدمان الخمر :

إدمان الخمر هو دوام شربه بحيث أصبح عادة لا يمكن الاستغناء عنها ، وهو ما يؤدى إلى الإضرار الشديد بكل أعضاء الجسم ولا سيما العقل . وهو ما يؤدى بدوره إلى الموت ، فهو كقتل النفس على علم بالجرم والخطأ والخطورة على الصحة والجسم بكامله .

فكيف يُكرِّم الله الإنسان بالعقل ،ثم يضيعه الإنسان باتباع شهواته والشيطان ،فما ميزته وصفته الإنسانية إذن ؟

لم يصبح يفكر ولا يمشى ولا يأكل ولا يعيش كما يعيش الصحيح من الناس ، ولم يكن مضطرًا إلى ذلك، فله إرادة وله قدرة وله عقل ضيعه ، فعليه إذن الجزاء فى الدنيا والآخرة . إلا أن يتوب فيندم ويقلع عن الشرب وكل ما يذكره به كالذهاب لأماكن الشرب الحرام ، وترك أصدقاء السوء ؛ وأخذ الدواء المصلح للجسد ، والإكثار من

---

(١) البخارى فى المظالم (٢٤٥٨)، ومسلم فى الأقضية (١٧١٣/ ٥) .

الصالحات ،وعدم أخذ غير الطيب وترك كل خبيث كالسجائر والطعام المشكوك فى أمره المستورد من الخارج أو الذى لا يعرف مكوناته بدقة .

فكم جاءت لحوم حيوانية غير طيبة وبيعت فى الأسواق ، وكم اشترى البعض الحلوى المصنعة بالكونياك والخمرة من الخارج دون علمهم بذلك ،وهذه أشياء يجب على المسلم الفطن أن يدركها ويتحراها فى حياته كلها .

وهناك محلات حلوى فى الدول العربية التى تصنع الجاتوهات ، وصنوف الحلوى بالشمبانيا والكونياك ، فيجب أن تتحرى الأخت المسلمة ذلك جيدا وتسأل قبل الشراء والطعام ،وهذا حذر مطلوب فليس كل ما يباع يؤكل وليس كل جميل حلالا أو طيبا .

فالأخوات الطيبات لا يخضن مع الخائضين ولا يمشين وراء التيار دون علم أو وعى.

وليتناصح الأخوات بذلك ولتبلغ بعضهن البعض ،فهذا ليس أمرا سهلا بل هو مرتبط بالكبائر فلا يحُمنً حول الحمى .

واللاتى أسرفن على أنفسهن ، فليسرعنً بالتوبة إلى الله والندم على ما فعلن ، وعدم الرجوع إلى هذا الأمر مرة أخرى .

ورحم الله وبارك فى الأخوات اللاتى امتنعن عن دخول فنادق يقدم فيها الخمر ، وركوب طائرات يقدم فيها الخمر ، أو الجلوس فى أماكن مثل المطاعم أو الكافتيريات التى يجلس عليها المدمنون ،ويقدم لهم ما يطلبون من شراب خمر أو ما شابهه .

قاطع الرحم :

قال تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [محمد] .

وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** » رواه البخارى [1].

وقال ﷺ: « **أنا الرحمن وهى الرحم، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**» رواه الترمذى وقال : صحيح [2] .

جعل الإسلام قطع الرحم مع الفساد فى الأرض ، وجعل عاقبتهم الخروج من رحمة الله ، وجعل الصلة للأرحام من علامات الإيمان بالله تعالى ، وكانت الجائزة

(١) البخارى فى الأدب (٦١٣٨) .

(٢) الترمذى فى البر والصلة (١٩٠٧) ، وقال : « صحيح » .

للواصل هى صلة الله له ومعيته .

وعاقبة قاطع الرحم بعد الله تعالى عنه ومقاطعته إياه ، وهى من أساسيات قيام المجتمعات ، فجعل بر الوالدين ، وهو اهتمام بالأسرة الصغيرة ـ لبنة المجتمع ـ ، ثم صلة الأقارب والأرحام وهى الأسرة الأكبر ، والتى باجتماعها يتكون المجتمع وهكذا تنزل رحمة الله وصلته لعباده .

ومع زيادة الالتزامات لدى الناس فى هذا الزمان ، وبعد أماكن إقامة الأقارب ، وزيادة عدد ساعات العمل لدى الآباء ، ومشاركة الأمهات فى العمل خارج المنزل ، وزيادة عدد ساعات الدراسة فى جميع المراحل العمرية ، وغلاء أسعار التنقل بين الأماكن وبعضها خاصة بين الأقاليم وبعضها ، وسفر عائل الأسرة للعمل فى الخارج وزيادة حب النفس ،وتقوقع الأسر داخل نفسها ، وتفضيل البعض الصداقة الخارجية عن الأقارب ، وأمثلة كثيرة من هذا القبيل وما يشابهها وما يتعارض معها .

المهم أن هناك عوائق كثيرة تقف مانعًا دون صلة الرحم ، ومثل هذه الظروف لا يجب بحال من الأحوال أن تعوق عن طاعة الله وطلب رحمته وصلته ، والأمر ـ على الرغم من وجود عوائق كثيرة ـ ربما تساعد على قطع الرحم ، إلا أن المؤمنة تجد وسائل مساعدة كثيرة أخرى تساعدها على الصلة طالما أخلصت نيتها لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ولم تبغ من وراء ذلك المصلحة المادية أولاً وأخيرًا ، وإنما كان هدفها هو صلة الله ـ عز وجل ـ وأى فضل لها بعد ذلك .

ومن هذه الوسائل المساعدة :

ـ لكل عائلة مستويات اجتماعية واقتصادية متعددة ؛فمنها المتعلم والمثقف والغنى ، ومنها الجاهل والفقير والمريض وغير ذلك ، فعلى المسلمة الصالحة أن يكون عندها معرفة بأحوال أقاربها من قريب ومن بعيد ، سواء فى المكان أو فى درجة القرابة أو فى المستويات المختلفة اجتماعية أو اقتصادية أو علمية أو دينية .

ومن خلال هذه المعرفة يتم الانطلاق ، فتعطى من هم أقل منها ، وتساعد من هم أضعف منها ، وتقدم الخير لمن يطلب منها ، ولا تبخل بوقت أو بمال أو بصحة إذا طلب منها ، أو إذا وجدت هى أنها قادرة على العمل فى اتجاه معين ولا تنتظر مقابلاً ، فلا داعى لممارسة العادات القديمة المتوارثة فى العطاء المتبادل الذى يتم فى صورة سداد ديون وليس عملاً صالحًا ، والذى كانت الأسر تضطر إلى الاقتراض لسد ديونها فى

المناسبات المختلفة (كالحنة ، والعيد ، والزواج) .

فتحاول الأخت المسلمة جاهدة أن تلغى هذه العادة فلا تنتظر أن يُرد لها مثل ما أعطت، ولا يدخل ضمن هذا السلوك عدم الأخذ فى الاعتبار المعاملة الحسنة من الغير ، فلا تتأخر برد جميل غيرها ولو بالدعاء إن لم تستطع بالمال أو غيره .

ـ مصادقة الصالحات اللاتى يذكرن الغير بحقوق الأقارب، ومثل هذه النماذج من الأخوات تكون عونا على الصلة وحسن المعاملة بين الأقارب وبعضهم .

ـ تحول مفهوم الجميل بين الأقارب إلى الحقوق بين الأقارب .

ـ تنظيم الوقت وجعل حصة للأقارب فى الاتصال بهم سواء عبر التليفون ، أو الزيارة أو بإرسال هدية أو سلام، أو دعاء بظهر الغيب أو زيارة مريض من الأقارب ، وحصة الصلة قد تكون يومية من خلال الدعاء ، أو أسبوعية من خلال الاتصال عبر الهاتف ، أو شهرية من خلال الزيارة ، أو سنوية فى حضور الأعياد والمناسبات العائلية التى يجب أن يلتف جميع أفراد العائلة حولها للمباركة أو للمواساة .

ـ ابتكار طرق جديدة لحصر العائلة وفروعها ، والجديد فيها من خلال عمل شجرة للعائلة وإضافة العناوين والأرقام التلفيونية ومجال ومكان العمل إذا لزم الأمر .

ـ صلة الأقارب الذين هجرهم أقاربهم لكبر سنهم أو لسوء أخلاقهم ، أو لتكبرهم أو لبعد أماكن إقامتهم أو لغير ذلك ، فليس الواصل بالمكافئ ؛ يعنى الذى تصلينه إذا وصلك ولكن هو الذى تصلينه إذا قطعك .

السحر :

قال ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر»** (١).

والسحرُ : كل أمر يخفى سببه ، ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع، واعتبر الإسلام أن السحر من الكفر بالله عز وجل وأن الشياطين تعلمه للناس، قال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [١٠٢].

وربما ما يضل البعض أن يجد فيه فائدة ملموسة له هو فى لحظة معينة ، أو يشبع كرهه وحسده وحقده بأن يضر غيره بأساليب وطرق من السحر، والاقتناع به يخرج المسلم من إسلامه وإيمانه بالله؛ لأنه يقتنع أن الأمر يحدده السحر وليس قدر الله سبحانه وتعالى.

---

(١) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢) .

وتظهر قضية استخدام السحر لتحقيق أغراض دنيوية فى مجتمع السيدات والبنات، وبعض دوافعهن لذلك هو الرغبة فى الزواج من شخص معين، أو غير محدد، أو تعطيل زواج بعض الفتيات أو الشبان، فليجأنً إلى السحرة من الرجال أو النساء بمثل هذه الأعمال المحرمة ،وهن لا يدرينً عظم ذنبهن بقيامهن بهذه الأعمال النكراء . والتى لا يغفرها الله إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحًا .

والغريب أن البعض قد يجد توافقا للأعمال مع ما يتمناه أو يطلبه من خير أو شر، فيزيد اقتناعه بها وبالشخص القائم عليها والمؤدى لها ، فلا يلجأ إلى الله بالدعاء أو الاستغفار أو التوبة ويخرج من النور إلى الظلمة ومن الظلمة إلى ظلمات بعضها فوق بعض .

وعلاج هذا الأمر ؛ بعدم الاعتقاد فيهم أوبهم ، وعدم الذهاب إلى السحرة ، أو ما يدل عليهم، وعدم تعلم علمهم، والندم والحسرة على ما فرطت فيه البنت فى حق الله من الاعتقاد بالسحر والسحرة ،أو التعامل معهم والعزم الأكيد على عدم الرجوع إلى مثل هذا الأمر من قريب أو بعيد .

شدة الارتباط بالله بالذكر والدعاء والاستغفار ، والتحصن بآيات القرآن الكريم وبأدعية الرسول ﷺ واتباع سنته فى التطهر والطهور، وحسن الخلق وتعلم العلم النافع، ومصادقة البنات والأخوات الصالحات اللاتى يدلون على فعل الخيرات وترك المنكرات .

ـ الإيمان بالقضاء والقدر وترسيخه فى قلب البنات ، فالمسلم إذا أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

ـ تجديد الإيمان بالله والاستعاذة بالله دائما من الشيطان الرجيم عند نغزه وهمزه ولمزه .

الربا :

هو إقراض المال بفائدة وهو محرم شرعًا ؛ والربا هو الفائدة أو الربح الذى يأخذه المرابى من مدينه .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [٢٧٦] وهى تدل على بركة الأساليب الشرعية فى البيع والشراء وعدم نفع الربا لأى الأطراف المتعاملة به .

ويقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ

مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾ ، وفى سورة آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ [١٣٠] .

وقد خلط أصحاب النفوس الضعيفة والجهلاء بين البيع والربا : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

وعظم الإسلام من الربا حتى جعله يعادل سبعين إثما كبيرًا ، قال ﷺ : « الربا سبعون حوبًا أهونها كوقع الرجل على أمه »، وفى رواية: « أهونها كالذى ينكح أمه » (١) والحوب هو الإثم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين ، فأهدى لك شيئا فلا تأخذه فإنه ربا .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت .

وهذا من قوله ﷺ : « كل قرض جر نفعا فهو ربا » (٢) ، وقال ابن مسعود أيضا : من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهى سحت ، وتصديقه من قوله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها ،فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » (٣) .

رغم أن المعنى اللغوى للربا هو الزيادة إلا أنه ليست كل زيادة خيرًا ونماءً ؛ لأن الإسلام هو الدين القيم الذى يراعى كل الخير لكل الناس ، وليس لفئة دون أخرى حتى لو اضطرت الفئة الضعيفة للاستعانة بمن هم أقوى وأغنى منهم .

فهو يحارب تكاثر رأس المال مع فئة قليلة دون تعب أو عمل ، ويمنع استغلال أصحاب رؤوس المال للفقراء والمحتاجين سواء بفرض زيادة على المال المقترض ، أو بحصول المنفعة المادية بأى شكل للطرف القارض أو المعطى .

ورغم أن هذه الأمور ربما يدركها الكثير ، إلا أن أنظمة الدولة الاقتصادية والمالية ربما توقع المسلمين فى كبيرة الربا تحت مصطلحات المنفعة أو الربح أو الجائزة .

وقد تغلغل النظام اليهودى الاقتصادى داخل المجتمعات والدول الإسلامية من

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٨٧١) وقال : « إن الحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت » .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠) ، وضعفه الحافظ ابن حجر فى التلخيص الحبير (١٢٣٥) .

(٣) أحمد (٥/ ٢٦١) .

خلال التعامل فى البنوك الربوية فى شكل هيئة تقرض ،وتقترض بالربا بدلاً من شخص معين يقوم بهذه الطريقة الغير شرعية ، وهو ما أوعى البعض إلى اعتبار وجود نفع للعاملين وفتح أبواب رزق للعديد من الشخصيات العاملة فى قطاع البنوك وجعلوا الفوائد الربوية أرباحًا واختلط الأمر بينهما كما خلط الجاهلون بين البيع والربا .

وفى المقابل حارب أعداء الإسلام الشركات الإسلامية التى اشتغلت بتوظيف الأموال فى شكل شرعى ؛ للوقوف فى وجه الأنظمة غير الشرعية فى التعاملات المادية وكانت نتيجة هذه الحرب أن أصدرت الدول التى نشأت فيها هذه الشركات قرارات بغلقها وتصفية أموالها، مما أحدث ضرراً بالغا لأصحاب هذه الأموال وأصحاب هذه الشركات، وهو ما أظهر هذه الشركات ـ كذبًا وظلما ـ بأنها كانت تعمل لمصالح شخصية لأصحاب إدارتها.

وحاول إعلام هذه الدول تشويه صورة رجل الدين المتعامل بالطرق الشرعية فى المعاملات المالية ، وأظهرت هذه الفئة المحافظة فى صورة ظالمة ومتعدية على حقوق الغير ومضيعة لأموال الناس وتتعامل بالباطل، وذلك من أجل إظهار أن الطريق الوحيد أمام الناس هو التعامل مع البنوك الموجودة فى الدولة وأنها أكثر أمانا وربحا مضمونا للمتعاملين معها.

فتضمن الدولة السيطرة على رأس مال الناس، وتستمر فى تبعيتها الاقتصادية للدول المهيمنة على مقدرات الشعوب ، وتضمن استمرار وجودها فى السلطة ، وعدم نمو أطراف أخرى فى أى قطاع من قطاعات الدولة وخاصة الاقتصادية .

وأمام هذه الهجمة الشرسة على الأنظمة الإسلامية والمسلمين الراغبين فى الحفاظ على دينهم ودنياهم، فإن الأخوات ربما يجدن طرقا عديدة ومخارج من هذه الفتن ومنها:

- سحب أموالهن من البنوك الربوية فوراً ، وإيداعها فى بنوك إسلامية تراعى التعاملات الإسلامية الشرعية .

- تنقية أموالهن من الربا الذى حصلن عليه، فلا تأخذه إلى مالها بل تأخذ رأس المال الأصلى .

- إذا استطاعت مشاركة غيرها فى عمل تجارى ،فقد نفعت نفسها وغيرها من المسلمين وعمت الفائدة ـ إن شاء الله ـ ، وهو أمر يحتاج إلى حسن اختيار الشركاء الأمناء المخلصين .

وفى حالة أن تكون الأخت المسلمة هى التى تقرض غيرها مالاً ، فإنها يجب أن

تراعى عدم أخذ أية منفعة مادية أو معنوية من المقترض فى شكل هدية ،أو وظيفة أو طعام، أو كثرة الثناء والمدح وهى ترغب فيه،وخاصة أمام الناس مما يحول العمل الصالح إلى رياء وسمعة ، أو إحداث ضرر للمقترض بذله أو إهانته أو كثرة المن عليه فتبطل العمل دنيا ودينا .

أكل مال اليتيم وظلمه :

قال تعالى فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾.

وقال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الإسراء :٣٤].

وقال تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٦] .

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره :

أحدها : إنه الأخذ على وجه القرض .

الثانى : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف .

الثالث : إنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا .

الرابع : إنه الأخذ عند الضرورة .

الإسلام دين ودولة ، يراعى الفئات الضعيفة ويرعاها إلى أن تقوى ، ويحارب كل من يستغل الضعيف باعتبار هذا الاستغلال السيئ من الكبائر التى تستوجب على المسلم التوبة منها والندم عليها .

فاليتيم الذى فقد أمه أو أباه أو هما معا، ولم يبلغ الحلم إذا كان ذا مال، فعلى من يكفله أن يراعى تربيته تربية حسنة وأن يحافظ على ماله ويثمره حتى يكبر ، أما إذا لم يكن ذا مال ؛ فإن الإسلام يرفع من شأن كافله وراعيه والقائم على مصالحه . يقول الرسول ﷺ : « **من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى، أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر** » (١) ، وقال ﷺ : « **من مسح رأس يتيم**

---

(١) أحمد (٤/ ٣٤٤) ، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٣٠٠) (٦٧٠) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦٤) : « هو حسن الإسناد » .

لا يمسحه إلا لله ،كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده ، كنت أنا وهو هكذا فى الجنة » رواه أحمد (١) .

ربما يعيش فى بيتنا يتيم ابن خال أو ابن عم أو ابن أخ أو أخت ، وربما يعيش فى بيت جارنا يتيم، أو فى بيت أقاربنا أو صديقاتنا .

فلنعرف الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التى تعظم من أمره ؛ للحفاظ عليه وعلى ماله ونفسه حتى يكبر ولنبلغها لغيرنا ، ونكون قدوة حسنة فى تعاملنا مع اليتيم ، ونعلم أنفسنا وغيرنا كيف نرد المظالم الخاصة باليتيم إذا كانت عن غير عمد ، أو كانت بجهل ، وكيف نتوب من ذنوبنا إذا كانت على علم برد المظالم والاستغفار والندم .

وكيف نعلم أبناءنا حسن معاملة اليتيم إذا كان زميلا فى المدرسة أو جارا أو صديقًا أو قريبا .

الفرار من الزحف :

وتعنى الفرار من مواجهة العدو عند اللقاء وعند الحرب .

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** (١٦) ﴾ .

والمتحرف لقتال هو من يفر من العدو لخدعة حربية ، والمتحيز لفئة هو من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم .

لعلنا ندرك عظم هذا الذنب إذا كانت الأمة فى حرب وقتال مع العدو ،وكانت وظيفة الجند والجيش هى الدفاع عن الوطن والمسلمين ، فماذا يقع عليهما إذا فرط الجيش فى حمل أمانتة ؟

إن النتيجة لا تعنى فردًا أوجهة أو قطاعًا ،ولا تعنى هزيمة جيش ولكن الأمر أكبر ؛ إنه هزيمة أمة بكاملها .

إن الإسلام عندما عظم الذنوب ،كان ذلك للحفاظ على الحقوق وتحمل المسؤولية والأمانة عن النفس وعن الآخرين .

وهذه القيمة ربما لا توجد فى الديانات الأخرى ، ولا تأخذ بمثل هذا الجرم

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥٠ ، ٢٦٥) ، وضعف إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١١/ ١٥١) عند شرح حديث (٦٣٥٦) .

أو الذنب، فالأمور فى الأنظمة غير الإسلامية تتحكم فيها الأهواء والمصالح الشخصية والقوانين الوضعية .

ويمكن أن نقرب هذه الأمور بحوادث واقعية حديثة تتعلق بالحرب على المسلمين .

أذكر أن المجندات فى الجيش الأمريكى اللاتى أجبرن على الخدمة فى حرب العراق ، قد وجدن أن هذه الحرب ليست منطقية وأن الموت فى سبيل الظلم يأباه ذو عقل ولب .

فأرادت الكثيرات منهن الفرار من الجيش، ولكن هذا الأمر عاقبته محاكمات عسكرية هن فى غنى عنها ، فتحولن إلى حيلة هى أعظم وأكبر من الذنب ،حيث لجأت بعضهن بالحمل من الجنود الأمريكان ـ سفاحًا وزنا ـ حتى يكون ذلك ذريعة لسفرهن لبلادهن وتأجيل خدمة الجيش بشكل قانونى .

وفقد الجيش العديد من عناصره بالفرار منه بطرق أخرى . ولجأت إدارة العدو إلى الاستعانة بجيش عراقى لإحراز مالم يستطع القيام به وخاصة فى (الفالوجة بالعراق) حيث استعصت عليهم دخولها حتى بعد رميها بالقذائف الثقيلة وقتل المئات من العراقيين .

وأعنى من هذه القصة أن عدم إحساس الفرد بعظم الإثم ،وعدم وجود الارتباط الدينى والتمسك بالعقيدة السليمة ، يضعف كثيرًا تمسك الفرد بالقوانين الوضعية .

ويذكر القرآن الكريم صفة من صفات الكافرين وهى التولى يوم الزحف فى سورة آل عمران : ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١١١) ﴾ .

وفى سورة الفتح : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٢٢)﴾ .

قذف المحصنات :

يقول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ .

وقال عز وجل فى سورة النور : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) ﴾ .

الإسلام يراعى حقوق الغير حتى ولو بالكلمة ، ويحافظ على عفة المؤمنات وسمعتهن ، حتى ولو كانت مملوكة أو جارية ، وكذلك الحال للمؤمنين ، وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** » (١) .

وقال ﷺ : « **من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » (٢) .

ويعظم الإسلام من قذف المحصنات ، وقد لعنه الله فى الدنيا والآخرة ، وعاقبه فى الدنيا إذا كان كاذبًا بالجلد وعدم تقبل شهادته، وفى الآخرة جعل له عذابًا عظيمًا.

لقد زادت هذه الفاحشة بانتشار الجهل وخاصة فى الأسواق ، وعلى صفحات المطبوعات وعلى شاشة الحاسبات التى سمحت بالمجال الواسع للحوار ونقل التهم والافتراءات على الغير وخاصة بين فئة الشباب ، وأصبحت سوق الفنانين سوقا خصبة للنيل منهم ، وخاصة لما يبدو على الكثير منهم من سلوكيات مرفوضة شرعا ، وخروج كثير عن الدين والأخلاق الكريمة ، وانتشار العُرى والاختلاط الحرام بين الجنسين ـ على الرغم ـ من أن الدين يأبى ذلك إلا أنه لا يحل القذف والسب والفحش فلا يقابل ذلك بذاك .

فلتحذر الشابات من الجلوس لمحادثة الشباب ،أو الشابات عبر الحاسبات الآلية والإنترنت ومجاراتهم فى التهم والفاحشة ، وتبادل الأحاديث الغير قائمة على دليل والتى لاتثبت الفاحشة أو الزنا على متهميها .

وعلى الأخوات أن ينصحن غيرهن بعدم الخوض فى هذه الكبيرة فعقابها شديد فى الدنيا والآخرة .

الزنا :

وهو ارتكاب الفاحشة بالمعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة فى غير الطريق الحلال أو الشرعى وهو الزواج .

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾ .

وكان عقاب الزانى والزانية أليمًا فى الدنيا والآخرة ؛ يقول تعالى فى سورة النور :

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧٧) ، ومسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٨/ ٥٠) .

(٢) البخارى فى الرقاق (٦٤٧٤) .

﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [٣] وفى سورة النور أيضًا يقول عز وجل : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [٢] . وقال ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... ». رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة (١).

ويضاعف الله العذاب يوم القيامة للزانى إذا لم يتب فى الدنيا ؛ يقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ ﴾.

ولعظم وكبر الذنب وضعه الله بعد الشرك وقتل النفس فى الآية :

ومن يعش فى عصرنا الحالى فى القرن الواحد والعشرين، يجد دعاة الحرية وحقوق الإنسان ممن لا يدينون بالإسلام يتخبطون فى اتجاهاتهم وآرائهم وقوانينهم وشرعهم الوضعى الوضيع ، فهم يعطون الحق فى الممارسات الجنسية غير الشرعية ، وفى نفس الوقت ينادون بحقوق الإنسان !

فأين حق الطفل الذى يولد ولا يعرف أبويه أو أحدهما ويربى داخل مؤسسات الدولة بأمهات بديلة لا يعرفن الحب والعطف والانتماء ؟

وأين حقوق المرأة على الرجل الذى ارتكب معها فاحشة الزنا؟ إنها علاقات حيوانية وضيعة ممجوجة لا ترتفع بالإنسان إلى إنسانيته التى كرمها الله بها .

إن دعاة الحرية والحقوق من المزورين الغافلين الضالين - يرجعون بالمرأة إلى عصور الجاهلية الأولى؛ لتفقد كرامتها وحريتها وحقوقها التى كفلها لها الإسلام .

والعجيب كل العجب أن الدول الإسلامية تلهث وراء هذه المواثيق الدولية وتسارع بالتوقيع على بنودها بالموافقة على التطبيق، وأعنى بالدول - الحكومات الفاسدة الطاغية - التى تحكم تحت اسم الديمقراطية وتخفى وراءها الحكم المتسلط وقهر الشعوب .

وتكرس هذه الدول كل قطاعاتها التابعة لها لخدمة هؤلاء الضالين المضلين وتنفذ القوانين ،فتضمن البقاء وتضمن التمويل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٧٧٢) ، ومسلم فى الإيمان (٥٧/ ١٠٠) .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

لقد حفظ الله تعالى المجتمع وأعطى حقوق كل فرد منه بما يكفل تكوين نظام كامل متكامل قيم وقوى ، يضمن التعمير والبناء على أسس شرعية سليمة لتكوين الأسرة والحفاظ عليها .

فأمر بعدم الاقتراب من الزنا؛ فإن بداياته ربما تكون نظرة،وربما تكون رائحة عطرة، وربما تكون ملابس كاسية عارية ،وربما تكون الخضوع بالقول ، وربما تكون تبرجًا بالزينة واللباس ، وربما تكون بالاختلاط غير الشرعى ، بالملامسة والحديث عن قرب والعيش داخل أماكن لا يأمن فيها الشاب أو الشابة على نفسيهما .

وليس الإعلام العربى ببعيد ، فقد اخترعوا أساليب وبرامج تحرض وتحس وتنشر الزنا بين الشباب دون مراعاة للقيم الإسلامية أو التقاليد والأعراف الاجتماعية، فظهرت برامج تصور الشباب والشابات يعيشون معًا فى شقق مغلقة، ويقضون أربعًا وعشرين ساعة يوميًا على الهواء مباشرة ليراهم من يدخل على القناة ومن يهوى الأساليب الإعلامية الجديدة ،واستخدام العرب للتكنولوجيا الحديثة ،إنها للأسف أداة هدم وليست أداة بناءٍ إذا ما كانت تحت سيطرة الفاسدين المضلين .

فكم أحدثوا من فساد ورذيلة ! وكم اقتنع بها من فئة الشباب !

وكم من الشباب الذين نسوا ما نشؤوا عليه من قيم .

إنهم كثيرون وخاصة من لم يتلق تعليما دينيًا يقيه مخاطر هذا التخلف ، ومن يكثر من مشاهدة هذه النوعية من البرامج ، ومن أصيب بالاغتراب الثقافى فى إطار كثرة ما يشاهده من برامج أجنبية ورذائل وفواحش فى القول والفعل ، ومن يتركه والداه يستخدم وسائل الإعلام بلا قيد ولا شرط ولا رقيب .

إنهم من صغار الشباب الذين لديهم الشهوة الجنسية والتعطش لها ويريدون معرفة المزيد ، منهم من كبار الشباب الذين لا يستطيعون الزواج لعدم القدرة المادية على تحمل أعباء الزواج ومنهم من وصل إلى سن العنوسة فلا يحب إلا أن يشاهد ويسمع القليل أو الكثير فقد فات قطار الزواج .

وماذا على الفتيات أن يعملن فى ظل هذا الجو المليء بالفواحش ما ظهر منها وما بطن ؟

إن الحل فيما سبق من سطور هو أن عليها أن تأخذ بعكس هذه الأمور وأن تتفقه فى آيات الله وتعيى جيداً معنى عدم الاقتراب فهى لافتة تفيد الحذر الشديد والبعد عن كل ما يقرب إلى هذه الفاحشة سواء كان فى صورة أو كتاب أو محطة تليفزيون، أو موقع على الإنترنت أو تليفون محمول ، أو صديقة سوء ، أو موضة الملابس أو أسلوب تعليم ، أو أسلوب وقوانين عمل والتى تمنع الفتاة من الحشمة والحجاب .

إن هذه الكبيرة يعلمها جيدا أعداء الإسلام والمسلمين ، ويعلمون كيف أصبحوا وأصبحت مجتمعاتهم فى طور السقوط والانهيار بسببها فهم يريدون أن نسقط مثلهم ، وأن نتبع ملتهم حتى يرضوا عنا . فيصدرون لنا القوانين ، وأساليب الحياة ، والتكنولوجيا الحديثة فى الاتصال وكلها تخدم تنمية وتطوير من - وجهة نظرهم - وتغيير القيم الإسلامية إلى قيم رذيلة تساعد على التدهور والانحلال ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

الفصل الثالث

تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق

[فى حق الله ـ فى حق الناس]

١ـ الذنوب التى فى حق الله :

وهى ما تتعلق بارتكاب معاصٍ فيما بين العبد وربه .

ومن هذه الذنوب ما يتعلق بأداء الفروض وسلامتها والمحافظة عليها وعدم تركها ، أو تأخيرها أو إنقاصها أو التثاقل فى أدائها ، ويمكن تفصيل بعضها وخاصة ما يتصل بالصلاة والزكاة والحج .

ومن الذنوب بين العبد وربه ما يتصل بالكذب على الله ورسوله ، والتكذيب بالقدر واليأس والقنوط من رحمة الله . وهو ما سيتم عرضها بعد الفروض .

ـ الصلاة :

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، فطلب الله من المؤمنين المحافظة على أدائها فى أوقاتها ، وكمال أدائها ، والخشوع فيها ، واتباع سنة الرسول ﷺ فى آدائها .

وعظم الإسلام من تركها إلى درجة الكفر بالله، وجعلها أول شىء يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وجعل العذاب الشديد لمن يسهو عن صلاته، ويحشر تاركها مع الظلمة يوم القيامة، واعتبر الرسول ﷺ من لا يتمها سارقًا وأشد الناس سرقة، وجعل من يؤخرها منافقًا.

يقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾.

وجعل الله تعالى إضاعة الصلاة مفتاحا لاتباع الشهوات يقول تعالى فى سورة مريم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [٦٠] .

ويلقون غيا ؛ أى عذابًا سببه الغى والضلالة والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد .

ويقول الله تعالى فى سورة الماعون : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾.

وهم الذين يؤخرون الصلاة، ولا يحافظون على أوقاتها، فعقابهم الويل والعذاب الشديد.

ولأن الدنيا دار عمل والآخرة دار للجزاء ،فإن من لم يسجد ويصلّ فى الدنيا لجهل أو تقصير أو اتباع هوى أو غيره من الأسباب ، فإنه سيأتى يوم القيامة فيدعى للسجود فلا يستطيع .

يقول تعالى فى سورة القلم : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) ﴾ .

ومن أحاديث الرسول ﷺ ما يعظم من ترك الصلاة ، أو نقصانها أو عدم المحافظة عليها، أو عدم إتمامها ، أو تأخيرها ، أو التثاقل فى آدائها يقول الرسول ﷺ :

« **بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة** » (١) .

« **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر** » (٢) .

« **من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ،ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة ،وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف** » (٣) .

« **أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته** » ، قيل : وكيف يسرق من صلاته ، قال : « **لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها** » رواه أحمد والحاكم من حديث أبى قتادة (٤) .

« **تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان ، قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا** » (٥) .

---

(١) مسلم فى الإيمان (٨٢/ ١٣٤) .

(٢) أحمد (٢/ ٢٩٠) وقال الشيخ شاكر (٧٨٨٩) : « إسناده صحيح » ، وأبو داود فى الصلاة (٨٦٤) ، والترمذى فى الصلاة (٤١٣) ، وقال : « حسن غريب » ،والنسائى فى الصلاة (٤٦٦) ، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٤٢٥) ، وصححه الألبانى .

(٣) أحمد (٢/ ١٦٩) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٩٥) : « رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، ورجال أحمد ثقات » وقال الشيخ شاكر (٦٥٧٦) : « إسناده صحيح » .

(٤) أحمد (٣/ ٥٦) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ١٢٣) : « فيه على بن زيد وهو مختلف فى الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح »، وصححه الحاكم فى المستدرك (١/ ٢٢٩) ، ووافقه الذهبى .

(٥) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٢/ ١٩٥) .

« إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ؛ يعنى العشاء والفجر ، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا » رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة [(١)].

مسائل فى الصلاة :

- جاء وقت الأذان والصلاة وأنا منهمكة فى عمل المطبخ ، فى كتابة قصة ، فى مكالمة هاتفية طويلة ، فى مذاكرة ليلة الامتحان ، فى زيارة أقاربى ، فى نزهة مع الصديقات والأسرة، نائمة، أشاهد برنامجًا تليفزيونيًا مضلا، فى درس علمى ، فى. . . ، فى . . . ، فى . . . إلخ.

أستكمل ما أنا فيه من عمل أو حال أو مقام ، أم أسرع إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف ؟!

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء] .

هل إذا جاء ضيف وأنت فى المطبخ هل ستستمرين فى مطبخك ؟ هل إذا جاءت مكالمة تليفونية وأنت مشغولة بكتابة القصة هل ستتركينها ؟ إذا انقطع خط التليفون أثناء الحديث هل ستخسرين كثيراً ؟ هل تضمنى أن يأتى ما ذاكرتيه ليلة الامتحان غدا فى ورقة الامتحان ؟!

- كلما دخلت فى الصلاة كل أمور الدنيا تدور بذهنى ولا أدرى هل صليت ثلاثًا ، أم أربع ركعات ؟

خرجت من الذين هم فى صلاتهم خاشعون . وإلا عليك بـ : الله أكبر من كل أمور الدنيا ، الدخول فى الصلاة بعد تهدئة المكان شكلا ومضمونا ، ترك الواجبات بشكل منظم لحين الرجوع إليها بعد الصلاة ، والدخول فى الصلاة بالقلب وجعله بداية الخشوع ، ثم تفقه الآيات وتهدئة النفس وحسن نطق الكلمات ، وإعطاء الآيات حقها من التدبر والتفكير ، استشعار الوقوف أمام الله ، تطهير النفس والبدن والمكان .

قمنا برحلة وقضينا يومًا كاملاً بدون صلاة ، ولكننى أديتها بعد رجوعى إلى المنزل وأنا منهكة القوى لا أدرى ما أقول ، ولا أدرك كم صليت من الركعات ؟

تذكرى من خلفوا من بعدهم خلفا أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . ولكن

---

(١) البخارى فى الأذان (٦٥٧) ، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١/ ٢٥٢) .

رحمة الله واسعة لمن تاب وآمن وعمل صالحًا .

ـ أعرف مواعيد البرامج التليفزيونية جيدًا ، وأعرف مواعيد الحضور والانصراف من العمل ، وأعرف مواعيد الحصص الدراسية ،ولا أعرف مواعيد الصلاة بل أؤديها وقت تذكرها ؟

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون] .

ـ أنا أسرع واحدة تصلى فى البيت فقراءتى سريعة وحركاتى سريعة وهو ما يجعلنى أتمها أسرع من أخواتى وأهل بيتى !تذكرى قول الرسول ﷺ : « **أسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته** » [1] .

ـ أنا أعرف أن وقت الصلاة ممتد إلى وقت الصلاة التالية لها، لذلك فإنى أؤخر الصلاة حتى أصلى أكثر من صلاة بوضوء واحد ؟ تذكرى قوله ﷺ « **إن تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعًا** » [2] .

ـ أصلى كل الصلوات فى مواعيدها إلا صلاة الفجر لا أستطيع أن أستيقظ فى الميعاد.

قال ﷺ : «**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ؛ يعنى العشاء والفجر**»[3] .

إن فى الجسم ساعة بيولوجية إذا ضبطها صاحبها ستأتمر بأمرة؛ فإذا قلت فى نفسك: سأصحو اليوم لصلاة الفجر الساعة (. .) يعنى بعد حوالى (. .) ساعة إن شاء الله ، فإن ذلك يعينك على الاستيقاظ ، مع وجود منبهات صناعية وساعات اتصالية ؛أعنى بها الهاتف المحمول مع وجود رنات الهاتف بين أصحاب الخير للتذكير بالصلاة ،كذلك ينفع النوم بعد صلاة العشاء بوقت قصير فى سهولة الاستيقاظ على صلاة الفجر .

ـ الزكاة :

يعظم الإسلام من شأن الزكاة ـ كركن أساسى من أركان الإسلام ـ وهى كما كتبت على المسلمين كتبت على أهل الكتاب من قبلهم .

وإذا كانت الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، فإن الزكاة أمر الله ـ عز وجل ـ بها مقرونة فى معظم الآيات المذكور فيها الصلاة بها.

وعظم الرسول ﷺ من تركها ،فكان تاركها من أول الثلاثة الذين يدخلون النار يوم القيامة .

(١ ـ ٣) سبق تخريجها ص ٢٠٠ .

وعظم من شأنها الصحابة حتى حارب أبو بكر الصديق الممتنعين عن آداء هذه الفريضة؛ فهى حق الله على العباد وليس للعباد حق فيها ، وحددها الشرع بقيم مقررة وصنفها ، فجعل زكاة المال وزكاة الزروع وزكاة الحلى وغيرها ، والذين لايؤدونها هم البخلاء فى الدنيا وحطب النار فى الآخرة .

يقول الله - عز وجل - فى سورة آل عمران : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وجعل الله لهم الويل والعذاب الشديد ، يقول تعالى فى سورة فصلت : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ⁽٦⁾ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت:٧] فوصف الذين لا يؤتون الزكاة بالمشركين، ووصف تعالى فى سورة المائدة الذين يؤتونها بالمؤمنين: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ⁽٥٥⁾ ﴾ وجعل من يؤديها له الأجر والثواب، يقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ⁽٢٧٧⁾ ﴾ .

ووسعهم برحمته ،يقول تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ⁽١٥٦⁾ ﴾ .

وجعل أموال الصدقة تطهيراً للنفس وتزكية لها،يقول تعالى فى سورة التوبة :﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [١٠٣] ، وفى سورة فاطر : ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾ [١٨] .

وأن الصدق والتقوى للمؤمن لا يأتى إلا بتجمع أصناف البر التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ⁽١٧٧⁾﴾ [البقرة] .

وكما كتب الله الزكاة على المسلمين كتبها على من قبلهم فقد كانت فريضة دعا إليها الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ ؛ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى ،يقول تعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

وكانوا لنا عابدين (٧٣) ﴾ ، وفى سورة البينة : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ ، وفى سورة النمل : ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) ﴾ .

ويقرن الله ـ عز وجل ـ هذه الفريضة بطاعة الرسول،يقول تعالى فى سورة النور: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) ﴾ .

وتختلف مفاهيم المنفعة والمكسب بين المؤمن وغير المؤمن وفى الدنيا والآخرة ، يقول تعالى فى سورة الروم : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) ﴾ .

ويوضح اختلاف المفهوم حديث الرسول ﷺ، قال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال: « **هم الأخسرون ورب الكعبة** » فقلت : ومن هم قال : « **الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ،كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس** » (١) .

وقال ﷺ : « **من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ،مثّل له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أى بشدقيه) ثم يقول:أنا مالك أنا كنزك** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠](٢).

وهذه موعظة من كتاب الكبائر جمعتها بجمل متفرقة .

قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم !

إنما فى غد ثبورهم ـ ما نفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم ،إذا لقيهم الفقير لقى الأذى ، فإن طلب منهم شيئا طار منهم لهب الغضب كالجذا

ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوذ ذا .

---

(١) البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٣٨) ، ومسلم فى الزكاة (٩٩٠/ ٣٠) .

(٢) البخارى فى الزكاة (١٤٠٣) .

ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا .

تجارب أم واعية :

ـ أعدت الأم ثلاثة صناديق وعلقتها على الحائط كما تعلق النتيجة ، وكتبت على واحدٍ صندوق الحج ، وكتبت على الثانى صندوق الزكاة ، وكتبت على الثالث صندوق فسحةَ الصيف ، فأخبرت أولادها أن هذه الصناديق ستفتح فى نهاية العام الدراسى ، وأن على كل فرد أن يضع فى الصندوق الذى يرغب فيه ولا يخبر أحدا بما يفعل ، والأفضل ألا تعرف شماله ما وضعت يمينه ،وفى الميعاد المحدد فتحت الصناديق الثلاثة ، فوجدت الأم أن صندوق الزكاة كان أكثر الصناديق مالا ، فحمدت ربها وتأكدت أن درس الزكاة قد أثمر وجاءت بشائره .

ـ ادخر كل ابن فى المنزل بعض ماله الذى يحصل عليه كعدية فى العيدين ، أو كهدية من أحد الأقارب ولم يستفد من هذا المال وجاء عليه العام بعد العام ،فعلمت الأم أبناءها كيف يعطون حق الله فى هذا المال ، وبدأت تأخذ اثنين ونصف على كل مائة جنيه من كل ابن ،وأخبرتهم أنهم يجب عليهم استخدام المال فى التجارة حتى لا تأكله الصدقة فينفعوا أنفسهم ويعطوا حق الله وينفعوا غيرهم .

ـ طبقت الأم بعض المسائل الرياضية التى تحتاج إلى ضرب وقسمة وتوزيع قسمة على أعداد من الناس أثناء تدريسها مادة الرياضيات لأبنائها،فدمجت علم الرياضيات بعلم الفقه وسهلت على الأبناء تقبل الأفكار والعلوم معًا .

ـ اشترك الأبناء فى توزيع حصص الزكاة،ووضعها فى أظرف،وكتابة وإحصاء أصحاب المال،واشترك البعض فى توصيل الأمانات،دون تكليفهم عناء التنقل ومشقة السؤال .

ـ الصوم :

فرض الله الصيام على المسلمين كما فرضه على الذين من قبلهم من أتباع الأنبياء، والصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : « **الصوم نصف الصبر** » (١) ، وبمقتضى قوله ﷺ : « **الصبر نصف الإيمان** » (٢) .

وجعل الله تعالى كل الفروض والأركان ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فقد ميزه بخاصية النسبة إلى الله تعالى قال ﷺ فيما حكاه عن ربه :«كل

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٠) .

(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر فى أول كتاب الإيمان وقال : « أثر وصله الطبرانى بسند صحيح » ولا يثبت رفعه » .

عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » [١] .

وقال الله تعالى فى سورة الزمر : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿١٠﴾ ﴾ ، وقال ﷺ فى الصائم : « **لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى** » [٢] .

ولا يعفى من هذه الفريضة إلا من كان مريضا أو على سفر وتعفى منها المرأة الحامل إذا خافت على نفسها أو جنينها ،والحائض والنفساء والطفل الصغير على أن يتم قضاء هذه الأيام فى وقت الاستطاعة،وإفطار عن كل يوم مسكينا فى بعض الحالات التى يتعذر فيها القضاء .

وفى حالات أخرى يتطلب من المفطر القضاء والإطعام، وهى أمور فقهية مبينة للمسلم والمسلمة، يقول الله ـ عز وجل ـ فى سورة البقرة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٨٣﴾ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ .

والجلال وعظمة هذا الشهر العظيم ؛ أنزل القرآن الكريم فيه ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [١٨٥]، فقد أهدى الله رب العالمين للبشر أعظم وأجل هدية ، هداية لهم إلى يوم الدين .

ـ الحج :

حج البيت الحرام هو زيارة بيت الله ،والقيام بالمناسك كما علمنا رسول الله ﷺ ، وهو فرض على كل مسلم ومسلمة فى حالة توفر الاستطاعة ، وهى تشمل الزاد والراحلة ؛ وهو ما يعنى القدرة المادية على الإنفاق على تكاليف السفر والإقامة والقيام بالمناسك وهو حق لله على الناس .

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴿٩٧﴾ ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ما من أحدٍ لم يحج ، ولم يؤد زكاة ماله ، إلا سأل الرجعة عند الموت، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى:

---

(١) مسلم فى الصيام (١١٥١/ ١٦٤) .

(٢) البخارى فى الصوم (١٨٩٤) .

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون] .

وكثير من المسلمات يتساءلن عن الاستطاعة بتساؤلات عدة، فمنهن من تسأل هل تنتظر إلى أن تتزوج أم تحج؟ ، هل تنتظر الأم إلى إكمال تعليم أولادها أم تحج؟ ، هل تؤسس بيتها تأسيسًا فاخراً أم تحج ؟ هل تشترى سيارة لقضاء حوائجها أم تحج ؟ هل تعالج أمها أو أحد أقاربها أو أخواتها أم تحج ؟ هل تؤسس بيتا مسلما أم تحج ؟

أذكر هؤلاء بأن العمر لا يضمن لأحد والصحة لا يضمنها أحد ، والمال لا يضمن بقاءه أحد ، فهل تنتظر الأخت إلى أن يفنى مالها فى الإنفاق على الأمور الدنيوية التى لا تنتهى ، أم تنتظر إلى أن تشترى سيارة تضيع منها فى لحظة ، أم هل تنتظر إلى أن يتقدم بها العمر فلا تستطيع المشى والسعى فتلجأ إلى من يحملها ؟

لقد أسرعت الأخوات المؤمنات اللاتى يردن قضاء فروضهن بأداء فريضة الحج فبعضهن باعت سيارتها ،وأخريات استغنين عن بعض الذهب والحلى ، وأخريات وفرت من مصاريفها اليومية غير الضرورية إلى أن اكتمل مال الزاد والراحلة ، فهن لم يقصرن فى حسن النية والعزم الأكيد على آداء الفريضة .

أم اللاتى انتظرن وسوفن الفريضة فلا يضمن لهن أحد أداءها ـ ولكن رغم ذلك ـ، فإن إضاعة الأمانات لا بد أن تدركها جيدا الأخت المؤمنة التى تحافظ على أماناتها وترعاها .

فمن كان لديها أولاد صغار لا بد أن تطمئن عليهم فى أيدٍ أمينة ، ربما تقول البعض: كيف تحج ونترك أطفالها الصغار ، ولكن ربما تجد الجواب عند التفكير فى حالة حدوث مرض أو إصابة أو حادثة طريق ،فيمكث البعض ممن ابتلاهن الله فى المستشفى أكثر من شهر ، فمن يعول ويحافظ على الأولاد فى هذه الفترة ؟ هل ستخرج إليهم وتجدهم قد مرضوا وضاعوا وفشلوا و. . . إلخ إنما هم فتنة ، ويقاس على هذا المثل باقى متاع الدنيا ومتاع الغرور كالمال والوقت والعلم والزواج والوظيفة و . . . إلخ ، فكل هذه الأمور قد تضيع فى لحظة ولا تستطيع المسلمة استرجاعها وليس لديها إلا الندم على ما فات وعلى ما فرطت فى حق الله .

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ :

كذب على الله كثيرون، فقاموا بتحريف الكتب السماوية وحذف وإضافة وتغيير ما

يحلو لهم ، ولكن الله تعالى قد حفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين،يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر] .

ولكن هناك من يشتغل بوعظ الناس كما تزين له نفسه ويأمره هواه والشيطان ، حتى يأخذ منفعة دنيوية ولا يعنيه ما ينتظره يوم القيامة من عذاب وخزى وسواد الوجه، يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وقد فسر بعض العلماء الكذب على الله ورسوله بأنه كفر ،ولا ريب فى أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض :

قال ﷺ : « **من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** » رواه البخارى ومسلم(١) .

وهناك صنف من الناس شغله سن القوانين والتشريعات التى تحرم ما أحل الله ، وما أكثرها اليوم ،وتحلل ما حرمه الله تحت شعار العولمة والإصلاح والتقدم والرقى والديمقراطية والحرية والحقوق ، ربما لم يسنها المسلمون أنفسهم، ولكن الأدهى من ذلك والأمَرّ هو طاعة المفسدين فى الأرض والذين يسعون فى الأرض فسادًا ونحن لسنا ببعيدين عن هذه القوانين ، لقد فرضت علينا ـ رضينا أم أبينا ـ وما علينا الآن إلا أن ننكرها ونكذبها ونتمسك بدين الله وسنة رسوله ﷺ .

فهل إباحة الحرية الجنسية دون رابط حرية وتقدم وحقوق إنسانية، أم أسر وتخلف وحيوانية .

وهل نزع سلاح الدول الإسلامية وتركها فى يد اليهود وأعوانهم ،وضرب الدول المسلمة ، وحبس من يتعلم ثقافة الحرب والسلاح والدفاع عن الوطن، هل هذا سلام أم استسلام وهوان !

أين فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ؟ أصبح الآن مجرد التفكير فى الآية إرهابًا يجب محاربته من حكام الدول الإسلامية قبل أعدائهم فالحكام عليهم بشعوبهم . والأعداء عليهم جميعًا .

ولم يكتفِ الحكام والطغاة باستخدام القوة فى تطبيق تشريعات العدو ، ولكنهم يرغمون ويستخدمون بعض رجال الدين لترويج أفكار الكفرة والمنافقين والأعداء ،

---

(١) البخارى فى العلم (١٠٧) ، ومسلم فى المقدمة (٣/٣) .

فيكذبون على الله ـ مضطرين ،أو متعمدين ، أو مرتشين .

فبعضهم يحلل فوائد البنوك الربوية ، أو مساندة الدول الأجنبية فى إرغام المسلمات بخلع الحجاب تحت حجة باطلة؛وهى أن كل دولة حرة فيما تسن من قوانين وتشريعات؛ ونسوا ما سنته هذه الدول نفسها تحت شار حرية العبادة ، وحقوق الإنسان ، وحرية التعبير عن المعتقدات الدينية ، ولكن عندما تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين أصبحت الحرية قضية ، وربما وضعوها ضمن قضايا الإرهاب ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل - فى عصر قلب المفاهيم والقيم .

التكذيب بالقدر :

القدر هو الركن السادس للإيمان ؛وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية . سأل جبريل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال ﷺ عن الإيمان : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » (١) .

والإيمان بالقدر يستوجب الإيمان بكل ما قدره الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، وفى سورة يس : ﴿ **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ ، وفى سورة البروج : ﴿ **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** ﴿١٦﴾ ﴾ .

فكل شىء عند الله تعالى بمقدار ،« لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره » شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٣ .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخوض فى القدر والتعمق فيه ،فقد خرج ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر ، فقال لهم : « **مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم** » أخرجه أحمد (٢).

عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى بن كعب ، فقلت له : قد وقع فى نفسى شىء من القدر ، فحدثنى لعل الله يذهب من قلبى ، فقال : « لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه،عذبهم وهو غير ظالم لهم،ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبا فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ولو مت على غير هذا لدخلت النار » (٣) .

---

(١) مسلم فى الإيمان (٩ ، ١٠ / ٥ ، ٧) .

(٢) أحمد (٢/١٧٨) وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٦٦٨) : « إسناده صحيح » .

(٣) ابن ماجه فى المقدمة (٧٧) ،وصححه الشيخ الألبانى .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال لابنه عند الموت: يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب ، فقال : يا رب وما أكتب ؟ قال :اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** » يا بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من مات على غير هذا فليس منى** » (١) .

وقد قال ﷺ لابن عباس ﷺ : « **يا غلام ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » رواه الترمذى (٢) .

مشكلات عدم الرضا بقضاء الله وقدره :

(الغضب ـ الحزن ـ الإحساس بالظلم ـ عدم الإحساس بالاطمئنان ـ عدم القدرة على التحمل ـ كثرة الشكوى لغير الله . القنوط من رحمة الله).

يقول ابن القيم :« إذا شكوت لابن آدم،فإنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم » .

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [١١] .

قصة فنان تجول بين الأديان :

سأل أحد مقدمى البرامج فى قناة فضائية أحد قُدامى الممثلين العرب والذى ترك التمثيل العربى وهاجر لأمريكا؛لاحتراف هذه المهنة هناك،وبعد أن مضى به العمر والسنون رجع إلى بلده ،فسأله المقدم كنت يهوديًا ،ثم اعتنقت الإسلام، فما هى ديانتك الآن ؟

فقال الممثل :نعم وكانت أمى مسيحية ولكنها عندما كانت تحتضر كانت تدعو المسيح ومريم ،فلم أعتقد بذلك فلما ماتت بحثت عن الذى سأدعوه لها ، فلم أجد غير أنى قلت : يا أمى يا أمى !!

ثم قال ـ وبئس ما قال: إن الله لا بد أن يكون عادلاً فهل نرى فى هذا الكون عدلاً؟!

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٣٣) .

(٢) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) وقال : « حسن صحيح » .

فهناك القتل والدمار والحروب كما تعرف . والله من صفاته العدل فأين العدل ؟! »

هذا الفنان الذى يصفق له الجماهير الغفيرة وصل إلى هذا الحال!!

الإيمان بالقدر لاينافى الأخذ بالأسباب :

إننا مأمورون بالأخذ بالأسباب ، مع التوكل على الله ـ عز وجل ـ ،فلو ترك الطالب المذاكرة بدعوى أن النجاح بيد الله لم يكن متوكلا على الله ،ولو ترك السعى لطلب الرزق وترك أولاده فقراء كان آثمًا ،مع أن كل شىء بأمر الله . وكذلك الحال فى المرض وغيره .

وقد سئل الرسول ﷺ عن الرقية والأدوية ، فقيل : أرأيت رقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها ، وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئا ؟! قال : « **هى من قدر الله** ».

ـ « **الالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة فى المسببات شرك فى التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص فى العقل ، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح فى الشرع** » مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٨ ،ص ٨ ـ ٥ .

وقد كان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب فيحتجم عند المرض ،ويأكل العسل للشفاء ، ويمشى فى الأسواق ... إلخ .

مسائل فى الإيمان بالقدر :

ـ تأخرت الحيضة ـ الدورة الشهرية ـ عند الفتاة فتركتها أمها بدعوى أن هذا الأمر قضاء وقدر ولم تعالجها ، وعندما تزوجت وجدت تأخرًا فى الحمل ؛ لعجز فى التبويض كان يمكن أن تعالجه الأم الواعية قبل الزواج. فهذا يتنافى مع التوكل والأخذ بالأسباب .

ـ كان الزوج سيئ الخلق وقليل الإيمان وكثير المشاجرة مع أهل البيت ، فاعتبرت الزوجة أن هذا قدرها مع هذا الزوج ولا سبيل للإصلاح وأن العلاج الوحيد هو الطلاق، فلم تأمره بالمعروف ولم تنهه عن المنكر ولم تدفع بالتى هى أحسن،ولم تصبر، ولم .. ولم .. ولم .. إلخ .فكانت النتيجة هدم البيت وضياع أولادها .

ـ كانت الأسرة فقيرة ولا تستطيع تلبية احتياجات الفتاة التى فضلت مصاحبة الأثرياء، ولم ترض بحالها ومستواها فخرجت من البيت وانضمت لجماعة غير صالحة كل أهدافهم الشهوات ولا يعرفون حلالاً أو حراما ففقدت دينها ودنياها .

ـ كانت الفتاة تذاكر وتعمل، ولكن تجد زميلاتها يذاكرن أقل منها ويعملن أقل منها وفى نهاية العام يحصلن على درجات .أعلى فى الامتحان ، فأخذت تحسدنهن وتحقد عليهن وتدعو عليهن ، فهى لم تؤمن بأن النتيجة بيد الله وأن ما عليها إلا العمل والاجتهاد ، وأن ما يحسبه الناس خيرا قد يكون شرا والعكس .

وهى لم تدرك أن هذه النتيجة التى حصلت عليها تعد ابتلاء من الله ؛ لتصحيح مسار حياتها وإعادة تنظيم أمورها وترتيب أوضاعها، فربما إذا فعلت ذلك بذلت مجهودا أقل وحصلت على درجات أكبر .

فتاة نادمة على كل ما تفعل وعلى كل ما يرزقها الله من نعم ـ ودائما ـ تتحصر «لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا »، وهذا الأمر يعوق تفكيرها ويعوق تطورها ويؤثر على علاقتها بالآخرين .

نسيت أمر ونصيحة الرسول ﷺ لكثيرى اللوم أن يقولوا: «**قدر الله وما شاء فعل**».

اليأس والقنوط من رحمة الله :

اليأس : هو انقطاع الأمل ، وانتفاء الطمع فيه ، والقنوط أشد اليأس .

وقد وصف الله ـ عز وجل ـ الكافرين بأنهم يأسوا من روح الله ومن رحمته وتوعدهم بالعذاب الأليم وغضب الله عليهم فى الدنيا والآخرة .

واليأس من صفات الإنسان غير المؤمن بالله ، فهو يتغير من حال إلى حال تبعا لما يقع فيه من نعمة أو نقمة ، وأمر الله ـ عز وجل ـ بعض رسله ألا يكونوا من القانطين وأن هذه الصفة لا تكون إلا مع أصحاب الضلال ؛وأمر الله عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بعدم القنوط لأنه هو الغفور الرحيم .

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الزمر : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [٥٣] .

فالطالبة التى لم توفق فى الامتحان إذا يئست من رحمة الله، فستترك العلم ويعوق اليأس استمرارها فى العمل .

والموظفة التى كثيرا ما يساء معاملتها فى العمل من قبل الحاقدين والظالمين ، إذا يئست من رحمة الله فربما تركت العمل وانقطع مصدر رزقها ، وربما تحولت إلى موظفة

سيئة لتجارى البيئة الفاسدة التى تعمل فيها .

والزوجة التى لم يرزقها الله بأطفال من زوجها إذا يئست فستوقف العلاج ، وستسوء علاقتها الزوجية وتنعدم الألفة والمودة ويزداد القلق على الزوج، والأم التى يئست من رحمة الله فى هداية ابنها أو ابنتها ستتركه دون توجيه أو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وستقبل الحال على ما هو عليه، فلا تمنعه من الصحبة السيئة ولا تنهاه من فعل المنكرات ولا تأمره بعمل الصالحات .

فاليأس يعطل على المسلم والمسلمة العمل والإنتاج ، وإصلاح النفس ، وطلب رضاء الله ويسيء الخلق ،ويزيد من التوترات النفسية؛ فهو قتل للإنسان من كل جانب سواء نفسه أو عقله أو جوارحه .

والأم يجب أن تربى أبناءها على عدم اليأس أو القنوط منذ طفولتهم وطول حياتهم، ولنا فى سيدنا يعقوب أسوة حسنة يقول تعالى فى سورة يوسف: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ .

وأن تعلمهم أن اليأس من أخلاق الكافرين الضالين الخاسرين لدينهم ودنياهم.

يقول تعالى فى سورة العنكبوت : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) ﴾ .

فاليأس من رحمة الله ليس أمرًا سهلا ، وليس أمرًا مقبولا عند الله فعاقبته النار وبئس المصير .

وأن تبعد أولادها عن اليائسين من رحمة الله ،فهذا الأمر ربما ينتقل إلى الناس كالمرض المعدى الذى يجب الاحتراز منه ،يقول تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) ﴾ .

اليأس ليس صفة من صفات المؤمنين الذين إذا أصابهم خير شكروا الله عز وجل ، وإذا أصابتهم ضراء صبروا فكان خيرا لهم .

أما الإنسان غير المؤمن فله صفات أخرى بينها لنا الله - عز وجل - فى محكم آياته، يقول تعالى فى سورة فصلت : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) ﴾ [فصلت] وفى سورة الإسراء : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾ .

وفى سورة هود: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾ .

وفى سورة الروم : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝٣٦ ﴾ .

مسائل فى اليأس والقنوط :

ـ عندما أبدأ فى عملى ويستعصى على جزء فيه، فإننى أتركه وألجأ إلى غيره وعندما لا أستطيع استكماله ، فإننى أتركه وألجأ إلى غيره وهكذا إلى درجة لا أستطيع معها أن أكمل عملا على الإطلاق .

وأحسست أحيانا كثيرة بالفشل من اللوم الذى ألقاه كثيراً ممن حولى من أفراد الأسرة وزميلاتى ، حتى أصبت بالاكتئاب وأصبحت أجلس فى حجرة مظلمة بمفردى ولا أريد معايشة الناس ، وأحسست بالظلم الشديد الواقع على ، يقول تعالى فى سورة الفتح : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ۝٦ ﴾ .

لقد كان العذاب فى الدنيا والآخرة،ولا مخرج من هذا إلا بالرجوع إلى الله وحسن الظن به ، والتركيز على عمل فى مقدرتك ويكون قصير الأجل ولا يحتاج إلى مراحل طويلة أو معقدة فى البداية ،ولا تخبرى به أحدًا إلا بعد إكماله ، واتق الله فى العمل بحيث يؤدى على أكمل وجه وأفضل ما أداه الآخرون . والخير قادم بإذن الله .

مسألة :

إننى أرى كل من حولى من الفتيات غير ملتزمات ،وكل همهن الدنيا ما فيها من : والشهوات والرقص والفسح والأكل فى المحلات واللبس على ذوق الراقصات ، وإنى كلما دعوت إحداهن لله ما كان منهن إلا الاستهزاء والإعراض .

والبعض أقنعنى بأن هذا الأمر شخصى ،ودع الخلق للخالق ، وأن الدنيا اليوم لها ظروفها ، وأن العمل لا يقبل الملتزمات والمحتشمات ، فكيف سأعيش بين هؤلاء إذا تركتهم وعشت بمفردى أصبحت مريضة ، وإذا عايشتهم لم أنج من فسقهن اقرئى ما قاله تعالى : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ﴾ [آل عمران :١٥٤] .

انظرى كيف أدى سوء الظن إلى الوقوع فى اليأس والقنوط ، فعلينا حسن الظن بالله، والعمل ثم العمل ثم العمل ، أما النتائج فبيد الله وله حكمته فى ذلك .

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ففى سنة الرسول ﷺ فى التغيير يأمرنا ﷺ بأنه من رأى منكرا فليغيره بيده [1] (واليد هنا ليست بالضرب والأذى ولكن بالمنفعة والعطاء والخير والنماء) فإن لم يستطع الإنسان ،فعليه بلسانه،واللسان هنا ليس بالتكبر والفحش والاستهزاء والكذب وغيره ، ولكن بالكلمة الطيبة الرقيقة والهادئة التى تؤلف القلوب ، فإن لم يستطع فبقلبه (والقلب هنا لا يأتى إلا بعد استنفاذ القوى السابقة المتمثلة فى اليد واللسان) ولا نيأس من رحمة الله تعالى .

ـ نجد وسائل الإعلام تحارب الجماعات الإسلامية المعتدلة وكل ما ينتمى إلى جماعة دينية إسلامية وتشوه صورتهم ، تقنع الناس أنهم قوم ظالمون وضالون وإرهابيون وسارقون وتصفهم بأرذل الصفات ، وتأتى الجهات الحكومية الرسمية فتمنع وتعيق وتضيق على الملتزمات بدينهن وأوامر الله ورسوله .

وجهات الأمن تعتقل وتصادر أموال الملتزمين والمتدينين بغير وجه حق وتقتل الكثير منهم ظلما وتعذب الكثير .

لقد أدت هذه الأمور وغيرها إلى إحساس البعض بصعوبة الالتزام بالدين وأنه عائق فى سبيل العمل والوظيفة المجزية المريحة ،وأنه يسبب كثيراً من المتاعب النفسية والمادية، ففضلوا الخوض مع الخائضين وتجاهل الدين ،اقرأى قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] فوعد الله نافذ وجند الله هم الغالبون ،والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٢ـ الذنوب بين العبد والناس :

الفرق بين الذنوب التى بين العبد وربه،والتى بين العبد والناس؛هو أن الأخيرة لابد لها عند التوبة منها ؛من رد المظالم إلى أصحابها وعفو صاحب المظلمة عن الظالم على فعلته ، وإلا جاء يوم القيامة فيأخذ من حسناته وإذا فنيت يطرح عليه من سيئاته ، وكثير

---

(١) مسلم فى الإيمان (٤٩/٧٨) .

من هذه الذنوب تم تناولها فى تصنيف الذنوب إلى كبائر وصغائر وتصنيف الذنوب حسب الجهة المسببة لها . لذلك سيتم تناول بعض الذنوب بين العبد والناس والتى لم تعرض فى التصنيفات الأخرى ومنها: غش الإمام للرعية ، والقاضى السوء ، والبغى والخيانة ، والغدر وعدم الوفاء ، والأذى للجار والمسلمين والعباد .

غش الإمام للرعية وظلمه لهم :

وهل ما فيه العرب والمسلمون الآن إلا من هذه الكبيرة !

وهل استطاع الأعداء النيل من المسلمين إلا من هذه الكبيرة !

وهل تخلف وفقر وجهل ومرض العرب والمسلمين الآن إلا منها !

وهل ضياع أموال المسلمين وثرواتهم وحقوقهم إلا من غش الإمام للرعية ! إنهم قبل أن يظلموا الناس فقد ظلموا أنفسهم فلا تحسبن الله غافلا عما يعملون . فلهم يوم سيعرضون عليه ، يوم الخزى والعذاب الأليم ، يوم يحرم عليهم الجنة ونعيمها .

يقول الله - عز وجل - فى سورة الشورى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [الشعراء] .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) ﴾ [إبراهيم] .

وأخبر الرسول ﷺ عنهم فى أحاديث كثيرة ، وأخبرنا عن عاقبتهم فى الآخرة :

- يقول ﷺ : « **أيما راعٍ غش رعيته فهو فى النار** » رواه الطبرانى عن أنس (١) .

وحمل الرسول ﷺ كل مسؤول المسؤولية عن رعيته سواء كان صغيرا أو كبيرا ، مالكًا أو مملوكًا ، ذكرًا أو أنثى .

- يقول ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ». من حديث ابن عمر (٢) .

ويخبرنا ﷺ بتحريم الجنة على من استرعى رعية ولم ينصحها .

---

(١) كنز العمال (١٤٦٥٦) .

(٢) البخارى فى الجمعة (٨٩٣) .

- قال ﷺ: «**من استرعاه الله رعية ، ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة**» أخرجه البخارى (١) .

ويحذرنا ﷺ من اتباع الأمراء الظلمة الفسقة ومجاراتهم .

- يقول ﷺ : « **سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن صدقهم بكذبهم ومن أعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، ولن يرد على الحوض** » رواه أحمد والترمذى من حديث كعب بن عجرة (٢).

رسالة :

أختاه قد تكونين أنت التى وقع عليها ظلم الحاكم فى نفسك أو فى أخيك أو أبيك أو زوجك ، فزج بأحدهم فى السجون - ظلما - وعذب وأهين ، وقد تكونين ممن فقدوا أحباءهم من ظلم الحاكم وأحكامه العرفية التى لا تعرف الحق أبدا ولا تعرف شرع الله ، ولا يخاف واضعها ومنفذها من يوم الحساب ، قد تكونين ممن شاهدوا ما وقع على أخواتهن من ظلم الحكام المفسدين ،قد تكونين ممن سمعوا عنه أو قرؤوا عنه ودمعت عيناك وتفطر قلبك بالبكاء والأسى .

ألا إن نصر الله قريب ، ولينصرن الله من ينصره ، ألا إن موعد المؤمنين الجنة وموعد الظالمين الجحيم ، فاصبرى واثبتى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

القاضى السوء :

يلجأ الناس إلى المحاكم والقضاة لاسترداد حقوقهم المسلوبة ، وحدد هذه الحقوق الله - عز وجل - وبينتها الشريعة الإسلامية ، ولكن كيف يكون الحال إذا حكم القاضى بما لم ينزل الله ، أو حكم لصالح الظالم - وهو على علم أو حكم - لصالح الظالم وهو على جهل ، أو حكم بشريعة الكافرين ، أو حكم بما تزين له نفسه، أو حكم كما يأمره الحاكم الظالم ؟

الجواب : إن المظلوم سيقع عليه أضعاف ما وقع عليه من الظلم حسب درجة ظلم الحاكم والقاضى ، فبدلا من أن يسترد حقوقه يقع عليه عقاب من سلبه منه ؛ أى عدل فى المجتمع بعد ظلم المظلوم ؟ سيزداد الظالم والمعتدى والجائر فى ظلمهم خاصة إذا

---

(١) البخارى فى الأحكام (٧١٥٠) .

(٢) الترمذى فى الفتن (٢٢٥٩) ، وقال : « صحيح غريب » ، وأحمد (٢/ ٢٤٣) .

ساندهم أصحاب الأمر والقرار والحكام والمشرعون .

لقد وصفهم الله - عز وجل - بثلاث صفات ، وهى : الكفر والظلم والفسق . يقول تعالى فى سورة المائدة :

- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ [المائدة] .

- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾ [المائدة] .

- ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾ [المائدة] .

- ولا تقبل صلاتهم وعذابهم النار يوم القيامة .

يقول ﷺ : « **لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله** » رواه الحاكم عن طلحة بن عبيد الله (١) .

ويقول ﷺ : « **القضاة ثلاثة : قاضٍ فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاضٍ عرف الحقّ فجار متعمدا فهو فى النار،وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار**» . قالوا : فما ذنب الذى يجهل؟ قال : «**ذنبه ألا يكون قاضيا حتى يعلم**»(٢) .

وقال ﷺ : « **من جعل قاضيا ، فقد ذبح بغير سكين** » (٣) .

الخيانة :

قد يخون المرء الله وقد يخون الرسول ﷺ ،وقد يخون الأمانات التى وكل بحفظها وقد يخون الناس ، إنما فى كل الأحوال فإنه على علم بما يصنع .

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)** ﴾ .

والأمانة قد تكون كلمة أسر بها صاحب لصاحبة فيخونه بإفشائها ،وقد تكون وعداً بين فريق أو جماعة وبعضهم يلتزمون بأدائه ، فيخون البعض أو أحده الجماعة ويخلف

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٤/٨٩) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى : « **قلت** : سنده مظلم ، وفيه عبد الله بن محمد العدوى متهم » .

(٢) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣) ، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢) ، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥) ، وصححه الألبانى .

(٣) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧١) ، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٥) ، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣٠٨) ، وصححه الألبانى .

هذا الوعد والعهد ، وقد تكون الأمانة وصية يوصى بها أحد الوالدين أولاده فيخفيها عن الناس ولا ينفذها كما أمره به أحد والديه ، وقد تكون عملا أو ظيفة يجب أن يؤديها الفرد على شكل معين وفى وقت معين فيقصر فى آدائها أو يعطلها ، وقد تكون شيئًا ماديًا ـ كالمال أو حاجيات خاصة ـ يضعها صديق عند صديقه ، ويطلب منه حفظها فيفرط فى أمانته ، فيأخذ منها أو يضيعها بحجة أنه صديقه أو أخوه ، وفى جميع الأحوال فإن الله لا يهدى الخائنين ، يقول الله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) ﴾ .

وقد وصفهم الرسول ﷺ بالنفاق وبعدم الإيمان ،يقول ﷺ : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** » رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة [١] يقول ﷺ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له** » [٢] .

وخيانة البعض لنا ليس سببًا أو ذريعة لخيانتهم أو مقابلة الخيانة بالمثل ، وهذه أخلاق الإسلام ، يقول ﷺ : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك** » [٣] .

وقال ﷺ : « **إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة** » [٤].

مسائل فى الخيانة :

أمى ـ دائما ـ لا تصدقنى وتسىء الظن بى ، ولكنى لا أحس أننى على خطأ ، فما العيب فى الحديث مع زميلى فى الهاتف المحمول فى حجرتى ؟! .

وما العيب فى أن يوصلنى زميلى بسيارته مع باقى الزملاء إلى البيت ،هل هذا أفضل أم التاكسى أم الأتوبيس ؟!

وما العيب فى أن أقف لأتناقش مع زميلى فى أمور الدراسة أو العمل ؟!

نعم لقد أمرتنى أمى أن أمتنع عن الحديث فى الهاتف مع شباب أو أى زميل وأن يكون هناك تحفظ وغض بصر فى التعامل معهم ، وأن أتحدث بأدب وصوت منخفض،

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٣) ، ومسلم فى الإيمان (٥٩/١٠٧) .
(٢) أحمد (٣/١٣٥) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/١٠١) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط ، وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه النسائى وغيره » ، وابن حبان فى الموارد (٤٧) .
(٣) أبو داود فى البيوع (٣٥٣٤) ، والترمذى فى البيوع (١٢٦٤) ،وقال : « حسن غريب » ، وصححه الألبانى.
(٤) مجمع الزوائد للهيثمى (٥/٢٣٨) وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن مليحة وهو ضعيف » .

ولا أضحك بصوت عالٍ ، أنا أعلم أن الأعمال بالنيات وأن نيتى سليمة جدًا ، وأن الناس كلهم يفكرون مثلى أما طريقة تفكير والدتى فأحس أنها طريقتها هى فقط .

فقدت الثقة بينى وبينها ، ونسيت أن طاعة أمى فى غيابها أمانة ويجب أن أحفظ كلماتها ، وأضلنى هواى على علم ولم يكن الله معى ؛ لأننى خنت أمى وكذبت عليها وكانت العاقبة سيئة بكل المقاييس ، ففازت أخواتى ببر أمى وطاعتها وفقدتها ، وامتنع زميلى عن التقدم لخطبتى ؛ لأنه علم أننى أتحدث مع غيره فى الهاتف واعتبرها خلوة غير شرعية، ازداد توترى وندمى وأسفى على خيانتى لأحق الناس بالبر وهى أمى .

ـ كلما تحدثت مع صديقاتى فى الهاتف لا مفر من ذكر أخبار صديقاتى وأحوالهن، فتضيع الأمانات وتتناثر بين البنات ، ونسينا أنها أمانة الكلمة فضاع الارتباط والأخوة والصداقة ولم يبق أحد يخاف على الآخر ، ولم يبق سر يمكن أن يحفظ ولا يخاف عليه من الانتشار ، فلا أخوة فى الله ولا اعتصام بحبل الله ، ولا نصر على الأعداء بدون حفظ الأمانة .

الغدر وعدم الوفاء :

عدم الوفاء بالعهد والوعد بين الناس يفقد الثقة بينهم ، ويشيع الحروب والقطيعة والخصومة ويضيع كثيرًا من حقوق الناس على بعضهم البعض، ويعتبرها الإسلام مسؤولية على كل من شارك فيها سواء كان مسلما أو غير مسلم ، ذكرا أو أنثى ، غنيا أو فقيرا ، حاكما أو محكوما ، والمتتبع لعلاقة الإسلام باليهود يجد أن أسباب الحروب التى قامت بين المسلمين واليهود كانت بسبب نقض اليهود للعهود، وهى صفة دائمة أبدية فيهم، وهم يستخدمون العهود لتحقيق مصالحهم حتى إذا وجدوا أن مصلحتهم فى غير ذلك، نقضوا العهد بلا حرج أو تأنيب ضمير، أما الإسلام فيلزم المسلم بالحفاظ على العهد والوعد .

يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء] .

ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] .

ويصفهم الرسول ﷺ بالنفاق ، قال ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن ،كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » . أخرجه البخارى من حديث عبد الله بن عمرو(١) .

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٤) ، ومسلم فى الإيمان (٥٨/١٠٦) .

وهذه بعض الآثار السلبية للغدر :

- التوترات النفسية للطرفين الغادر والواقع عليه الغدر .

- فقد الثقة بين المسلمين وبعضهم الواقعين فى هذا الذنب .

- تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى حالة نقض العهد مع غير المسلمين .

- عدم الاحترام وفقد التبجيل والتوقير بين الأطراف الغادرة .

- قيام كثير من المشاحنات والمشاجرات بين الأطراف الناقضة للعهود والمواثيق .

البغى :

- هو ظلم الناس لبعضهم البعض ، وغالبا ما يكون من الأقوى أو الأكبر أو الأغنى أو صاحب المنصب أو صاحب النعمة ويقع على الأضعف أو الأصغر أو الفقير أو العامل أو الموظف أو المبتلى ، يقول الله تعالى فى سورة الشورى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)** ﴾ .

وقال : « **إن الله أوحى إلى أن تواضعوا ،حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد** » رواه مسلم من حديث عياض بن حمار (١).

وهذا الحديث وضع علاجا للبغى والظلم وهو التواضع بين الناس وبعضهم .

وحذر الرسول ﷺ من البغى وأن عقوبته يعجل الله له بها فى الدنيا، يقول ﷺ : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم** » (٢) .

فإذا سرق الغنى من الفقير لا يستطيع الفقير أن يقاضيه فمن يصدقه « ابن الشريف يسرق من الفقير » .

وإذا طرد صاحب العمل العامل من عمله - ظلما - لا يستطيع العامل أخذ حقه منه ، وإذا استأثر صاحب المنصب بالمناصب الكبيرة لنفسه وأقاربه وحرم غيره من المستحقين الأكفاء فمن يستطيع أن يمنعه ، لذلك فإن الله المنتقم الجبار يعجل له العقوبة

---

(١) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥/ ٦٤) .

(٢) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٢) ، والترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١١)، وقال : « حسن صحيح » .

فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من عذاب .

ومن الآثار السلبية للبغى :

- عدم الإحساس بالأمن والأمان فالقوى يضر الضعيف .
- سيطرة فئة قليلة على ثروات البلاد وخيراتها لصالح أنفسهم .
- انتشار الحقد والكراهية وكثرة دعاء المظلوم على الظالم .
- عدم التطور والتنمية الناتج عن سيطرة أصحاب النفوذ وحرمان الأكفاء من العمل.
- ضياع كثير من الحقوق وعدم تطبيق القوانين الشرعية وانتشار القوانين الوضعية الظالمة .

أذى الناس :

هو إلحاق الأذى والسوء بالغير عن عمد والإصرار عليه ، وقد يؤذى المرء جاره وقد يؤذى المسلمين ، وقد يؤذى عباد الله .

وقد نفى الرسول ﷺ صفة الإيمان عمن يلحق الأذى بجاره ، يقول ﷺ : « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن** » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « **من لا يأمن جاره بوائقه** » رواه البخارى من حديث أبى هريرة (١).

وقد سئل الرسول ﷺ عن أعظم الذنب عند الله ،فذكر ثلاث خلال : « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وأن تزنى بحليلة جارك** » رواه البخارى من حديث عبد الله بن مسعود (٢).

والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة ، وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما له جار يهودى ،فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودى منها .

أما أذى المسلمين فقد عظم الله تعالى فى كتابه الكريم أذى المؤمنين والمؤمنات ،

---

(١) البخارى فى الأدب (٦٠١٦) .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٤٧٧) .

يقول تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

وقد يكون هذا الأذى مجرد سخرية أو استهزاء أو ندائه بلقب لا يحبه ، أو تقليده بما لا يرضيه ، أو التجسس عليه ، أو اغتيابه بقول ما لا يرضيه فى غيابه حتى إن كان حقا .

يقول تعالى فى سورة الحجرات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ .

وجعل الإسلام أشر الناس يوم القيامة الفاحش فى القول .

يقول الرسول ﷺ : « **إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من ودعه الناس وتركه الناس اتقاء فحشه** » متفق عليه من حديث عائشة (١).

ويحرم الإسلام أذى المسلم فى دمه وماله وعرضه ، ففى الحديث،قال ﷺ : «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » رواه مسلم من حديث لأبى هريرة (٢).

وقال ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** » رواه مسلم عن أبى هريرة (٣).

وقال ﷺ: « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤).

ويضيع أذى الناس الأعمال والطاعات حتى يكون عاقبة الإنسان النار ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال: «**لا خير فيها هى فى النار**» صححه الحاكم وابن حبان وأحمد (٥) .

وحتى المسلم إذا مات فلا يحق لأحد أن يذكره بسوء ، قال ﷺ : « **اذكروا محاسن**

---

(١) البخارى فى الأدب (٦٠٥٤) ، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٩١) .
(٢ ، ٣) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤/ ٣٢) .
(٤) البخارى فى الفتن (٧٠٧٦) ، ومسلم فى الإيمان (٦٤/ ١١٦) .
(٥) الحاكم فى المستدرك (٤/ ١٦٦) ، وصححه ، ووافقه الذهبى .

موتاكم وكفوا عن مساويهم » [1] .

وصح عن الرسول ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة نمام » متفق عليه من حديث حذيفة [2] والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس من أجل الإفساد بينهم .

والمسلم لا يؤذى الناس حتى فى طريقة الحديث ، ويأمرنا الله تعالى فى سورة العنكبوت بعدم الجدال إلا بالتى هى أحسن: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت :٤٦] وقال تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون] .

فهذا الإسلام قد رفع من قدر المسلمين جميعًا عندما نزع عنهم أذى الناس جميعًا سواء كان مسلمين ، أو من أهل الكتاب ،أو كفاراً .

(١) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٠) ، والترمذى فى الجنائز (١٠١٩) وقال : « غريب » ، وضعفه الألبانى .
(٢) البخارى فى الأدب (٦٠٥٦) ، ومسلم فى الإيمان (١٠٥/١٦٨) .

الباب الثالث

التوبة

الفصل الأول : لماذا التوبة ؟ وثمرتها ووقتها .

الفصل الثانى : مراحل التوبة وشروطها .

الفصل الثالث : برنامج يومى لتجديد التوبة .

الفصل الأول

لماذا التوبة وثمرتها ووقتها

معنى التوبة :

تاب إلى الله تعالى توبا وتوبة ومتابا : رجع عن معصيته وندم عليها فهو تائب ، وتاب الله عليه : غفر له وعاد عليه بفضله .

والتواب اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه أنه هو الذى يوفق عباده إلى أسباب التوبة ويقبلها منهم،ويقال للعبد:تواب ؛ أى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب.

يتناول جزء التوبة ثلاث نقاط هى :

لماذا التوبة ؟ ويجاب عليها من خلال آيات وآحاديث عن الرسول ﷺ . وثمرتها ووقتها .

ثم مراحل التوبة وشروطها ،سواء ما إذا اتصل الذنب بعلاقة العبد بربه أو بالناس، ثم يتم عرض برنامج يومى، يمكن للأخت المداومة عليه من سنة الرسول ﷺ فى التوبة سواء من خلال العبادات الوضوء والصلاة والقرآن أو من خلال أعمال اليوم والليلة .

أولاً : لماذا التوبة وثمرتها ؟

- لأن : « **كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين المستغفرون** » أخرجه الترمذى (١).

- ليكسب العبد حب الله له ، ويكتب له القبول فى الأرض، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** (٢٢٢) ﴾ [البقرة].

- لأن الله يفرح بتوبة العبد المؤمن .

يقول ﷺ : « **لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه**

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩) ، وقال : « حديث غريب » ، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٥١) ، وحسنه الألبانى .

فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعدته ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فالله تعالى أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » رواه مسلم (١) .

ـ لأن الله تعالى يقبل التوبة فهو التواب الرحيم ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

ـ لأن كثرة الذنوب تطمس القلب، قال تعالى فى سورة المطففين : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

ـ لأن الله يغار على العبد ،يقول ﷺ : « **إن الله تعالى يغار ، وغيرةُ الله أن يأتى المرء ما حرم الله عليه** » متفق عليه (٢) .

ـ لأن الله تعالى غفار ، وكثير الخيرات لمن تاب فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح] ، وفى سورة طه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

ـ لأن الله رحيم ودود ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود] .

ـ لأن الله واسع المغفرة ، يقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم : ٣٢] .

ـ لأن الخطأ من طبيعة ابن آدم ،يقول ﷺ : « **كل ابن آدم خطاء ،وخير الخطائين المستغفرون** » أخرجه الترمذى (٣).

يقول الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس] .

ـ للخروج من الضيق والهم ، ولتوسعة الرزق ،يقول ﷺ : « **من لزم الاستغفا**

---

(١) مسلم فى التوبة (٢٧٤٤/٣) .

(٢) البخارى فى النكاح (٥٢٢٣) ، ومسلم فى التوبة (٢٧٦١/٣٦) .

(٣) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

جعل الله له من كل ضيق ، مخرجا ومن كل هم فرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود (١).

- لأن الله واسع المغفرة :

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذي (٢) .

- لأن الله أقرب للعبد من نفسه ولا يخفى عليه مثقال ذرة يقول الله تعالى في سورة ق : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴿١٦﴾ ﴾ .

- لأن الله تعالى أسرع وأقرب للعبد من العبد إليه ، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

« **إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة** » رواه البخاري (٣) .

- للوقاية من عذاب الله قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾
[الأنفال]

- لأن الله تعالى هو الذي يغفر الذنوب وحده، يقول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿١٣٥﴾ **أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران] .

- لسوء تقدير الإنسان للذنب ،قال تعالى: ﴿ **وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴿١٥﴾ ﴾
[النور]

- لسرعة الحساب والعقاب،قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٦٧﴾ ﴾
[الأعراف]

---

(١) أبو داود في الصلاة (١٥١٨) ، وأحمد (١/٢٤٨) ،وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٣٤):« إسناده صحيح » .
(٢) الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠) وقال: « حديث غريب » .
(٣) البخاري في التوحيد (٧٥٣٦ ، ٧٥٣٧) .

- لأن الله يغفر الذنوب جميعًا ،قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر] .

- لأن رحمة الله تغلب غضبه عن أبى هريرة قال ﷺ : « **لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى** » متفق عليه (١) .

- لأن رحمة الله واسعة يقول ﷺ : « **لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته** » رواه مسلم من أبى هريرة (٢).

- ولماذا للنساء خاصة ؟

لأن النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير أو ينكرن خير الزوج يقول ﷺ : « **يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار** » . قالت أمرأة منهن : ما لنا أكثر أهل النار ؟ قال: « **تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير** » رواه مسلم من حديث ابن عمر (٣).

ثانيًا : وقت التوبة :

فور معرفة الذنب تجب التوبة فى أقرب وقت عرف فيه المؤمن أنه قد وقع فى الذنب ، وفى هذه الحالة عليه التوبة وعلى الله المغفرة قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون] ، وقال تعالى : ﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) ﴾ [الأنفال] .

ولماذا ينتظر المؤمن اليوم الثانى ليتوب. وقد قال ﷺ:« **إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار،ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » رواه مسلم(٤) . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾ [الإسراء] .

وقال ﷺ : « **أتبع السيئة الحسنة تمحها** . . » الترمذى (٥) .

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٤) ، ومسلم فى التوبة (٢٧٥١ / ١٤) .

(٢) مسلم فى التوبة (٢٧٥٥/ ٢٣) .

(٣) مسلم فى الإيمان (٧٩/ ١٣٢) .

(٤) مسلم فى التوبة (٢٧٥٩/ ٣١) .

(٥) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧) وقال : « حسن صحيح » .

والمسارعة إلى التوبة والمغفرة فهما طريقان إلى الجنة قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران] .

عن أبى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » رواه الترمذى [١]. وقال : « حسن ».

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** » رواه مسلم [٢] .

الاستغفار طوال اليوم :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » رواه البخارى [٣] .

وفى الأيام التى تفتح فيها أبواب الجنة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ! أنظروا هذين حتى يصطلحا** » رواه مسلم [٤].

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٣٧) وقال : « حسن غريب » .
(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٣/٤٣) .
(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٧) .
(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٥ / ٣٥) .

الفصل الثانى

مراحل التوبة وشروطها

هى مراحل لأنها تأتى متتالية ، ولها شروط لا تصح التوبة بدونها :

مرحلة العلم :

التائب من الذنب لا بد أن يعرف ثلاثة أمور :

الأول : أنه إنسان وكل بنى آدم خطاء .

الثانى : أن ربه واسع المغفرة والرحمة وسريع الحساب .

الثالث : أنه ارتكب ذنبا .

فإذا لم يعرف الأولى سيصعب عليه الإنابة إلى الله والتوبة والاستغفار . وإن لم يعرف الثانى سيكون من القانطين من رحمة الله ، وإذا لم يعرف الثالث سيهون عليه ما يفعل ويزداد إثما وبغيا وظلما وسيحسب أنه يحسن صنعا . وتزين له نفسه أعماله .

وفى الحالة الأولى : لنا فى توبة الرسل والأنبياء قدوة حسنة ودراسة تاريخ البشر وعاقبة المفسدين فى الأرض ، وهو أمر إلهى يقول تعالى : ﴿ **فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (١٣٧) ﴾ [آل عمران] .

وفى الحالة الثانية : فإن العلم بصفات الله عز وجل وقدرته وحكمته وكثرة قراءة القرآن والتقرب إلى الله الرحيم باب ميسر للعلم عن كيفية التوبة .

وفى الحالة الثالثة : فإن معرفة الذنوب وأنواعها وتصنيفاتها والآيات التى تذكرها والأحاديث التى تحذر منها شفاء لما فى الصدور ونور لطريق المؤمنة فى التوبة إلى الله ودوامها .

مرحلة الندم :

وهى الأسف والتحسر النفسى والقلبى والعقلى على ما ارتكب الإنسان من آثام .

وكلما كان الندم أشد كلما كان تكفير الذنوب أرجى، يقول الرسول ﷺ: «**الندم توبة**»(١).

ويندم الإنسان على الذنب عندما يقتنع تمام الاقتناع بأنه ارتكب ذنبا ، وأنه أضر بنفسه وغيره ، وأنه سيقع عليه عقاب شديد ، وأنه لا بد له من الرجوع عنه .

إنه أحس وأدرك الخطر الواقع عليه .

وهل تحتاج الأخت إلى كثير من التطهير النفسى والبعد عن أهوائها وغواية الشيطان وحزبه الذين يقللون هذا الإحساس بالأسف ويزينون العمل السيئ لصاحبه .

وتحتاج إلى مجالسة الصالحين التوابين الأوابين لله ، فهى تزيد رضا الإنسان عن نفسه عند التوبة وتزيد من تحمله للحزن والأسى القلبى الناتج عن الندم . فهو يتحمل مرارة الدواء من أجل الشفاء .

مرحلة الإقلاع عن الذنب ، ورد الحقوق لأصحابها :

هى المرحلة الإيجابية فى التوبة وهى مرحلة التغيير من طور إلى آخر ومن حال إلى أخرى وتظهر على الوجه والجسد ويحسها القلب والروح ،فتتحسن المشاعر والأحاسيس وتستقيم الأمور ويتغير الأصحاب ، ويتغير أسلوب الحياة والتعامل مع الناس، فتظهر بشاشة على الوجه ونور التوبة يحسه ويشاهده من يتعامل مع التائب ، فتصفو البشرة ويصفو القلب ، ويرد للناس مظالمهم فيسعدوا باسترداد حقوقهم وتزول الشحناء والبغضاء وتزداد الألفة والمحبة بين الأطراف التى كانت ربما من لحظات أعداء فإذا بهم أولياء بعض .

ولنتذكر قول الله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) ﴾ [فصلت] .

وكما تتطلب هذه المرحلة رد المظالم إلى أصحابها ،وطلب الرضا منهم والاعتذار والأسف إليهم بعد رد حقوقهم المسلوبة ، والتى ربما انتفع بها المذنب وحرم صاحبها منها مدة من الزمن ، فإنها كذلك تتطلب فيما يتعلق بحقوق الله ـ عز وجل ـ والفروض التى ضيعها المذنب ، أن يؤديها قبل أن يدركه الموت أو المرض أو الفقر أو الشيخوخة .

فإذا لم تكن الفتاة تصلى الفروض فيجب عليها أن تؤديها بعد كل صلاة ، وإذا لم تكن حجت وهى مستطيعة فيجب أن تؤدى فريضة الحج ، وإذا لم تزك فتجتهد فى أداء

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٤/ ٢٤٣) وصححه، ووافقه الذهبى، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٨٠٢).

الفريضة وتكثر من الصدقات وأن تؤدى حق الله فى مالها،وإن قصرت فى الصيام فعليها القضاء وتتبع سنة الرسول ﷺ فى اختيار أفضل الأيام فى الصيام فلا وصال فى الصوم، يعنى لا تصوم شهراً كاملاً إلا رمضان ، ولكن أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام كان يصوم يومًا ويفطر يوما (١) .

مرحلة العزم لعدم الرجوع للذنب :

وهى تعنى الجدية فى أمر التوبة إلى الله،وعقد النية الصادقة مصمما على العمل ، وهى تتضمن الثبات والصبر والجد فى العمل وأكثر الأخلاق ارتباطًا بالعزم فى الإسلام هو الصبر .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى] ، وفى سورة لقمان: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾،وفى سورة آل عمران: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .

أسباب صعوبة مرحلة العزم :

ـ طبيعة الإنسان النسيان :

فربما وضع خطة ومشى فى جزء منها ثم نسى أهدافه الأساسية فضاع فى طرق عشوائية ولم يصل لهدفه ، وربما أقر واعترف بذنبه وقرر عدم الرجوع إليه ،ولكنه بعد معاودة حياته السابقة يجد نفسه يكرر الخطأ دون أن يشعر ثم ينسى اعترافه وندمه على الذنب فيما مضى .

يقول الله تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴿١١٥﴾﴾ .

ـ عدم التوكل على الله حق توكله :

فتعتقد الفتاة أن الله سيحسن لها أحوالها دون أن تعمل وتجتهد وتحسن العمل وتتقنه ، مما يؤدى إلى فقدان عنصر الجدية فى العزم ؛ يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ـ ضعف التقوى :

مرحلة العزم تحتاج إلى تقوية تقوى الله وخشيته فى السر والعلن ، والامتثال

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠) .

لأوامره واجتناب نواهيه ، وامتثال طاعة الله ورسوله فى كل الأمور ، فمثل هذا الأمر سيجعل التائبة فى حالة استقامة دائمة فلا تتوب من ذنب لتقع فى ذنب آخر، ولا تقدم على صنع شىء فتضر نفسها أو غيرها وتغضب أصحاب الأمر والفضل عليها كالوالدين أو الزوج أو مدير العمل أو المعلم .

ولصعوبة هذه الاستقامة نجد عظم الثواب فى الدنيا والآخرة، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ [فصلت] . ويقول تعالى فى سورة النور : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) ﴾ .

ويعطى الله هدية التقوى لكل من سار فى طريق الهداية يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) ﴾ [محمد] .

ـ هى مرحلة تحمل المشاق والبلوى والأذى ؛ لذلك فلا بد ولا غنى عن الصبر فى مرحلة العزم .

ولذلك فإن الأجر من جنس العمل، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر] ، وفى سورة يوسف : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ ، وفى سورة الرعد : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ .

الفصل الثالث

برنامج يومى لتجديد التوبة من هدى الرسول ﷺ

يجب على الأخت المسلمة أن تراعى قراءة هذه الأدعية فى الحالات الآتية :

عند الاستيقاظ من النوم : « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم » (١) .

عند الوضوء :

ـ إحسان الوضوء : عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : **« من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره »** (٢) .

« اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » (٣) .

ـ الذهاب للوضوء بنية خروج الخطايا من الجسد وتجديد نية التوبة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **«إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء،فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء،فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب»** رواه مسلم(٤) .

ـ يدعو فى الوضوء :

من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال:أتيت رسول الله بوضوء فتوضأ فسمعته يدعو يقول : **« اللهم اغفرلى ذنبى ، ووسع لى فى داري ، وبارك لى فى رزقى »** (٥) .

ـ وقال ﷺ : **« من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كتب فى رق ثم جعل فى طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة »** رواه الطبرانى (٦) .

---

(١) أحمد (١/ ٣٩٢) ، والبخارى فى التفسير (٤٩٦٧ ، ٤٩٦٨) ، ومسلم فى الصلاة (٢١٧/ ٤٨٤) .

(٢) مسلم فى الطهارة (٢٤٥/ ٣٣) .

(٣) الترمذى فى الطهارة (٥٥) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : « أصل الحديث صحيح مستقيم الإسناد » .

(٤) مسلم فى الطهارة (٢٤٤/ ٣٢) .

(٥) الترمذى فى الدعوات (٣٥٠٠) ، وقال : « حديث غريب » .

(٦) مجمع الزوائد للهيثمى (١٠/ ١٤٥) ، وقال : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » .

الصلاة :

« **ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله إلا غفر له** » أبو داود (١) .

قال ﷺ : « **الصلوات الخمس ،والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » (٢) .

ـ انتظار الصلاة بعد الصلاة :

عن أبى هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ﷺ :« **إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** » رواه مسلم (٣) .

ـ دعاء استفتاح الصلاة :

« **اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، الله اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد**» (٤) .

« **اللهم إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ،إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، وأنت ربى وأنا عبدك (أمتك) ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعًا** » (٥) .

ـ فى الركوع :

« **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى** » (٦).

---

(١) أبو داود فى الصلاة (١٥٢١)،والترمذى فى الصلاة (٤٠٦) وقال:« حسن »،وصححه الشيخ أحمد شاكر .

(٢) مسلم فى الطهارة (١٦/٢٣٣) .

(٣) مسلم فى الطهارة (٤١/٢٥١) .

(٤) البخارى فى الأذان (٧٤٤) .

(٥) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٢٠١/٧٧١) ، وأحمد (٩٤/١) .

(٦) سبق تخريجه بالصفحة السابقة .

ـ فى السجود:

« اللهم اغفر لى ذنبى كله ؛دقه وجله وأوله وآخره،وعلانيته وسره» رواه مسلم (١)، « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى » (٢) .

ـ فى الجلسة بين السجدتين :

ـ «اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى » رواه الترمذى (٣) ،« رب اغفر لى رب غفر لى » رواه أبو داود (٤).

ـ بين التشهد والتسليم :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ،أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » رواه مسلم (٥) .

ـ قبل التسليم :

« اللهم إنى أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لى ذنوبى إنك أنت الغفور الرحيم» (٦).

« اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » متفق عليه (٧) .

ـ بعد التسليم :

« أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام » رواه مسلم (٨) .

التسبيح بعد الصلاة :

عن أبى هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سبح الله دبر كل صلاة

---

(١) مسلم فى الصلاة (٤٨٣/ ٢١٦) .

(٢) سبق تخريجه بالصفحة السابقة .

(٣) الترمذى فى الصلاة (٢٨٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر .

(٤) أبو داود فى الصلاة (٨٧٤) ، والنسائى فى الصلاة (١٠٦٩) .

(٥) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١/ ٢٠١) .

(٦) أبو داود فى الصلاة (١٤٩٣) ، والترمذى فى الدعوات (٣٤٧٥) ، وقال : « حسن غريب » ، وابن ماجه فى الدعاء (٣٨٥٧) ، وصححه الألبانى .

(٧) البخارى فى الأذان (٨٣٤) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٥/ ٤٨).

(٨) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٥٩١/ ١٣٥) .

ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال فى تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم (١) .

- التهجد فى الليل :

كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن،ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهى لا إله إلا أنت » (٢) .

- فى أثناء اليوم :

- مداومة الذكر لله فى كل أحوالك وفى جميع الأماكن ما عدا الخلاء - ولا تمتنع الحائض عن الذكر قال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (٣٥)﴾ [الأحزاب] .

- دعاء فى جميع الأحوال للرسول ﷺ :

« اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى .

اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ،وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير » متفق عليه (٣).

« اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار » رواه الحاكم (٤) .

---

(١) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (١٤٦/٥٩٧) .

(٢) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (١٩٩/٧٦٩) .

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٩٩) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٩/ ٧٠) .

(٤) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٥)، وقال: « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ـ المصافحة :

قال ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا »(١) .

ـ فى المجلس :

عن ابن عمر قال : كان يعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم : « ربى اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور » (٢) .

ـ بعد انقضاء المجلس :

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » (٣)
﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر] .

القرآن : قال ﷺ : « من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك » (٤) .

ـ عند ركوب الدابة أو ما يقوم مقامها :

« بسم الله ، الحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (٥) .

ـ عند القلق فى النوم :

قال ﷺ : « من تعار من الليل فقال حين يستيقظ : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله،

---

(١) أبو داود فى الأدب (٥٢١١) ، والترمذى فى الاستئذان (٢٧٢٧) ، وقال : « حسن غريب » ، وابن ماجه فى الأدب (٣٧٠٣) ، وصححه الألبانى .

(٢) أبو داود فى الصلاة (١٥١٦) ، والترمذى فى الدعوات (٣٤٣٤) ، وقال : « حسن صحيح غريب » ، وابن ماجه فى الأدب (٣٨١٤) ، وصححه الألبانى .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٣٧ .

(٤) أبو داود فى الصلاة (١٤٠٠) ، والترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩١) ، وقال: « حسن » ، وابن ماجه فى الأدب (٣٧٨٦) ، وأحمد (٢/٣٢١) ، وصححه الألبانى .

(٥) أبو داود فى الجهاد (٢٦٠٢) ، والترمذى فى الدعوات (٣٤٤٦) ، وقال : « حسن صحيح » ، وأحمد (١/٩٧) ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٧٥٣) : « إسناده صحيح » .

والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم دعا رب اغفر لى غفر له » رواه البخارى [1] .

- سرعة الاستغفار بعد الخطأ أثناء الحديث واللهو :

قال ﷺ : « من حلف فقال فى حلفه باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبة : تعال أقامرك فليتصدق» متفق عليه من حديث أبى هريرة [2] .

- أفضل الاستغفار : علمنا الرسول ﷺ أفضل الاستغفار :

« اللهم أنت ربى وأنا عبدك (أمتك) ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ ،وأبوء على نفسى بذنبى ،فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ،فإنه لا يغفر الذنوب جميعها إلا أنت » رواه البخارى [3] .

- صلاة المغفرة :

علمها ﷺ للعباس بن عبد المطلب ، فقد قال ﷺ له : « ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته، تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القرآن فى أول ركعة وأنت قائم تقول : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة .

ثم تركع فتقولها وأنت راكع [عشر مرات] . ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما [عشرا] . ثم تسجد فتقولها [عشرا] . ثم ترفع من السجود فتقولها جالسًا [عشراً] . ثم تسجد فتقولها ساجدا [عشرا] . ثم ترفع من السجود فتقولها [عشرا] . فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة . تفعل ذلك فى أربع ركعات . إن استطعت أن تصليها فى كل يوم فافعل . فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة . فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة . فإن لم تفعل ففى السنة مرة » [4] .

---

(١) البخارى فى التهجد (١١٥٤) .

(٢) البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٥٠) ، ومسلم فى الأيمان (٥/١٦٤٧) .

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٦) .

(٤) الترمذى فى الصلاة (٤٨٢) ، وقال : « غريب » ، وقال الشيخ أحمد شاكر : « حديث حسن » ،وصححه الشيخ الألبانى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١- **آفات على الطريق** : الدكتور السيد محمد نوح ،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٢- **إحياء علوم الدين**:محمد بن محمد الغزالى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .

٣- **الإيمان** : محمد نعيم ياسين ، دار الفرقان ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر . د .ت .

٤- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** : عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، دار إحياء التراث العربى ، ط ٣ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٥- **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** : جلال الدين السيوطى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.د.ت.

٦- **رياض الصالحين** : يحيى بن شرف النووى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

٧- **السلسلة الصحيحة** : محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ .

٨ - **السنة** : عمرو بن أبى عاصم ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٩- **سنن ابن ماجه**: محمد بن يزيد القزوينى،المكتبة العلمية ، بيروت ،لبنان . د . ت .

١٠ - **سنن أبى داود** :سليمان بن الأشعث السجستانى ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١١- **سنن الترمذى** : محمد بن عيسى بن سورة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٢- **سنن النسائى** : أحمد بن شعيب النسائى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

١٣ـ **صحيح مسلم** : مسلم بن الحجاج القشيرى ، دار إحياء الكتب العربية. د . ت .

١٤ـ **عقيدة المؤمن** :أبو بكر جابر الجزائرى ،مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ، ١٩٧٨م.

١٥ـ **فتح البارى شرح صحيح البخارى** : أحمد بن على بن حجر ، دار الفكر للطباعة والنشر . د . ت .

١٦ـ **قصص الأنبياء** : إسماعيل بن كثير ، دار التراث العربى ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

١٧ـ **الكبائر** : شمس الدين الذهبى ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، مصر . د . ت .

١٨ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : على بن أبى بكر الهيثمى ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٩ـ **المستخلص فى تزكية الأنفس** : سعيد حوى ، دار السلام ، ط ١ ، ١٩٨٣م .

٢٠ـ **المستدرك على الصحيحين** : الحاكم النيسابورى ،دار المعرفة ،بيروت ،لبنان. د . ت .

٢١ ـ **مسند الإمام أحمد** : أحمد بن حنبل ،المكتب الإسلامى للطباعة والنشر. د . ت .

٢٢ـ **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**:محمد إسماعيل إبراهيم ،دار الفكر العربى . د.ت.

٢٣ـ **المعجم الكبير** : سليمان بن أحمد الطبرانى ، بدون دار نشر ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	■
أهمية البحث	٨
أهداف البحث	٩
الباب الأول	
سنن الأنبياء فى التوبة	
الفصل الأول : سنة آدم عليه السلام فى التوبة	١٣
نظرة على قصة آدم عليه السلام	١٣
منهج التوبة	١٥
الإحساس بالذنب والعلم به	١٥
الاعتراف بالذنب	٢١
اتخاذ الشيطان عدواً	٢٦
اتباع هدى الله	٣٤
العزم وعدم النسيان	٣٦
الفصل الثانى : سنة نوح عليه السلام فى التوبة	٤١
نظرة على قصة نوح عليه السلام	٤١
منهج التوبة	٤٣
لا وساطة فى الدين	٤٣
التوجه لله بالدعاء وطلب العفو	٤٩
الاستعاذة بالله من الجهل	٥١
الإحساس بالخسارة والندم	٥٤
الفصل الثالث : سنة إبراهيم عليه السلام فى التوبة	٥٩
نظرة على قصة إبرهيم عليه السلام	٥٩
منهج التوبة	٦٢
الطمع فى المغفرة	٦٢
تعظيم الخطأ	٦٦

الاجتماع على التوبة والذكر ـــــــــــ ٦٨
التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ـــــــــــ ٧٠
الفصل الرابع : سنة يونس عليه السلام فى التوبة ـــــــــــ ٧٣
نظرة على قصة يونس عليه السلام ـــــــــــ ٧٣
منهج التوبة ـــــــــــ ٧٥
الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب ـــــــــــ ٧٥
عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب ـــــــــــ ٧٨
الدعاء لله وتقبل التوبة ـــــــــــ ٨١
الفصل الخامس : سنة موسى عليه السلام فى التوبة ـــــــــــ ٨٣
نظرة على قصة موسى عليه السلام ـــــــــــ ٨٣
منهج التوبة ـــــــــــ ٩٠
الإحساس والاعتراف بظلم النفس ـــــــــــ ٨٩
سرعة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ـــــــــــ ٩٣
الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين ـــــــــــ ٩٨
حدود علم الناس بالله تعالى ـــــــــــ ١٠٧
الفصل السادس : سنة داود عليه السلام فى التوبة ـــــــــــ ١١١
نظرة على قصة داود عليه السلام ـــــــــــ ١١١
منهج التوبة ـــــــــــ ١١٣
اتباع الهوى من أسباب الوقوع فى الذنوب ـــــــــــ ١١٣
١ـ عدم العدل واتباع الهوى ـــــــــــ ١١٤
٢ـ عدم الاستقامة واتباع الهوى ـــــــــــ ١١٦
٣ـ تزيين العمل واتباع الهوى ـــــــــــ ١١٨
٤ـ الطبع على القلوب واتباع الهوى ـــــــــــ ١٢٠
٥ـ عدم ذكر الله واتباع الهوى ـــــــــــ ١٢٢
٦ـ الظلم واتباع الهوى ـــــــــــ ١٢٤
٧ـ الضلال واتباع الهوى ـــــــــــ ١٢٩
٨ـ الاستكبار واتباع الهوى ـــــــــــ ١٣٢
٩ـ الجهل واتباع الهوى ـــــــــــ ١٣٥
الفصل السابع : سنة سليمان عليه السلام فى التوبة ـــــــــــ ١٣٧
نظرة على قصة سيدنا سليمان عليه السلام ـــــــــــ ١٣٧

منهج التوبة ـــــــ ١٣٩
الحذر من حب الدنيا ـــــــ ١٣٩
طلب الدنيا والآخرة ـــــــ ١٤٣
ذكر الله غفران للذنوب ـــــــ ١٤٧

الباب الثانى
تصنيفات الذنوب

مقدمة ـــــــ ١٥٣
الفصل الأول : تصنيف الذنوب حسب الجهات المسببة للذنب ـــــــ ١٥٥
١ ـ الإنسان ـــــــ ١٥٥
أ ـ عقله ـــــــ ١٥٦
ب ـ قلبه ـــــــ ١٥٧
جـ ـ جوارحه ـــــــ ١٥٨
د ـ النفس والهوى ـــــــ ١٦٥
هـ ـ طبيعة خلق الإنسان ـــــــ ١٦٧
٢ ـ الشيطان ـــــــ ١٦٩
٣ ـ الناس ـــــــ ١٦٩
الفصل الثانى : تصنيف الذنوب حسب حجم الذنب ـــــــ ١٧٣
الفصل الثالث : تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق ـــــــ ١٩٩
١ ـ فى حق الله ـــــــ ١٩٩
٢ ـ فى حق الناس ـــــــ ٢١٥

الباب الثالث
التوبة

الفصل الأول : لماذا التوبة ؟ وثمرتها ووقتها ـــــــ ٢٢٧
الفصل الثانى : مراحل التوبة وشروطها ـــــــ ٢٣٣
الفصل الثالث : برنامج يومى لتجديد التوبة ـــــــ ٢٣٧
المصادر والمراجع ـــــــ ٢٤٣
فهرس الموضوعات ـــــــ ٢٤٥

رقـم الإيدع : ١٧٥٣٠ / ٢٠٠٤م

I.S.B.N:977-15-0486-x

هذا الكتاب

* يتناول سنن الأنبياء فى توبتهم إلى الله ـ تعالى ـ وربطها بواقع البنات والأمهات ومشكلات أكثر إلحاحاً فى ظروف حياتية مختلفة .
* ويعطى " البنات والأمهات " العديد من المواقف والمشكلات ، والحلول المتواضعة التى يمكن أن تساعدهن فى تصحيح مسارهن سواء مع أنفسهن أو مع غيرهن ، خاصة فى عصر تفشت فيه مشكلات نابعة من قصور علمهن فى الدين والدنيا ، وتأثرهن بالصديقات الأوروبيات ـ صاحبات الإنترنت والهاتف المحمول ـ وانتشار المفاهيم المغلوطة التى قلبت الموازين رأسًا على عقب .
* ويقدم حلولاً وسبلاً لكثير من الذنوب التى يمكن أن تقع فيها البنات أو الأمهات ، وكيفية التوبة منها ، وعدم الوقوع فيها .
* كما يعطى برنامجاً يومياً لتجديد التوبة عند البنات والأمهات ، اتباعاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
* وهو محاولة للتعمق فى أمور الدين ، وفى فهم ما وراء الآيات القرآنية والاستفادة منها فى حياتنا وتصحيح مسارها .
* ودار الوفاء ليسعدها أن تتقدم بهذا الكتاب لقرائها الكرام ، راجية من الله ـ تعالى ـ النفع به ، والله من وراء القصد .

الناشر

الوفاء للطباعة والنشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة
الإدارة: ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ص.ب ٢٣٠ ت / ٢٢٥٦٢٣٠ ٠٥٠ فاكس ٢٢٦٠٩٧٤ /٠٥٠
E-MAIL:darelwafa@HOTMAIL.COM
WWW.EL-WAFAA.COM

دار طيبة للنشر والتوزيع
137175
SR12.00